قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها انى بنيت الجار قبل المنزل
ابن قحطان
فناء الدار ساحته والجمع افنية وجمع الجمع افناء
ار حصلت الجار ار حصلت بناء المنزل
اسم رجل في الاول سمي به القبيلة واول من تكلم بالعربية
يعرب بن قحطان يقال هو افناء الناس اذا لم يعلم ممن هو
والمراد اصل افناء يعرب
كشاف مع حواشيه
في قوله عز وجل ان الله لا يستحيي الآية

سوره البقرة سورة ال عمران سورة النساء سورة المائدة

الغزالي بتشديد الزاي نسبة لعمل الغزل ذكره في المواهب نقلا عن غوص البحر الزاخرة
وقال عصام الدين في حاشية شرح العقائد لسعد الدين والغزالي بالتخفيف نسبة الى غزالة
وهي قرية الطوس والتشديد من تصحيفات العوام كذا في شرح مسلم للنووي وانا ارجح
ان يكون الغزالي نسبة الى الغزالة بمعنى الشمس لانه كالشمس في كشف ظلمات الجهالات
والبدع انتهى كلامه شرح الطريقة المحمدية والسيرة الاحمدية لرجب افندي

روي انه قتل في طلب موسى اثنى عشر الف صبي وقال وهب بلغني انه ذبح في طلب موسى تسعين الف وليد
معالم التنزيل في قوله يذبحون

وفي المثل
رب عجلة وهبت ريثا ويروى تهب والمعنى واحد وهو من الهبة كشاف

شعر
وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره كشاف في قوله تعالى لن يستنكف المسيح الآية

وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة
من البعير والناقة من المقصد
فسمي المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر
كشاف في قوله تعالى هدى للمتقين

الربع الاول من الكشاف تصنيف العلامة
جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري
روّح الله تعالى روحه واعظم من لدنه
فتوحه تملكه العبد الضعيف عالم محمد
ابن حمزة سنة ... والف
نفعه الله تعالى به وسائر المسلمين
امين

٢١٥

RAGIP P
Ka. N
214

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 159/1

وان قلت كيف يعطى هذا الذي رزقنا الآن هو الذي رزقنا من قبل
قلت لما اتحد في الماهية جاز ذلك كما اذا شربت شايه الابن
بالامس قالوا انه الابن والقول الثالث على لسان اهل المعرفة
وهو ان كمال السعادة في معرفة ذات الله وصفاته وافعاله
من الملائكة الكروبية والروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات
بحيث يصير الروح كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم هذه المعارف
وان حصلت في الدنيا لا يحصل كمال الالتذاذ بها لا لعلائق البدنية
فانها تعوق عن ظهور السعادة فاذا زالت حصلت السعادة
العظمى والغبطة الكبرى وكل سعادة يجدها بعد الموت
يقول هي التي كانت حاصلة لي في الدنيا وهذا اشارة الى
ان الكمالات الاخروية هي التي حصلت في الدنيا الا انها ما
افادت اللذة والبهجة وفي الاخرة افادت لزوال العلائق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما • ونزله بحسب المصالح منجما • وجعله بالتحميد
مفتتحا • وبالاستعاذة مختتما • واوحاه على قسمين متشابها ومحكما • وفصله سورا وسوره
ايات • وميز بينهن بفصول وغايات • وما هي الا صفات مبتدئ مبتدع • وسمات منشئ
مخترع • فسبحان من استاثر بالاولية والقدم • ووسم كل شئ سواه بالحدوث عن العدم
انشاه كتابا ساطعا تبيانه • قاطعا برهانه • وحيا ناطقا ببينات وحجج • قرآنا عربيا
غير ذي عوج • مفتاحا للمنافع الدينية والدنياوية • مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية
معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان • دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان • افحم به من
طولب بمعارضته من العرب العرباء • وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء • فلم يتصد للاتيان بما
يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم • ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم • على انهم
كانوا اكثر من حصى البطحاء • واوفر عددا من رمال الدهناء • ولم ينبض منهم عرق العصبية
مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة • والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة • ولقائهم
دون المناضلة عن احسابهم الخطط • وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط • ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر
وان رماهم بماثرة رموه بماثر • وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف اخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان
السيف القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده • فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر
فطم على الكواكب • وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب • والصلاة على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القاسم
محمد بن عبد الله ذي اللواء المرفوع في بني لؤي • وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي • المثبت
بالعصمة • المؤيد بالحكمة • الشادخ الغرة • الواضح التحجيل • النبي الامي المكتوب في التورية والانجيل
وعلى آله الاطهار • وخلفائه من الاخيار والاصهار • وعلى جميع المهاجرين والانصار • اعلم ان متن كل علم
وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية • واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية • ان سبق
العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة • او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة • وانما الذي

تباينت فيه الرتب • وتحاكت فيه الركب • ووقع فيه الاستباق والتناضل • وعظم
التفاوت والتفاضل • حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد • وترقى الى ان عد الف
بواحد • ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر • ومن لطائف معان يدق فيها
مباحث الفكر • ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم
واخصهم • والا واسطتهم وفصهم • وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم • عناة
في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم • ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح
وانهضها بما يبهر الالباب القوارح • من غرائب نكت يلطف مسلكها • ومستودعات اسرار
يدق سلكها • علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه • واجالة النظر فيه • كل ذي علم كما ذكر الجاحظ
في كتاب نظم القرآن • فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام • والمتكلم
وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام • وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن
القرية احفظ • والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ • والنحوي وان كان
انحى من سيبويه • واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه • لا يتصدى منهم احد
لسلوك تلك الطرائق • ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق • الا رجل قد برع في علمين
مختصين بالقرآن • وهما علم المعاني والبيان • وتمهل في ارتيادهما آونة • وتعب في
التنقير عنهما ازمنة • وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله • وحرص
على استيضاح معجزة رسول الله • بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ • جامعا بين
امرين تحقيق وحفظ • كثير المطالعات • طويل المراجعات • قد رجع زمانا ورجع اليه
ورد ورد عليه • فارسا في علم الاعراب • مقدما في حلبة الكتاب • وكان مع ذلك
مسترسل الطبيعة منقادها • مشتعل القريحة وقادها • يقظان النفس
دراكا للمحة وان لطف شانها • منتبها على الرمزة وان خفي مكانها • لا كزا جاسيا
ولا غليظا جافيا • متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر • مرتاضا غير ريض بتلقيح
بنات الفكر • قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف • وكيف ينظم ويرصف • طالما دفع الى
مضايقه • ووقع في مداحضه ومزالقه • ولقد رايت اخوتنا في الدين من افاضل الفئة
الناجية العدلية • الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية • كلما رجعوا الي في تفسير
آية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب • افاضوا في الاستحسان والتعجب • واستطيروا

شوقاً الى مصنف يضم اطرافاً من ذلك حتى اجتمعوا الى مقترحين ان املي عليهم في الكشف
عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة
والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء
على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين مما ارى عليه الزمان
من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلاً ان ترتقي
الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسئلة في الفواتح وطائفة من
الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاماً مبسوطاً كثير السؤال والجواب طويل الذيول
والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالاً يحتذونه
فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي
بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين
الى ايناسه حراصاً على اقتباسه فهز ما رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما
حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام
شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة
في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبداً والهبهم حشاً واوفاهم
رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع
الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت
قد ضاقت على المستقيل الحيل وعيت به العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن
وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى
مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في
مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين
سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا
الحرم المعظم اسال الله ان يجعل ما تعبت فيه منه سبباً ينجيني ونوراً لي على الصراط
يسعى بين يدي وبيميني وهو نعم المسؤول

سورة فاتحة الكتاب

مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن
لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو اهله ومن التعبد بالامر

والنهي ومن الوعد والوعيد. وسورة الكنز والوافية لذلك. وسورة الحمد والمثاني لانها
تثنى في كل ركعة. وسورة الصلاة لانها تكون فاضلة او مجزئة بقراءتها فيها. وسورة
الشفاء والشافية. وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت
عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس. بسم الله الرحمن الرحيم
قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها رضي الله عنهم على ان التسمية ليست بآية من
الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها
كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك
لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة
ومن كل سورة وعليه الشافعي رحمه الله واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد
اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا
انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة و
اربع عشرة آية من كتاب الله تعالى. فان قلت بم تعلقت الباء قلت
بمحذوف تقديره بسم الله اقرا او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر
اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله
ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدا في فعله ببسم الله كان مضمراً ما جعل التسمية
مبدا له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون وقومه
اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي
باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس
الطعاما وقيل اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما فان قلت لم قدرت
المحذوف متاخراً قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن باسماء
آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء
وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص و
الدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها فان قلت فقد قال اقرا باسم ربك فقدم الفعل قلت
هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم فان قلت ما معنى تعلق اسم الله
تعالى بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم

معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجئ معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر
اسم الله تعالى لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل
جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله
تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه
اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن فان قلت فكيف قال الله تعالى
متبركا باسم الله اقرأ قلت هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره
وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده
كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني التي جاءت
على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو
العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل
بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم اصل الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها
على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم ان يبتدئوا
بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام
والرصانة واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك
الساكن فقال سم وسم قال الشاعر باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء المحذوفة
الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان
التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبر
قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها
حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف
وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله قال
معاذ رضي الله عنه الاله ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن
على الاناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء
يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على
كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب
على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة
والكتاب

اى اعوذ بالله ان تكون مثل ظبية

على الكتاب

على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق
تأله واله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فان قلت اسم هو ام
صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول
اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري
عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل
لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة
هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك
ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل
النظر الصحيح فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك
العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر الرحمن فعلان من رحم كغضبان
من غضب وسكران من سكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من
المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة
في البناء لزيادة في المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على اذني
من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل
محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال
اليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة
المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز
وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة وقول
شاعرهم فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا باب من تعنتهم في كفرهم
فان قلت كيف تقول الله رحمان أتصرفه ام لا قلت أقيسه على اخواته من بابه
اعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان
ان يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى لم تمنعه الصرف قلت
كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة
كندمانة فاذن لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل
قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فان قلت ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها

العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك
اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة
عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه
والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض
قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف
ليتناول ما دق منها ولطف
الحمد لله الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل
على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان
والجوارح قال افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده
فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده
وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها
من الاعتقاد واداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل
اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي عن كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر
نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله الذي هو قراءة بعضهم
باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا
وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها
ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب
الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام
رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابرهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع
دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك
نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما
معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه
الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال
والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال
لاتباعها اللام وقرأ ابرهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما
على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة

كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابرهيم حيث جعل الحركة البنائية
تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن رب الرب المالك ومنه قول صفوان لابي
سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه
فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل
ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب
الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما رب
العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين العالمين
الرحمن الرحيم العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام
والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة
وانما يجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى
الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم مالك قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف
اللام وقرأ ابو حنيفة رحمه الله ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ ابو هريرة رضي
الله عنه مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك
هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان
الملك يعم والملك يخص يوم الدين ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت
هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق
الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم
فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف
ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او
الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي
كقولك مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية
كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين
كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم
الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم

قوله وهذه الاوصاف مبتدا وخبره قوله دليل على ان من كانت

ثَنَّى بملكوته وربوبيته ومن كونه منعمًا بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن
كونه مالكًا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه
به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء
عليه بما هو اهله ايّاك ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في
قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف
في ارأيتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن
بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول
لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة
ونخصك بطلب المعونة وقرئ اِيَاك بتخفيف الياء وأَيّاك بفتح الهمزة والتشديد وهِيّاك بقلب
الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك
مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية
الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولي اعظم النعم فكان حقيقا
باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في
علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله
تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلث التفاتات في ثلثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد
ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبا جاءني
وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا
نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه
من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق
بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية
الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك
يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب
ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت
الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه

ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة
قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل
مستعان فيه والاحسن ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا
للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام
واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون اهدنا هدى اصله ان يتعدى باللام
او بالى كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار
في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله
تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله
عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا
عبد الله ارشدنا الصراط المستقيم السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا
سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر
وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي
الثابتة في الامام ويجمع صرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد طريق
الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم صراط الذين انعمت عليهم بدل
من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين
انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل
اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار
بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين
بالاستقامة على ابلغ وجه وآكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ
في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا
ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل و
كانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع
ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه
بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل
ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم

غير المغضوب عليهم بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال

أو صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال

فإن قلت كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وإن أضيف إلى المعارف قلت الذين

أنعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني ولأن المغضوب عليهم و

الضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير إذن الإبهام الذي يأبى أن يتعرف وقرئ بالنصب على

الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال

الضمير في عليهم والعامل أنعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه

والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فإن قلت ما معنى غضب الله قلت هو إرادة

الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت

يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فإن قلت أي فرق بين عليهم الأولى والثانية

قلت الأولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فإن قلت لم دخلت لا في

ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول

أنا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك أنا زيدا مثل ضارب لأنه بمنزلة أنا زيدا لا ضارب وعن

عمر وعلي رضي الله عنهما أنهما قرآ وغير الضالين وقرأ أيوب السختياني ولا الضألين بالهمز

كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما

حكاه أبو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما أن

رويد وحيهل وهلم أصوات سميت بها الأفعال التي هي أمهل وأسرع وأقبل وعن ابن عباس سألت رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد ألفه وقصرها قال

ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال أمين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي لقنني جبريل

آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال إنه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل

أنه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الإمام لأنه الداعي وعن أبي حنيفة مثله والمشهور

عنه وعن أصحابه أنه يخفيها وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله صلى الله

عليه وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر أن النبي صلى الله عليه كان إذا قرأ ولا الضالين

قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب ألا أخبرك

بسورة لم تنزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب

إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه

قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد

لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم

اعلم أن الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد

اسم يسمى به ضه من ضرب إذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه

التسمية لطيفة وهي أن المسميات لما كانت ألفاظا كأساميها وهي حروف وحدان والأسامي

عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا

المسمى صدر كل اسم منها كما ترى إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لأنه لا يكون إلا

ساكنا ومما يضاهيها في إيداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة و

حكمها ما لم تلها العوامل أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد فيقال ألف لام ميم كما

تقول واحد اثنان ثلاثة فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب كقولك هذه ألف وكتبت ألفا

ونظرت إلى ألف وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل

شيء من تأثيراتها فحقك أن تلفظ به موقوفا ألا ترى أنك إذا أردت أن تلقي على الحاسب أجناسا

مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها أغفالا من سمة الإعراب فتقول دار غلام جارية

ثوب بساط ولو أعربت ركبت شططا فإن قلت لم قضيت لهذه الألفاظ بالاسمية وهلا

زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء

غير حروف فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية

كثير من الأسماء التي لا يقدح إشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف ومستعملين الحرف

في معنى الكلمة وذلك أن ألف دلالته على أوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان

المخصوص لا فصل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين ألا ترى أن الحرف ما دل على معنى في

غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولأنها متصرف فيها بالإمالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا

ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والإسناد والإضافة وجميع ما للأسماء

المتصرفة ثم إني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل

أصحابه كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول

باكاف فقالوا حم تم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة
في ياسين وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا
ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف
اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية قلت بل هي اسماء معربة
وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه
والدليل على سكونها وقف وليس بناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل
صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها
مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورا
فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل
والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز
واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان
سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصور فواتح للسور قلت
فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي
كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى
فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد
وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحاميم وطاسين وياسين فانها موازنة
لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتأتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا
اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب
والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي يذكرني حاميم
والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب
من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد
نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة
انزلناها وقال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمة
سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال الاخر تنادوا بالرحيل
غدا وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا وتقول اهل الحجاز في استعلام من يقول

زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة
من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات قلت الوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم
يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه
مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرأ ياسين ويجوز ان
يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها
وانها نصبت نصب نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم
قال ذو الرمة الا رب من قلبي له الله ناصح وقال الاخر فذاك امانة الله الثريد
قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على
مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار
اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان
تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه
قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو
كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن تالله
لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخيرة واو قسم لا يجوز
الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم بمنزلة الواو وهذا اولى سبيل
فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت
فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره
قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى
يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة
بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي
يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره
ساكنان من المبنيات فعوملت معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ
لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك
وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه

السورة وبالكتاب المبين إنا جعلناه وأما قوله صلى الله عليه حم لا ينصرون فيصلح أن يقضى له
بالجر والنصب جميعا على حذف الجار وإضماره فإن قلت فما معنى تسمية السور بهذه الألفاظ
خاصة قلت كأن المعنى في ذلك الإشعار بأن الفرقان ليس إلا كلما عربية معروفة التركيب
من مسميات هذه الألفاظ كما قال عز وجل قرآنا عربيا فإن قلت فما بالها مكتوبة في
المصحف على صور الحروف أنفسها لا على صور أساميها قلت لأن الكلم لما كانت مركبة من
ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ
بالأسماء وتقع في الكتابة الحروف أنفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح
وأيضا فإن شهرة أمرها وإقامة ألسن الأسود والأحمر وأن اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى
بطائل منها وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس
فيها وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها الخط والهجاء ثم ما عاد
ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا
تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان
لا يقاسان خط المصحف لأنه سنة وخط العروض لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ و
يسقط عنه ما أسقطه والوجه الثاني أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط
التعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في أن
هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم
النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا
بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل
في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة
وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج
من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام البشر وأنه كلام
خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصره على
الأول أن يقول إن القرآن إنما نزل بلسان العرب مصبوبا في أساليبهم واستعمالاتهم
والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة و
خمسة والقول بأنها أسماء السور حقيقة يخرج إلى ما ليس في لغة العرب ويؤدي أيضا

إلى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فإن اعترضت عليه بأنه قول مقول على وجه الدهر وأنه لا
سبيل إلى رده أجابك بأن له محملا سوى ما تذهب إليه وأنه نظير قول الناس فلان يروي
قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله
ورسوله ويوصيكم الله في أولادكم والله نور السموات والأرض وليست هذه الجمل بأسامي
هذه القصائد وهذه السور والآي وإنما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة
السورة أو الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على أسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها
ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض على
الوجه الأول أن يقول التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام
العرب ولكن إذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فأما غير مركبة منثورة نثر أسماء
العدد فلا استنكار فيها لأنها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية كما سموا تأبط شرا
وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سموا بزيد منطلق أو بيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم دلالة قاطعة
على صحة ذلك وأما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لأنها تسمية
مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين
إليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه
الثالث أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بوجه من الإغراب
وتقدمة من دلائل الإعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية
الأقدام الأميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصا بمن خط
وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الأمي التكلم بها استبعاد
الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا
لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهله حكم
الأقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة
بها في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة
من غير أن يسمعها من أحد واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله سبحانه في الفواتح من هذه
الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء وهي الألف واللام والميم والصاد

والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة
على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس
الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة
نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها
الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء و
العين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة
نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء
والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام
والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها
القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه
الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان
معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله
عز وجل عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت
لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب
الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح
سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس
وابرهيم وهود ويوسف والحجر. فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول القرآن وما لها
جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير
وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد
ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس
وتقريره. فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت
ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلثة احرف
والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة
افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم على حرف
وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك. فان قلت فما وجه

اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها
في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض
اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز
وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد
الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود. فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية
دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت من
السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس
وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق
آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا
شيئا منها آية. فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد الرحمن وحده
ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف. فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف
على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء
للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز وعلا
الم الله اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو. فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب
قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام. فان قلت ما
محلها قلت يحتمل الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم
بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل
في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة. **ذلك الكتاب**. فان
قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق
التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك
ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان
بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد
كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا
به. فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل
الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه

في التذكير كما أجرى عليه في التأنيث في قولهم من كانت أمك وإن جعلته صفته فإنما أشير به إلى
الكتاب صريحا لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له كما تقول هند ذلك الإنسان
أو ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب
الزاري فإن قلت أخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم قلت إن جعلت الم اسما للسورة
ففي التأليف وجوه أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ
الأول ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي
يستأهل أن يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من
مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا أم خالد وأن يكون الكتاب صفة ومعناه
هو ذلك الكتاب الموعود وأن يكون الم خبر مبتدأ محذوف أي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا
أو بدلا على أن الكتاب صفة وأن يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى وإن جعلت الم
بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل أو
الكتاب صفته والخبر ما بعده أو قدر مبتدأ محذوف أي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك
الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر **لا ريب فيه** والريب
مصدر رابني إذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى
الحسن بن علي قال سمعت رسول الله يقول دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة
وإن الصدق طمأنينة أي فإن كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه
صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب
من نوائبه ومنه أنه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه أحد بشيء فإن قلت كيف نفى الريب
على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه وإنما المنفي كونه
متعلقا للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب
أن يقع فيه ألا ترى إلى قوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما
أبعد وجود الريب منهم وإنما عرفهم الطريق إلى مزيل الريب وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا
قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه
مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فإن قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في
قوله تعالى لا فيها غول قلت لأن القصد في إيلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه وإثبات

أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولي الظرف لقصد إلى ما يبعد
عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على
خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كأنه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب
والنقيصة وقرأ أبو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة أن المشهورة توجب
الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على لا ريب ولا بد
للواقف من أن ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة في لسان
أهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى **هدى** الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة
الموصلة إلى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى وقال لعلى هدى أو في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولأن
اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى أصله ألا ترى إلى نحو غمه فاغتم وكسره
فانكسر وأشباه ذلك فإن قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت
هو كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه و
استدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء
لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن
ابن عباس إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة
فسمي المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا
إلا فاجرا كفارا أي صائرا إلى الفجور والكفر فإن قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت
لأن الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم أن
مصيرهم إلى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي أن يكون هدى لهؤلاء
فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام
بإجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وأيضا فقد جعل ذلك سلما إلى تصدير السورة
التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثاني بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده
للمتقين والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه
فرس واق وهذه تقي من وجاها إذا أصابه ضلع من غلظ الأرض ورقة الحافر فهو يقي
حافره أن يصيبه أذى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة

من فعل أو ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح أنه لا يتناولها لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق إلا عن خبرة كما لا يجوز إطلاق العدل إلا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لأنه خبر مبتدإ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز أن ينصب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا وأن يقال إن قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وإيراده منكرا والإيجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه **الذين يؤمنون بالغيب** إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعني الذين يؤمنون أو هم الذين يؤمنون وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى فإذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام وإذا كان مقتطعا كان وقفا تاما **فإن قلت** ما هذه الصفة أواردة بيانا وكشفا للمتقين أو مسرودة مع المتقين تفيد غير ما أفادته أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا **قلت** يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر

الإيمان الذي هو أساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلاة والصدقة لأن هاتين أما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألم تر كيف سمى رسول الله الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الإسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي إذا وجد لم يتوقف أخواته أن تقترن به مع ما في ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين وأما الترك فكذلك ألا ترى إلى قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل أن لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل أن تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للإيمان بالغيب وإقام الصلاة والزكاة بالذكر إظهارا لإنافتهما على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والإيمان إفعال من الأمن يقال أمنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه إذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر واعترف وأما ما حكى أبو زيد عن العرب ما آمنت أن أجد صحابة أي ما وثقت فحقيقته صرت ذا أمن به أي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق ويجوز أن لا يكون بالغيب صلة للإيمان وأن يكون في موضع الحال أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أني لم أخنه بالغيب ويعضده ما روي أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله وإيمانهم فقال ابن مسعود إن أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ هذه الآية **فإن قلت** فما المراد بالغيب إن جعلته صلة وإن جعلته حالا **قلت** إن جعلته صلة كان بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الأرض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الإبل حتى وارت غيوبها كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية إذا بطنت الدابة انتفخت وإما أن يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل وأصله قيّل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وإن جعلته حالا كان بمعنى

الغيبة فان قلت ما الايمان الصحيح قلت أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه
بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو
فاسق ويقيمون الصلوة ومعنى إقامة الصلوة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها
وآدابها من أقام العود إذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا الذين هم على صلوتهم
دائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق إذا نفقت وأقامها قال أقامت غزالة
سوق الضراب لأهل العراقين حولا قميطا لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه إليه
الرغبات ويتنافس فيه المحصلون وإذا عطلت وأضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد
والتشمر لأدائها وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالأمر وقامت الحرب
على ساقها وفي ضده قعد عن الأمر وتقاعد عنه إذا تقاعس وتثبط او أداؤها فعبر عن الأداء
بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود
وقالوا سبح إذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا أنه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة
من زكى وكتبها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه
وسجوده ونظيره كفر اليهودي إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لأنه ينثني على الكاذتين
وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون
وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى
الله ويسمى رزقا منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الإسراف والتبذير المنهي عنه
وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كأنه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز
أن يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه بأخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وأن تراد هي وغيرها
من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق وأنفق الشيء وأنفده أخوان وعن
يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب
ونحو ذلك إذا تأملت والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك فان قلت وبالآخرة
الذين يؤمنون أهم غير الأولين أم هم الأولون وإنما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات
في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب قلت يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو
أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحي أنزل من

عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى
وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات واجتماعهم على الإقرار بالنشأة الأخرى وإعادة الأرواح
في الأجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على
حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك إنما احتيج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام
ولمكان التوالد والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح العبقة
والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف
عليه ويحتمل أن يراد وصف الأولين ووسط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات
وهذه فان قلت فإذا أريد بهؤلاء غير أولئك فهل يدخلون في جملة المتقين أم لا قلت
إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من
مؤمني أهل الكتاب وغيرهم وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى
للذين يؤمنون بما أنزل إليك فان قلت قوله بما أنزل إليك أيعني به القرآن بأسره والشريعة
عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ المضي وإن أريد به المقدار الذي
سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومترقبه
واجب قلت المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود
على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان
ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل
عليه قوله تعالى إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا
ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم به إلا وهو نادر
ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه
وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة
وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته
وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
هم يوقنون والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي
هو نقيض الأول وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة
وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام كقوله دابة الأرض

وقرأ أبو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت
ونحوه لحب المؤقدان إلى مؤسى وجعدة إذا أضاءهما الوقود أولئك على هدى من ربهم
أولئك على هدى الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها ونظم
الكلام على الوجهين أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب
الاستئناف وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين فاختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل
أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب إلى ساقته
كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها
من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء
بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك أحب رسول الله الأنصار الذين قارعوا دونه
وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أهل للمحبة وإن جعلته تابعاً للمتقين وقع الاستئناف على
أولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين
غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفلاح آجلاً واعلم أن هذا النوع من
الاستئناف يجيء تارة بإعادة من استؤنف عنه الحديث كقولك قد أحسنت إلى زيد زيد حقيق
بالإحسان وتارة بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك
فيكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه فإن قلت هل يجوز
أن يجري الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره قلت نعم على أن يجعل
اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله وهم ظانون أنهم
على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الإشارة الذي هو أولئك إيذان بأن ما يرد
عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك
ثم عدد له خصالاً فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم
يقعد ضعيفاً مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه
وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك
في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم أي منحوه
من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي إلى الأفضل
ونكر هدى ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل على أي هدى كما تقول لو أبصرت

لأبصرت رجلاً وقال الهذلي فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في
من ربهم أدغمت بغنة وبغير غنة والكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير
لم يغنوها وقد أخفاها الباقون إلا أبا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان وأولئك وفي تكرير أولئك
تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تميزهم
بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها فإن قلت لم جاء مع العاطف
وما الفرق بينه وبين قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون قلت قد اختلف
الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة و
تشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل هم فصل
وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند
إليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك ومعنى التعريف في المفلحون
الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنساناً قد تاب
من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته أو على أنهم الذين
إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة
كما تقول لصاحبك هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام إن زيداً هو هو فانظر كيف كرر
الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الإشارة و
تكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما
طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما
لا تقتضيه حكمته ولم يسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت
بذكرهم سورة البقرة المفلحون والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم
تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلجي بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال
على معنى الشق والفتح وكذلك إخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى لما قدم ذكر أوليائه وخالصة
عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى
على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي
عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار الرسول وسكوته فإن قلت لم قطعت
قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وغيره

إن الذين كفروا

من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن فيه
مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية لأن الكافرين من صفتهم كيت وكيت فبين
الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فإن قلت هذا إذا زعمت
أن الذين يؤمنون جار على المتقين فأما إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام
آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب
المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك إدراج له في حكم المتقين وتابع له في
المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز
أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم
وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين
الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم سواء عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف
بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم في أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى
مستوية وارتفاعه على أنه خبر لإن أأنذرتهم وأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية
كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه كما تقول إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو
يكون أنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه
والجملة خبر لإن فإن قلت الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام
قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون
في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن
منك أكل السمك وشرب اللبن وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل أم لم تنذرهم
والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا
على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني أن هذا جرى
على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما
في علم المستفهم عنهما لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما
معلوم بعلم غير معين وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف الثانية بين بين
وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء
حركته على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح فإن قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفا قلت

هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده أن يكون
الأول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني إخطاء طريق التخفيف
لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين فأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة
الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والإنذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي لا يؤمنون
فإن قلت ما موقع لا يؤمنون قلت إما أن يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبرا لإن والجملة
قبلها اعتراض ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم الختم والكتم أخوان لأن في الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة
من غشاه إذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعمامة والعصابة فإن قلت ما معنى الختم
على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وإنما هو من باب
المجاز ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم
لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده
وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم
لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما
غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في
الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها
بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الإله
على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر وإذا أراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نابر
فإن قلت فلم أسند الختم إلى الله وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه
وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته
بقوله وما أنا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين إن الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر
ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها وأما إسناد الختم إلى
الله عز وجل فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي ألا ترى
إلى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون أنه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل
ما خيل إليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد
بعذاب عظيم ويجوز أن تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي إذا

مثل وطارت به العنقاء إذا أطال الغيبة ليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وإنما
هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء
فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الأغتام
التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها أو بحال قلوب مقدر
ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله
وهو متعال عن ذلك ويجوز أن تستعار الإسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا إلى
اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا أن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل
والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فإسناده إلى الفاعل حقيقة وقد يسند إلى
هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي
الرجل الأسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي
عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم
وفي المكان طريق سائر ونهر جار وأهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الأمير المدينة
وناقة ضبوث وحلوب وقال إذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم
في الحقيقة أو الكافر إلا أن الله سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند
الفعل إلى المسبب ووجه رابع وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات
والنذر ولا تجدي عليهم الألطاف المحصلة ولا المقربة إن أعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بأنه
لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعا واختيارا طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإلجاء وإذا لم يبق طريق إلا
أن يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك
القسر والإلجاء بالختم إشعارا بأنهم الذين ترامى أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار عليه إلى
حد لا يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي
واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه
تهكما بهم من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى
تأتيهم البينة فإن قلت اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم
التغشية فعلى أيهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه

وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فإن قلت أي فائدة في تكرير الجار
في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والأسماع في تعدية واحدة وحين
استجد للأسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في
قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك إذا أمن اللبس فإذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وأنت
تريد الجمع رفضوه ولك أن تقول السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع فلمح الأصل يدل عليه جمع الأذن
في قوله وفي آذاننا وقر وأن تقدر مضافا محذوفا أي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن أبي عبلة وعلى
أسماعهم فإن قلت هلا منع أبا عمرو والكسائي من إمالة أبصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء
وهو الصاد قلت لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير فكأن فيها كسرتين وذلك
أعون شيء على الإمالة وأن يمال له ما لا يمال وعلى أبصارهم غشاوة والبصر نور العين وهو ما يبصر
به الرائي ويدرك المرئيات كما أن البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران
لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للإبصار وللاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة
بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة
بالعين غير المعجمة والرفع من العشا ولهم عذاب والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول
أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لأنه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح
فإنه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا لأنه ينقخ العطش أي يكسره وفراتا لأنه يرفته على القلب
ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وإن لم يكن نكالا أي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة
عظيم والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكأن العظيم فوق
الكبير كما أن الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والأحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير
تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء
التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله اللهم أجرنا من
عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه
قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا
وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين
قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم

ومن الناس من يقول
امنا بالله وباليوم الاخر
وما هم بمؤمنين

اليهود أمنتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتدليساً وبالشرك استهزاءً وخداعاً ولذلك أنزل
فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين
نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم
بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صماً بكماً عمياً وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين
عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة ومن الناس وأصل ناس
أناس حذفت همزته تخفيفاً كما قيل لوقة في ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال
الأناس ويشهد لأصله إنسان وأناسي وإنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون
كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشراً ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول ألا ترى قولك
في وزن قه إفعل وليس معك إلا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر
الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن تكون للعهد والإشارة
إلى الذين كفروا الماضي ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ومن
كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم
يقروني والقوم لئام ومن يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ومن في من يقول
موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال إن جعلت اللام
للجنس وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فإن قلت كيف
يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معاً
وصيرهم جنساً واحداً وكون المنافقين نوعاً من نوعي هذا الجنس مغايراً للنوع الآخر بزيادة
زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من أن يكونوا بعضاً من الجنس
فإن الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات إنما تأتي بالنوعية
ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فإن قلت لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم
الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لأن القوم
كانوا يهوداً وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك إيمانهم باليوم الآخر
لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثاً مضاعفاً وكفراً
موجهاً لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا إيمان

فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي كان خبثاً
إلى خبث وكفراً إلى كفر وأيضاً فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان من جانبيه واكتنفوه
من قطريه وأحاطوا بأوله وآخره وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة
والاستحكام فإن قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأول في ذكر شأن
الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قلت القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه
فسلك في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج
ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في
الإيمان وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما
انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها فإن قلت فلم جاء الإيمان مطلقاً في الثاني وهو
مقيد في الأول قلت يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالإطلاق
أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما فإن قلت
ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا
ينقطع لتأخره عن الأوقات المنقضية وأن يراد الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة
وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده يخادعون الله والذين
آمنوا والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع إذا أمر الحارش
يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر فإن قلت كيف ذلك ومخادعة الله و
المؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع و
المؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى إلى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع
وقول ذي الرمة إن الحليم وذا الإسلام يختلب فقد جاز النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع قلت
فيه وجوه أحدها أن يقال كانت صورة صنيعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون
صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في
عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين
معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم والثاني أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم
وظنهم أن الله ممن يصح خداعه لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقاً لم يكن عارفاً بالله ولا

بصفاته وسلم أن لذاته تعلقا بكل معلوم وعلم أنه غني عن فعل القبائح لم يتعذر من مثله تجويز أن يكون الله في
نعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم والثالث أن يذكر الله
ويراد الرسول لأنه خليفته في أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا
ورسم كذا وإنما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ومن يطع الرسول فقد أطاع الله والرابع أن يكون
من قولهم أعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص
ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم هذا المسلك ومثله والله ورسوله أحق أن يرضوه وكذلك
إن الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر إحاطة العلم
بفضل زيد لا به نفسه لأنه كان معلوما له قديما كأنه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة
وتمهيد لذكر فضله فإن قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه أن
يقال عنى به فعلت إلا أنه أخرج في زنة فاعلت لأن الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى
غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي
إليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو أبو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز
أن يكون مستأنفا كأنه قيل ولم يدعون الإيمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون
فإن قلت ثم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن أغراض لهم ومقاصد منها
متاركتهم وإعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما
يصطنعون به من المؤمنين من إكرامهم والإحسان إليهم وإعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك
من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الأسرار التي كانوا حراصا على إذاعتها إلى منابذيهم
فإن قلت فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا إلى هذه الأغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم
لما أحاط به علما من المصالح التي لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء إبليس وذريته
ومتاركتهم وما هم عليه من إغواء المنافقين وتلقينهم النفاق أشد من ذلك ولكن السبب فيه ما
علمه الله تعالى من المصلحة وما يخدعون فإن قلت ما المراد بقوله وما يخادعون إلا أنفسهم
قلت يجوز أن يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن
ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار إلا نفسه أي دائرة الضرار
راجعة إليه وغير متخطية إياه وأن يراد حقيقة المخادعة أي وهم في ذلك يخدعون أنفسهم

حيث يمنونها الأباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وأنفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالأماني وأن يراد
وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون
بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله إلا أنفسهم والنفس ذات
الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لأن النفس به ألا ترى إلى قولهم المرء بأصغريه
وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لأن قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها إليه قال الله تعالى وجعلنا
من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين أصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم
فلان يؤامر نفسيه إذا تردد في الأمر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على أيهما يعرج كأنهم أرادوا
داعي النفس وهاجسيها فسموهما نفسين إما لصدورهما عن النفس وإما لأن الداعيين لما كانا
كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالأنفس هنا ذواتهم والمعنى
بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم ويجوز أن يراد قلوبهم
ودواعيهم وآراؤهم وما يشعرون في قلوبهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر
الإنسان حواسه والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له
مرض واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول
في جوفه مرض والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى
المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة
بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء
الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء لأن صدورهم كانت تغلي على رسول الله والمؤمنين
غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي
صدورهم أكبر ويتحرقون عليهم حسدا إن تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن أبي وقول
سعد بن عبادة لرسول الله اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك
ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق
بذلك أو يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لأن قلوبهم كانت قوية إما لقوة طمعهم
فيما كانوا يتحدثون به أن ريح الإسلام صعف تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق أياما ثم يقر فضعفت
حين ملكها اليأس عند إنزال الله على رسوله النصر وإظهار دين الحق على الدين كله وإما لجرأتهم
وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة

المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله عليه السلام نصرت بالرعب مسيرة شهر فزادهم
الله مرضا ولهم ومعنى زيادة الله إياهم مرضا أنه كلما أنزل الله على رسوله الوحي فسمعوه
كفروا به فازدادوا كفرا إلى كفرهم فكأن الله هو الذي زادهم ما ازدادوه إسنادا للفعل إلى المسبب
له كما أسنده إلى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا أو كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد
نقصا من أطراف الأرض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما
عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل أن يراد بالمرض الطبع وقرأ أبو عمرو في رواية الأصمعي مرض
ومرضا بسكون الراء عذاب أليم بما كانوا يكذبون يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع ووصف
العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والألم في الحقيقة للمؤلم
كما أن الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته
وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا والقوم
كفرة وإنما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الإخبار بالشيء على خلاف
ما هو به وهو قبيح كله وأما ما روي عن إبراهيم صلوات الله عليه أنه كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض
ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سماه به وعن أبي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا إياكم والكذب
فإنه مجانب الإيمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه أو من كذب الذي هو للمبالغة
في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيره بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص أو بمعنى الكثرة
كقولك موتت البهائم وبركت الإبل أو من قولهم كذب الوحشي إذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما
وراءه لأن المنافق متوقف متردد في أمره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه وسلم مثل
المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة وإذا قيل لهم لا
تفسدوا في الأرض قالوا وإذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول
آمنا لأنك لو قلت ومن الناس من إذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والأول أوجه والفساد خروج
الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة
والفساد في الأرض هيج الحروب والفتن لأن في ذلك فسادا ما في الأرض وانتفاء الاستقامة
عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى وإذا تولى سعى في الأرض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت
بين طي حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمالئون الكفار ويمالئونهم على

المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من
صنيعهم مؤديا إلى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في
النار إذا أقدم على ما هذه عاقبته إنما نحن مصلحون وإنما لقصر الحكم على شيء كقولك إنما ينطلق زيد
أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد كاتب ومعنى إنما نحن مصلحون أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت
من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد ألا إنهم هم المفسدون ولكن
لا يشعرون ألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما
بعدها والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب
من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين
وطلائعها أما والذي لا يعلم الغيب غيره أما والذي أبكى وأضحك رد الله ما ادعوه من
الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في
كلمتي ألا وإن من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون أو هم في
النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجره إلى الفساد والفتنة والثاني
تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم في عدادهم فكأن من جوابهم أن سفهوهم
وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فإن قلت كيف صح أن يسند
قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا وإسناد الفعل إلى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو إسناد الفعل
إلى معنى الفعل وهذا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو
قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز أن تكون كافة مثلها في
ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس واللام في الناس
للعهد أي كما آمن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه
لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون في
الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق
والباطل قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن والاستفهام في
أنؤمن في معنى الإنكار واللام في السفهاء مشار بها إلى الناس كما تقول لصاحبك إن زيدا قد سعى
بك فيقول أو قد فعل السفيه ويجوز أن تكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم
واعتقادهم لأنهم عندهم أعرق الناس في السفه فإن قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم

وهم العقلاء المراجيح قلت لأنهم لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصافهم أنفسهم اعتقدوا أن ما هم فيه
هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيهاً ولأنهم كانوا في رياسة وبسطة في
قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيراً
لشأنهم أو أرادوا عبد الله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت في
أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقياً من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل والسفه
سخافة العقل وخفة الحلم **لا يعلمون** فإن قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها
بلا يشعرون قلت لأن الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى
نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة و
الفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصاً عند العرب
في جاهليتهم وما كان قائماً بينهم من التغاور والتناحر والتحارب فهو كالمحسوس المشاهد
ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاً له **وإذا لقوا الذين آمنوا**
قالوا آمنا وإذا مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير لأن
تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب
لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم فإذا فارقوهم إلى شطارهم
صدقوهم ما في قلوبهم وروي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من
أصحاب رسول الله فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر فقال
مرحباً بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله
لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحباً بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه
وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحباً بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا
رسول الله ثم افترقوا فقال لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيراً فنزلت ويقال
لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريباً منه وهو جار في ملاقي ومرادفي وقرأ أبو حنيفة رحمه الله وإذا
لاقوا **خلوا إلى** وخلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك
ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به إذا سخرت منه وهو من قولك
خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه وإذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم
بها كما تقول أحمد إليك فلاناً وأذمه إليك **شياطينهم قالوا إنا معكم** وشياطينهم

الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع أصلية وفي آخر
زائدة والدليل على أصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن
شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل **إنا معكم** إنا مصاحبوكم وموافقوكم
على دينكم فإن قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة
بإن قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان
منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك إما
لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن
أريحية وصدق رغبة واعتقاد وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة و
كيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة
والإنجيل ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين ربنا آمنا وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا
به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على
صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان
مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد **إنما نحن مستهزئون** فإن قلت أنى تعلق إنما نحن مستهزئون بقوله
إنا معكم قلت هو توكيد له لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون
رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتداً به ودفع
نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا
عليهم حين قالوا لهم إنا معكم فقالوا لهم فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن
مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع
وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته
تهزأ به أي تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم** فإن قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى
لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل ألا ترى إلى قوله أتتخذنا هزواً قال
أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه إنزال الهوان والحقار
لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة
عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير
شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك

الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مرّ في يخادعون من أنه يجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو
مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمّي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فإن قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ
بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله عزّ
وجلّ هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في
مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحلّ بهم من الهوان والذل وفيه أن الله عزّ وجلّ هو الذي يتولّى
الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله فإن قلت
فهلّا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله إنما نحن مستهزئون قلت لأنّ يستهزئ يفيد حدوث
الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم أولا يرون أنهم
يفتنون في كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتّك أستار وتكشّف أسرار و
نزول في شأنهم واستشعار حذر من أن تنزل فيهم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم
بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ويمدّهم في طغيانهم ويمدّهم في طغيانهم
من مدّ الجيش وأمدّه إذا زاده وألحق به ما يقوّيه ويكثّره وكذلك مدّ الدواة وأمدّها زادها ما
يصلحها ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومدّه الشيطان في الغي
وأمدّه إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيّه ويزداد انهماكا فيه فإن قلت لم زعمت أنه
من المدد دون المدّ في العمر والإملاء والإمهال قلت كفاك دليلا على أنه من المدد دون المدّ
قراءة ابن كثير وابن محيصن ويُمدّهم وقراءة نافع وإخوانهم يُمدّونهم على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو
مدّ له مع اللام كأملى له فإن قلت فكيف جاز أن يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين
ألا ترى إلى قوله وإخوانهم يمدّونهم في الغي قلت إما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التي
يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها
تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمّي ذلك التزايد مددا وأسند إلى الله سبحانه لأنه
مسبّب عن فعله بهم بسبب كفرهم وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان
إلى الله تعالى لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية بينه وبين إغواء عباده فإن قلت فما حملهم على
تفسير المدّ في الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرّهم
إلى ذلك خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسندوا إلى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه

اللفظ وشهد لصحته وإلا كان منه بمنزلة الأروى من النعام ومن حق مفسّر كتاب الله الباهر
وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي
سليما من القادح فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد
ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وأن هؤلاء من أهل الطبع والطغيان الغلو
في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه في طِغيانهم بالكسر وهما لغتان
كلُقيان ولِقيان وغُنيان وغِنيان فإن قلت أي نكتة في إضافته إليهم قلت فيها أن
الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته نفوسهم واجترحته أيديهم وأن الله بريء منه ردّا لاعتقاد
الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند إسناد المدّ إلى ذاته لو لم يضف
الطغيان إليهم أن الطغيان فعله فلما أسند المدّ إليه على الطريق الذي ذكر أضاف الطغيان
إليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك أنه حين أسند المدّ
إلى الشياطين أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة في قوله وإخوانهم يمدّونهم في الغي يعمهون والعمه
مثل العمى إلا أن العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري
أين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك أرضا
عمهاء لا منار بها أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت ومعنى اشتراء
الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لأن الاشتراء فيه
إعطاء بدل وأخذ آخر ومنه: أخذت بالجمة رأسا أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم إذ تنصّرا وعن وهب قال الله عزّ وجلّ فيما
يعتب به بني إسرائيل تفقّهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة
فإن قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه و
إعراضه لهم كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطّلوه واستبدلوها به ولأن الدين القيّم
هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن
القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في
الدين والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمّي الشف من أشفّ بعض ولده على بعض إذا فضّله
ولهذا على هذا شفّ فما ربحت تجارتهم والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة
تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن أبي عبلة تجاراتهم فإن قلت

كيف أسند الخسران الى التجارة وهو لأصحابها قلت هو من الإسناد المجازي وهو أن يسند الفعل الى شيء
يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فإن قلت هل يصح ربح عبدك
وخسرت جاريتك على الإسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت
أسدا وأنت تريد المقدام إن لم تقم حال دالة لم يصح فإن قلت هب أن شرى الضلالة بالهدى
وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة قلت
هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى
بأشكال لها وأخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك
نحو قول العرب في البليد كأن أذني قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة
فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة
معاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه
الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم
في أمه فما أم الردين وإن أدلت بعالمة بأخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها
تنفقناه بالحبل التؤام أي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم
يريد به اذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها استعار
التقصيع أولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله
ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فإن قلت ما معنى
قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم
شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لأن رأس مالهم كان هو الهدى
فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا
بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر دامر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له
رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار
المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر مثلهم لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل
زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن
ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى يريك المتخيل في صورة
المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة

الجامح الأبي ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام
الأنبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ومن سور
الإنجيل سورة الأمثال والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه
وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير
ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير
فإن قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين
ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الأسد
للمقدام للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي
استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة
العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في
التوراة أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر
فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن فإن قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي
موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم
موضع القائمين ونحوه من الصفات أمران أحدهما أن الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة و
تكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه
ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين والثاني أن جمعه ليس بمنزلة
جمع غيره بالواو والنون إنما ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع و
الواحد فيهن واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا على أن
المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم
بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله
ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت وقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته وقل في
الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض
الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها فلما أضاءت
الإضاءة فرط الإنارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية
متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد

أماكن وأشياء ويعضده قراءة ابن أبي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو أن يستتر في الفعل ضمير النار
ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة
حوله وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والإطافة وقيل للعام حول لأنه يدور فإن قلت
أين جواب لما قلت فيه وجهان أحدهما أن جوابه ذهب الله بنورهم والثاني أنه محذوف كما حذف
في قوله فلما ذهبوا به وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه وكان الحذف أولى
من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في
أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوات الضوء
خائبين بعد الكدح في إحياء النار فإن قلت فإذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم
قلت يكون كلاما مستأنفا كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل
فقال ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم أو يكون بدلا من جملة
التمثيل على سبيل البيان فإن قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في
الوجه الأول قلت مرجعه الذي استوقد لأنه في معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله
فلحمله على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى فإن قلت فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله
ذهب الله بنورهم قلت إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر فقد أطفأها الله وذهب
بنور المستوقد ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم إما أن
تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ألا
ترى إلى قوله كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وإما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة
بها إلى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فأطفأها الله وخيب أمانيهم فإن قلت كيف صح في
النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن
تدبره فإن قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت قلت ذكر النور أبلغ لأن
الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى
نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ألا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات و
الظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة
لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فإن قلت لم وصفت بالإضاءة قلت هذا على مذهب قولهم
للباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل للنزوة كل طماح ذهب الله بنورهم

والفرق بين أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى
به معه وذهب السلطان بماله أخذه فلما ذهبوا به إذا لذهب كل إله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى
أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب وقراءة اليماني أذهب الله نورهم
وتركهم وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فإذا علق بشيئين كان مضمنا
معنى صير فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم
في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين في ظلمات لا يبصرون والظلمة عدم
النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك وشغلك
لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلْمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد و
المفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال لا من
قبيل المقدر المنوي كأن الفعل غير متعد أصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون
فإن قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا
في حيرة فإن قلت وأين الإضاءة في حال المنافق وهل هو أبدا إلا حائر خابط في ظلماء الكفر
قلت المراد ما استضاؤوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور
هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن تشبه بذهاب
الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق
والأوجه أن يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة
بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة
التي اشتروها وطبع على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات صم بكم عمي لما
كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن
ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم وانتقضت بناها
التي بنيت عليها للإحساس والإدراك كقوله صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء
عندهم أذنوا أصم عما ساءه سميع أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد
أصمت عمرا وأعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فإن قلت كيف طريقته عند علماء البيان
قلت طريقة قولهم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا في الصفات وذاك في الأسماء
وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن

عن الخير ودجا الإسلام وأضاء الحق. فان قلت هل يسمى ما في الآية استعارة؟ قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير

لدى اسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد اظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول ... بأن له حاجة في السماء

ولبعضهم لا تحسبوا ان في سرباله رجلا ... ففيه غيث وليث مسبل مشبل

وليس لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فأتسلق بذلك الى تسميته استعارة لأنه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج

اسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر

فهم لا يرجعون ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤوا منه. او كصيب ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ

يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء

ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات ألا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته

أذاك أم نمش بالوشي أكرعه ... أذاك أم خاضب بالسي مرتعه

فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد نارا واظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق؟ قلت لقائل ان يقول شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيى به حيوة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الإسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا. فان قلت هذا تشبيه اشيا باشيا فأين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الأعمى

والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تأخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التورية وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فأما ان يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق. فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه؟ قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لأني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي أولي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ألا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد

وما الناس الا كالديار واهلها ... بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية. فان قلت اي التمثيلين ابلغ؟ قلت الثاني لأنه ادل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك اخروهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون الى الأغلظ. فان

قلت لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت أو في أصلها لتساوي شيئين
فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن أو ابن
سيرين تريد أنهما سيان في استصواب أن تجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا أي
الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله تعالى أو كصيب معناه أن كيفية قصة
المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وأن القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه
التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وإن مثلتها بهما جميعا فكذلك كصيب والصيب المطر الذي يصوب
أي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضا قال الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير
صيب لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الأول وقرئ كصائب
والصيب أبلغ من السماء فيه ظلمات والسماء هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف
فإن قلت قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون إلا من السماء قلت الفائدة
فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق لأن كل أفق
من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله وأوحى في كل سماء أمرها والدليل عليه قوله
ومن بعد أرض بيننا وسماء والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات
من جهة التركيب والبناء والتنكير أمد ذلك بأن جعله مطبقا وفيه أن السحاب من السماء ينحدر و
منها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من
برد فإن قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف
ورعد والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتفض إذا حدتها
الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد وبرق والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء
بريقا إذا لمع فإن قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو أن يراد به السحاب أو المطر
فأيهما أريد فما ظلماته قلت أما ظلمات السحاب فإذا كان أسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه
مضمومة إليهما ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة إظلال غمامه
مع ظلمة الليل فإن قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وإنما مكانهما السحاب قلت
إذا كانا في أعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه ألا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه
إلا في حيز يشغله جرمه فإن قلت هلا جمع الرعد والبرق أخذا بالأبلغ كقول البحتري
يا عارضا متلفعا ببروده ... يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان أحدهما

أن يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الأصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي
حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع والثاني أن يراد الحدثان كأنه قيل وإرعاد وإبراق
وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف
وبرق خاطف يجعلون أصابعهم في آذانهم وجاز رجوع الضمير في يجعلون إلى أصحاب
الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال أو هم قائلون لأن المحذوف باق معناه وإن
سقط لفظه ألا ترى إلى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لأن المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه
مستأنفا لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم
مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل
يكاد البرق يخطف أبصارهم فإن قلت رؤوس الأصابع هي التي تجعل في الآذان فهلا قيل
أناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم
وأيديكم فاقطعوا أيديهما أراد البعض الذي هو إلى المرفق والذي إلى الرسغ وأيضا في ذكر الأصابع
من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل فإن قلت فالأصبع التي تسد بها الأذن إصبع خاصة
فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها
أولى بآداب القرآن ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة
فإن قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس
في ذلك العهد وإنما أحدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون أي من أجل الصواعق
يجعلون أصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة من الصواعق والصاعقة قصفة رعد تنقض
معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء
إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت
ويقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق ومنه قوله تعالى
وخر موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لأن كلا البناءين سواء في التصرف
وإذا استويا كان كل واحد بناء على حياله ألا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب
مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها إما أن يكون صفة
لقصفة الرعد أو للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية أو مصدرا كالكاذبة والعافية حذر الموت

وقرأ ابن أبي ليلى حذر الموت وانتصب على أنه مفعول له كقوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره والموت
فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه إحساس معاقب للحيوة **والله محيط بالكافرين**
وإحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة
اعتراض لا محل لها **يكاد البرق يخطف أبصارهم** والخطف الأخذ بسرعة وقرأ مجاهد
يخطِف بكسر الطاء والفتح أفصح وعن علي وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخَطّف بفتح الياء والخاء
وأصله يختطف وعنه يِخِطّف بكسرهما على إتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يُخَطِّف من خطّف وعن أبي
يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم **كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا**
كلما أضاء لهم استيناف ثالث كأنه لما قيل كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا
تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون
وما يذرون إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة
فخطوا خطوات يسيرة فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في
قصيف الرعد **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل** ولو شاء الله
لزاد في قصيف الرعد فأصمهم أو في ضوء البرق فأعماهم وأضاء إما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا
أخذوه والمفعول محذوف وإما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده
قراءة ابن أبي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهو سعي فإذا ازداد فهو
عدو **فإن قلت** كيف قيل مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا **قلت** لأنهم حراص على وجود ما
همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف
والتحبس وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر وأن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد
له قراءة يزيد بن قطيب أُظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن أوس هما أظلما حالي ثمت أجليا
ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء
العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون
بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق إذا ركدت
وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم
وأبصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول
إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله فلو شئت أن أبكي دما لبكيته وقوله تعالى لو أردنا أن نتخذ

لهوا ولو أراد الله أن يتخذ ولدا ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق
وقرأ ابن أبي عبلة لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم **شيء قدير** والشيء أعم
العام كما أن الله أخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالأشياء أي معلوم
أن يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري أواخر الكلم من العربية وإنما يخرج
التأنيث من التذكير ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى والشيء مذكر
وهو أعم العام كما أن الله أخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالأشياء أي معلوم
لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال **فإن قلت** كيف قيل على كل شيء قدير وفي الأشياء ما لا تعلق
به بالقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر **قلت** مشروط في حد القادر أن لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل
مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان
أمير على الناس أي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وإن كان من جملة الناس وأما الفعل بين
قادرين فمختلف فيه **فإن قلت** مم اشتقاق القدير **قلت** من التقدير لأنه يوقع فعله على
مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي**
لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف
أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب
وهو من الالتفات المذكور عند قوله إياك نعبد وإياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز
وتحريك من السامع كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لك إن فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت
عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري
أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت
إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازا من طبعه لا
يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح
الآذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول وبلغنا بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة أن كل شيء نزل
فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم خطاب
لمشركي مكة ويا حرف وضع في أصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه وأما نداء القريب
فله أي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلا له منزلة من بعد فإذا نودي به
القريب المفاطن فذاك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جدا **فإن قلت**
فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر **قلت**

هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين
هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط فى جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله
واى وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذى وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف
المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجرى
مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذى يعمل فيه حرف النداء هو اى والاسم التابع له صفته
كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفى هذا التدرج من
الابهام الى التوضيح ضرب من التوكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين
معاضدة حرف النداء ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اى من الاضافة **فان قلت**
لم كثر فى كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر فى غيره **قلت** لاستقلاله باوجه من التاكيد و
اسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده
ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب
جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال
ان ينادوا بالآكد الابلغ **فان قلت** لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين
جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روى عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم
ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو انى فعلت كنت من تسأله وهو قائم ان يقوما واما الكفار
فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه **قلت** المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم
وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة
شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث
لم يفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركى مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم
من خلقهم ليقولن الله **فان قلت** فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا شيئين معا الامر بالعبادة
والامر بازديادها **قلت** الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر **فان قلت**
ربكم ما المراد به **قلت** كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا
بالخطاب فالمراد اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التى كانوا يسمونها اربابا وكان
قوله الذى خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفريقين جميعا فالمراد به على الحقيقة والذى
خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه فى خطاب الكفرة خاصة الا

ان الاول اوضح واصح **خلقكم والذين من قبلكم** والخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء يقال خلق
النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابو السميفع وخلق من
قبلكم وفى قراءة زيد بن على والذين من قبلكم وهى قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول
الثانى بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير فى قوله يا تيم تيم عدى لا ابا لكم تيم الثانى بين الاول وما اضيف
اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه فى لا ابا لك **لعلكم تتقون** ولعل للترجى او الاشفاق
تقول لعل زيدا يكرمنى ولعله يهيننى وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله
والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع فى مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من
كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاء به قال من قال
ان لعل بمعنى كى ولعل لا تكون بمعنى كى ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه
اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا فى مواعيدهم التى يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى
ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا
عثر على شئ من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك فى النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام
مالك الملك ذى العزة والكبرياء او يجئ على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها
الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم **فان قلت** فلعل التى فى الآية
ما معناها وما موقعها **قلت** ليست مما ذكرناه فى شئ لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء
الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد
ايضا ولكن لعل واقعة فى الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف
وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة فى اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع فى ايديهم
زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم فى صورة المرجو منهم ان يتقوا امرهم وهم مختارون بين الطاعة
والعصيان كما ترجحت حال المرتجى بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا
وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار **فان قلت**
كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم **قلت**
لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا **فان قلت**
فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم **قلت** ليست التقوى
غير العبادة حتى يؤدى ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا كان

عـه
اعلم انه لو لم يذكر قوله فكذلك فى هذا البين لكان المعنى واضحا اذ الكاف فى كما صفة
مصدر محذوف لقوله خلق الذين [illegible] والمعنى خلق الذين من
قبلهم لذلك اى لعلهم يتقون خلقا مثل خلق المخاطبين لعلهم يتقون واذ ذكره
فعول فى بيانه قوله كذلك خبر مبتدا محذوف وذلك اشارة الى خلق المخاطبين
لعلهم يتقون والتقدير خلق الذين من قبلهم كذلك اى مثل خلق المخاطبين
فكانه قال علمنا ذكرنا ان خلقهم كخلقهم و [illegible] كذلك على تفسير قوله لعلكم
تتقون

قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة وأشد إلزاما لها وأثبت لها في النفوس ونحوه أن تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني إلا لجر الأثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه

الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون

قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أولا لأنه سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا إلى النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وأن شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له أندادا وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته إما أن يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم أو على المدح والتعظيم وإما أن يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده فإن قلت هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها وإذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من أوتاد الأرض فهو في الأرض ذات الطول والعرض أسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان أو قبة أو خباء أو طرافا وأبنية العرب أخبيتهم ومنه بنى على امرأته لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا فإن قلت ما معنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى أنه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على أن ينشئ الأجناس كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال إلى حال وناقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وأفكارا

صالحة وزيادة طمأنينة وسكون إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في إنشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات وقوله فأخرجنا به ثمرات ولأن المنكرين أعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كأنه قيل وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لأنه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز أن تكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفا فإن قلت بم انتصب رزقا قلت إن كانت من للتبعيض كان انتصابه بأنه مفعول له وإن كانت مبينة كان مفعولا لأخرج فإن قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وإنما هي مدر متلاحق والثاني أن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الأول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا إياكم فإن قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة أوجه أن يتعلق بالأمر أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل لله ند ولا شريك أو بلعل على أن ينتصب تجعلوا انتصاب فأطلع في قوله عز وجل لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى في رواية حفص عن عاصم أي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه أو بالذي جعل لكم إذا رفعته على الابتداء أي هو الذي حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ قال جرير

أتيما تجعلون إلي ندا … وما تيم لذي حسب نديد

وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا إذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فإن قلت كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه فإن قلت لما تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه

أربا واحدا أم ألف رب … أدين إذا تقسمت الأمور

وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فإن قلت

ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق
الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا
كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور و
حسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كأنه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي
انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل
ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت
او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وان كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله
ان كنتم صادقين لما احتج عليهم بما اثبت الوحدانية وصححها وابطل الاشراك وهدمه وعلم
الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته
وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون
القرآن معجزة واراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم
الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته **فان قلت** لم قيل مما نزلنا
على لفظ التنزيل دون الانزال **قلت** لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه
لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل
هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى
عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال
المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله
ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا
انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات
وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة
من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسور المدينة وهي
حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من
العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال

النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور بمنزلة
المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة
شأنها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن
كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه **فان قلت** ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه
سورا **قلت** ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التورية والانجيل والزبور وسائر
ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة
الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل
وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان
انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر
اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ
القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه
اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه و
يغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت
القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها
لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة
كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد **فان قلت**
وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل **قلت** معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان
الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب
ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثري للحجاج وقد قال له لاحملنك
على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة
وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله
فأتوا بعشر سور مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب
والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل
لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا ينفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى
وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب

يمام

لو كان الضمير مردوداً الى رسول الله ان يقال وان ارتبتم في ان محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله ولانهم
اذا خوطبوا جميعاً وهم الجم الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي
من ان يقال لهم ليات واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم
والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون
وهو الدنيء الحقير ودوّن الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها
يقال هذا دون ذاك اذا كان احطّ منه قليلاً ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك
فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال
لعدوه وقد راءاه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حدٍّ الى حدّ
وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية
المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية
الله ولم تناليها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا
الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين
يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى
قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن
المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا
لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين
هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تابى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا
لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه
بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا
بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء
من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم
وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثاً غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم تسجيل منهم على انفسهم
بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك
الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم
من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم

واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من
شهداءكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا الآية فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين لما ارشدهم الى الجهة التي
منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من
باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن
محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب فيه دليلان على اثبات النبوة صحة
كون المتحدى به معجزاً والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم
بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما
ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك
فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق
من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكماً به
فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت والفائدة فيه انه جار
مجرى الكناية التي تعطيك اختصاراً ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت
زيداً في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالاً فتقول له بئس ما فعلت
ولو ذكرت ما ابنته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل
ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها
قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت
لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيداً وتشديداً تقول لصاحبك لا اقيم غداً فان انكر
عليك قلت لن اقيم غداً كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها
عن الخليل حرف مقتضب لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نوناً وعند سيبويه واحدى الروايتين
عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على
ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ
خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثف عدداً من الذابين عنه
فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في
اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم

صدق رسول الله واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا
العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار
لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك العناد ونظيره ان يقول
الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو
نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من
حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل
صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال
سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب
وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون
مثل قولك حيوة المصباح السليط اي ليست حيوته الا به فكأن نفس السليط حيوته فان قلت
صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان الآخرة توقد بالناس
والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله او سمعوا
قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت
فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة قلت تلك الآية نزلت
بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا
فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها
من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء
الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته
الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما
لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة
ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة
يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن و
شياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما
يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا
قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها

من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن
فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها
ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون
بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم
واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها
ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت
وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت لهم
وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة وبشر الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة
وهم فيها خالدون من عادته عز وجل في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة
بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم
واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات
وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المأمور بقوله وبشر
قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون كل احد كما قال عليه السلام بشر المشائين
الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به وهذا
الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر كل من قدر على البشارة
به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي
اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة
وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد و
الارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني
تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه
وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال
العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر
سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه

البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام
الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل
ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فأعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال
كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني والصالحات كل ما استقام من
الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس **فإن قلت** أي فرق بين لام الجنس
داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع **قلت** إذا دخلت على المفرد كان صالحا لأن يراد به
الجنس إلى أن يحاط به وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه وإذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع
الجنس وأن يراد بعضه لا إلى الواحد لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول
الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه **فإن قلت** فما المراد بهذا المجموع مع اللام **قلت**
الجملة من الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة
البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا أي
نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من
مصدر جنه إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان
فإن قلت الجنة مخلوقة أم لا **قلت** قد اختلف في ذلك والذي يقول إنها مخلوقة يستدل
بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنبي والرسول والكتاب
ونحوها **فإن قلت** ما معنى جمع الجنة وتنكيرها **قلت** الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة
على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان
فإن قلت أما يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف
بالكفر والإقدام على الكبائر وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك
قلت لما جعل الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول
أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وإنه
لا ينفع مع وجود مفسده إحسانا وأعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الناس عليه وأعزهم
ولئن أشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم
كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر **فإن قلت** كيف صورة جري
الأنهار من تحتها **قلت** كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية وعن مسروق

١ أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في
خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان والرياض
وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى
تجري فيها المياه وإلا كان الأنس الأعظم فائتا والسرور الأوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا أرواح
فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله بذكر الجنات إلا مشفوعا بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قران
واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب
على السعة وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق وصيد
عليه يومان **فإن قلت** لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار **قلت** أما تنكير الجنات فقد ذكر
وأما تعريف الأنهار فأن يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب
وألوان الفواكه تشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام
من تعريف الإضافة كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في
قوله فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من أن
يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد
السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس
فقيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أي أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا
الله **فإن قلت** ما موقع من ثمرة **قلت** هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئا
حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت
من تفاحها أو رمانها أو عنبها أو غير ذلك رزقا فالو ذلك فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء
الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل
أن تقول رزقني فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أي ثمرة رزقك من بستانه
فتقول من الرمان وتحريره أن رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء
من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير
وإنما المراد النوع من أنواع الثمار ووجه آخر وهو أن يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك
أسدا تريد أنت أسد وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة **فإن قلت** مذاهب

كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في
الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها وهذا كقولك
أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته فإن قلت إلام يرجع الضمير
في قوله وأتوا به قلت إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لأن قوله هذا الذي رزقنا
من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى
بهما أي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا أو فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير إلى المتكلم به لقيل
أولى به على التوحيد فإن قلت لأي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن
أجناسا أخر قلت لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه
طبعه وعافته نفسه ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه
ألف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا أفرط ابتهاجه و
اغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان
جنسا لم يعهده وإن كان فائقا حسب أن ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق
التبين فحين أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حد
البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة
ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة
في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية وأجلب للسرور
وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم
هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية
وتمام الفضيلة وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل أوان
عن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت
مكانها أخرى وأنهارها تجري في غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز أن يرجع الضمير
في وأتوا به إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه ويكون المعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا
في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذي
أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي
نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة إلى فيه حتى يبدل

الله مكانها مثلها فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك والتفسير الأول هو هو فإن قلت
كيف موقع قوله وأتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل
ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وما
أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الأزواج أن طهرن
مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس ويجوز لمجيئه مطلقا
أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء أهل الدنيا مما يكتسبن بأنفسهن
وما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الردية والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن
وخبثهن وكيدهن فإن قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان
فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة
وإذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى وجماعة أزواج
مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب
ما أحوجني إلى بيت الله فأطهر به أطهرة أي فأتطهر به تطهرة فإن قلت هلا قيل طاهرة قلت
في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الإشعار بأن مطهرا طهرهن وليس ذلك إلا الله
عز وجل المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم
الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون وقال
امرؤ القيس ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي
وهل ينعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا
ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين
كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون
سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه
من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل
أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من
المشاهد فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك

فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذن إلا أمرا تستدعيه حال الممثل له وتستجره إلى نفسها
فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ألا ترى إلى الحق لما كان واضحا جليا أبلج كيف تمثل له بالضياء
والنور وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار
أندادا لله تعالى لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن
وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع
ولم يقل للممثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية
مضربه محتذ على مثال ما يحتكيه ويستدعيه ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على
العدل والسوية والنظر في الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر
الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم
غصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم أو عرفوا أنه الحق إلا أن حب الرياسة وهوى
الإلف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا فإذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه
بالإنكار وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم
كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات
والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء
فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة
وآكل من السوس وقالوا في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض
ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة
والدود والزنابير والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تغبى استقامته وصحته على من به أدنى
مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بأمارة ولا إقناع
أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة و
المغالطة إذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في
كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله هذه الآية
والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال
حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحيي لما يعتريه من
الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورأيت

الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فإن قلت كيف جاز وصف القديم
سبحانه بالحياء ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار
على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج
إليه حياء منه وكذلك معنى قوله إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن
يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن يقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا
بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز
عجيب منه قول أبي تمام من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح
فقال إنك لسبط الشهادة فقال الرجل إنها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء
الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع
تجعيدها ولله در أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت
عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه إذا ما استحين الماء يعرض نفسه
كرعن بسبت في إناء من الورد وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي
بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماده و
صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اصطنع رسول الله خاتما من ذهب وما هذه إبهامية
وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته شياعا وعموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب
كان أو صلة للتأكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قال لا يستحيي أن يضرب مثلا حقا أو البتة هذا إذا نصبت
بعوضة فإن رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لأن التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف
في تماما على الذي أحسن ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من
تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال إن الله لا يستحيي أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء المحقرة مثلا
بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى أن لله أن يتمثل
للأنداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ وبما لا يدركه لتناهيه
في صغره إلا هو وحده بلطفه أو بالمعدوم كما تقول العرب فلان أقل من لا شيء في العدد ولقد ألم به
في قوله تعالى إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن العجاج وهو
أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما أظنه ذهب في هذه القراءة

إلا إلى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بأنها عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب
ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض
من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وأنشد لنعم البيت بيت أبي دثار
إذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع
فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا
وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان أسفل الناس وأنذلهم هو فوق ذاك تريد هو أبلغ وأعرق
فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من
ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بأدنى
شيء فيقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما يبخل
فيه وهو الدرهم والدرهمان كأنك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح
مسلم عن إبراهيم عن الأسود قال دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون
فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب فقالت لا تضحكوا
إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما
أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو أشد من الشوكة
وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط **فإن قلت** كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية
في الصغر **قلت** ليس كذلك فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله مثلا
للدنيا وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد
يجليها للبصر الحاد إلا تحركها فإذا سكنت فالسكون يواريها ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت
مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها
ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض
ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وأنشدت لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب عن فرطاته
ما كان منه في الزمان الأول وأما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام
أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد

الذهاب وأنه منه عزيمة قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب
وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وأنه في معنى الشرط ففي إيراد الجملتين مصدرتين
به وأن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد
بعلمهم أنه الحق ونعي على الكافرين إغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي
لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه
وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فتكون كلمتين وأن تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا
فتكون كلمة واحدة فهو على الوجه الأول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل
في حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله والأصوب في جوابه أن يجيء على الأول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق
الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رأيت خيرا أي المرئي خير وفي جواب
ما الذي رأيت خيرا أي رأيت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب
على التقديرين والإرادة نقيض الكراهة وهي مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك
وفي حدود المتكلمين الإرادة معنى يوجب للحي حالا لأجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في
إرادة الله فبعضهم على أن للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو أمر زائد على كونه عالما غير
ساه وبعضهم على أن معنى إرادته لأفعاله هو أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى إرادته لأفعال غيره
أنه أمر بها والضمير في أنه الحق للمثل أو لأن يضرب وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا استرذال واستحقار
كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن أجاب
بجواب غث ماذا أردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال كقوله هذه
ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين
بأما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه
حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا إلى نورهم وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة
التي زادت الجهلة خبطا في ظلمائهم **فإن قلت** لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من
عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس أخبر تقله **قلت** أهل
الهدى كثير في أنفسهم وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال وأيضا فإن
القليل من المهديين في الحقيقة وإن قلوا في الصورة فسموا ذهابا إلى الحقيقة كثيرا إن الكرام كثير في
البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب

لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه
دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد فقال يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى
سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود
على رجلك وقرأ زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به إلا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال
رؤبة يصف إبلا فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب
الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا إن أول من حد له هذا الحد أبو
حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن أشياعه وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث و
يغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد
عداوته وأن لا يقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال
للخلعاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان
يريد اللمز والتنابز إن المنافقين هم الفاسقون النقض الفسخ وفك التركيب فإن قلت
من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الا
ستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله إن بيننا
وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى إن الله أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك وهذا من أسرار
البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا
بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وإذا تزوجت امرأة
فاستوثق ما لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش والعهد
الموثق وعهد إليه في كذا إذا أوصاه به ووثقه عليه واستعهد منه إذا اشترط عليه واستوثق منه
والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا فإن قلت
فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم
وهو معنى قوله وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول
يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدم من الكتب المنزلة عليهم كقوله وأوفوا
بعهدي أوف بعهدكم وقوله في الإنجيل لعيسى صلوات الله عليه سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني
إسرائيل وما أريته إياهم من الآيات وما أنعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما
ضيعوا من عهدي إليهم وحسن صنيعي للذين قاموا بميثاق الله وأوفوا بعهده ونصروا إياهم وكيف

أنزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لأن اليهود فعلوا باسم عيسى ما
فعلوا باسم محمد صلى الله عليهما وسلم من التحريف والجحود وكفروا كما كفروا به وقيل هو أخذ الله العهد عليهم
أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود عهد
الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم الإقرار بربوبيته وهو قوله وإذ أخذ ربك وعهد خص به
النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم
وعهد خص به العلماء وهو قوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى
توثقته كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى أي من بعد
توثقته عليهم أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله ومعنى قطعهم ما أمر
الله به أن يوصل قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة و
الاتحاد والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض فإن قلت ما الأمر قلت
طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور لأن الداعي الذي يدعو
إليه من يتولاه شبه بأمر يأمره به فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له
شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده هم الخاسرون لأنهم استبدلوا
النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها كيف تكفرون بالله
وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون معنى الهمزة التي
في كيف مثله في قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو للإنكار و
التعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فإن قلت قولك أتطير بغير
جناح إنكار للطيران لأنه مستحيل بغير جناح وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الإماتة والإحياء
قلت قد أخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان فإن
قلت فقد تبين أمر الهمزة وأنها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته في نفسه أو لقوة الصارف
عنه فما تقول في كيف حيث كان إنكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة
لذاته فإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان إنكار حال الكفر لأنها تبيع ذات
الكفر ورديفها إنكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ
وتحريره أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم أن كل موجود لا ينفك من حال

وصفة عند وجوده ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم أمواتا للحال فإن قلت فكيف صح أن يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الأمير ولكن وقد قام إلا أن يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم أمواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم أمواتا إلى ترجعون كأنه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فإن قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كأنه قيل كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة وبأولها وآخرها فإن قلت فقد آل المعنى إلى قولك على أي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا أن معنى الاستفهام في كيف الإنكار وأن إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية فكأنه قيل ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فإن قلت إن اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم لم يتصل بالإحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة إليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والأموات جمع ميت كالأقوال في جمع قيل فإن قلت كيف قيل لهم أموات في حال كونهم جمادا وإنما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الأرض الميتة أموات غير أحياء ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما في أن لا روح ولا إحساس فإن قلت ما المراد بالإحياء الثاني قلت يجوز أن يراد به الإحياء في القبر وبالرجوع النشور وأن يراد به النشور وبالرجوع المصير إلى الجزاء فإن قلت لم كان العطف الأول بالفاء والأعقاب بثم قلت لأن الإحياء الأول تعقب الموت بغير تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت إن أريد به النشور تراخيا ظاهرا وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور فإن قلت من أين أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها ألأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر أم على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الأمرين جميعا لأن ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من أعظم النعم لكم لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم أما الانتفاع الدنيوي فظاهر وأما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الأنس

واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمناظر الحسنة البهية وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والأحناش والسموم والغموم والمخاوف

هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم

وقد استدل بقوله خلق لكم على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الأصل مباحة مطلقا لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها فإن قلت هل لقول من زعم أن المعنى خلق لكم الأرض وما فيها وجه صحة قلت إن أراد بالأرض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك فإن الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره إذا قام واعتدل ثم قيل استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى إلى السماء أي قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق ما في الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى إلى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع إلى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الأول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه من العوج والفطور أو إتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم فإن قلت ما فسرت به معنى الاستواء إلى السماء يناقضه ثم لإعطائه معنى التراخي والمهلة قلت ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات والأرض على خلق الأرض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على أنه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لأن المعنى أنه حين قصد إلى السماء لم يحدث فيما بين ذلك في تضاعيف القصد إليها خلقا آخر فإن قلت أما يناقض هذا قوله والأرض بعد ذلك دحاها قلت لا لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله كانتا رتقا والارتتاق

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون

إذ نصب بإضمار اذكر

ويجوز أن ينتصب بقالوا والملائك جمع ملأك على الأصل كالشمائل في جمع شمأل وإلحاق التاء لتأنيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله في الأرض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصيّر في الأرض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لأنهم كانوا سكان الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته **فإن قلت** فهلا قيل خلائف أو خلفاء **قلت** أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر أبي القبيلة في قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أو خلقا يخلفكم فوحّد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز أن يريد خليفة مني لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي إنا جعلناك خليفة في الأرض **فإن قلت** لأي غرض أخبرهم بذلك **قلت** ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلّم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصائحهم وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة أتجعل فيها تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير ولا يريد إلا الخير **فإن قلت** من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وإنما هو غيب **قلت** عرفوه بإخبار من الله أو من جهة اللوح أو ثبت في علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك من أسفك وسفّك والواو في ونحن للحال كما تقول أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الأرض والماء وقدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد وبحمدك في موضع الحال أي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لأنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك أعلم ما لا تعلمون أي أعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم **فإن قلت** هلا بيّن لهم تلك المصالح **قلت** كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وإن خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على أنه قد بيّن لهم بعض ذلك فيما أتبعه من قوله وعلم آدم الأسماء كلها

وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون

واشتقاقهم آدم من الأدمة ومن أديم الأرض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وإدريس

من الدرس وإبليس من الإبلاس وما آدم إلا اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ وأشباه ذلك الأسماء كلها أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء لأن الاسم لا بد له من مسمى وعوّض منه اللام كقوله واشتعل الرأس **فإن قلت** هلا زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأن الأصل وعلم آدم مسميات الأسماء **قلت** لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات لقوله أنبئوني بأسماء هؤلاء أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم فكما علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات ولم يقل أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها **فإن قلت** فما معنى تعليمه أسماء المسميات **قلت** أراه الأجناس التي خلقها وعلّمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلّمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم أي عرض المسميات وإنما ذكّر لأن في المسميات العقلاء فغلّبهم وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت إن كنتم صادقين يعني في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء إرادة للرد عليهم وأن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا فأراهم بذلك وبيّن لهم بعض ما أجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله إني أعلم ما لا تعلمون وقوله ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض استحضار لقوله لهم إني أعلم ما لا تعلمون إلا أنه جاء به على وجه أبسط من ذلك وأشرح وقرئ وعُلِّم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ أبيّ عرضها والمعنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها لأن العرض لا يصح في الأسماء وقرئ أنبئهم بقلب الهمزة ياء وأنبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وأبو يوسف وإخوته له ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فيه وقرأ أبو جعفر للملائكةُ اسجدوا بضم التاء للإتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع إلا في لغة ضعيفة كقولهم الحمدُ لله إلا إبليس استثناء متصل لأنه كان جنيا واحدا بين أظهر الألوف من الملائكة مغمورا بهم فغلّبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز أن يجعل منقطعا أبى امتنع مما أمر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك أبى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن أمر ربه

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين

وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين

السكنى من السكون لأنها نوع من اللبث والاستقرار وأنت تأكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر أي أكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم أي أي مكان من الجنة شئتما

أطلق لهما الأكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين أشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي الشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن أبي عمرو أنه كرهها وقال يقرأ بها برابر أهل مكة وسودانها فتكونا من الظالمين من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي

فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين

الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن أمري وقوله ينهون عن أكل وشرب وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فأزالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقراءة عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لأن المعنى صدرت وسوسته عنها **فإن قلت** كيف توصل الى إزلالهما ووسوسته لهما بعدما قيل له اخرج منها فإنك رجيم **قلت** يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم

معنى تلقي الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بأن بلغته واتصلت به **فإن قلت** ما هن **قلت** قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وعن ابن مسعود ان أحب الكلام الى الله ما قاله أبونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت

وعن ابن عباس قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب ألم تنفخ فيّ الروح من روحك قال بلى قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت وأصلحت أراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لأنها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول

قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

فإن قلت لم كرر قلنا اهبطوا **قلت** للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله فإما يأتينكم مني هدى **فإن قلت** ما جواب الشرط الأول **قلت** الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فإن قدرت أحسنت اليك والمعنى فإما يأتينكم مني هدى برسول أبعثه اليكم وكتاب أنزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي **فإن قلت** لم جيء بكلمة الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه **قلت** للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الإيمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة ومكنهم من النظر والاستدلال **فإن قلت** الخطيئة التي أهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والإخراج من الجنة والإهباط من السماء كما فعل بإبليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة **قلت** ما كانت الا صغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة التي هي أجل الأعمال وأعظم الطاعات وإنما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هديّ على لغة هذيل فلا خوف بالفتح

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون

إسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة إبرهيم وإسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ إسرائل وإسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل

والتوبة عليهم وغير ذلك وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد صلى الله عليه المبشَّر به في التورية والإنجيل والعهد يضاف إلى المعاهِد جميعاً يقال أوفيت بعهدي أي ما عاهدت عليه كقوله ومن أوفى بعهده من الله وأوفيت بعهدك أي بما عاهدتك عليه ومعنى وأوفوا بالعهدي وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان والطاعة كقوله ومن أوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم وإياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيداً رهبته وهو أوكد في إفادة الاختصاص من إياك نعبد وقرئ أوفّ بالتشديد أي أبالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز أن يريد بقوله وأوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الإيمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم أول كافر به أول من كفر به أو أول فريق أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة أي كل واحد منا وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحي إليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة إلى قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعني من أشرك به من أهل مكة أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكوراً في التورية موصوفاً مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لأنهم إذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم إذ تنصرا فإني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمناً وإلا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعاً لرسول الله فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير إليه قليل وكل كبير إليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كان علماؤهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون إليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرّون عليهم الأموال ليكتموا ويحرّفوا الباء التي في الباطل إن كانت صلة

ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين الباء التي في الباطل إن كانت صلة مثلها في قولك لبست الشئ بالشئ وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي

كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وإن كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبساً مشتبهاً بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو منصوب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع أي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن **فإن قلت** لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لأنهم إذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق **قلت** بل هما متميزان لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد أو حكم كذا أو يمحوا ذلك أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وأنتم تعلمون في حال علمكم أنكم لابسون كاتمون وهو أقبح لهم لأن الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه وأقيموا الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لأن اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز أن يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمراً بأن تصلي مع المصلين لا منفردا

أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون أتأمرون للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الأحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وإذا أتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني أن ناساً من أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف إلى غيرها وتنسون أنفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وأنتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وأنتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول لأن العقول تأباه وتدفعه ونحوه أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون

واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واستعينوا على حوائجكم إلى الله بالصبر والصلوة أي بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من إخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية

والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسأل فك الرقاب عن سخطه
وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها واستعينوا على البلايا والنوائب
بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه اذا حزبه أمر فزع الى
الصلوة عند وقوعها وعن ابن عباس انه نُعي اليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق
فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر
الصوم لأنه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز أن يراد بالصلوة الدعاء وأن
يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله تعالى في دفعه وإنها الضمير للصلوة
أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا
لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الأمر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **فان قلت**
ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل **قلت** لأنهم يتوقعون ما ادّخر للصابرين على
متاعبها فتهون عليهم ألا ترى الى قوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم أي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده
ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون أن لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك
ولذلك فسّر يظنون بيتيقنون وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة
فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بأعمالهم ومثاله من وُعد على بعض الأعمال والصنائع أجرة زائدة على مقدار
عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كأنه يستلذ مزاولته بخلاف عامل
يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روّحنا والخشوع
الإخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة وأما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها إذا لينته وأني فضلتكم نصب عطف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير
من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة **واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها شفاعه ولا يوخذ منها عدل ولا هم ينصرون**
يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك
ولا تجزي عن أحد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي قليلا من الجزاء كقوله تعالى
ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تُجزئ من أجزأ عنه اذا أغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الإجزاء و
قرأ أبو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما **فان قلت**
فأين العائد منها الى الموصوف **قلت** هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما أنشد أبو علي

ترجّى أحد ان تقلي اي ما أحد بأن تقلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فأجرى مجرى
المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله أم مال أصابوا ومعنى التنكير أن نفسا من
الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الأشياء وهو الإقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله
ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل أي فدية لأنها معادلة للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه
صرف ولا عدل أي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله
عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا **فان قلت**
هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة **قلت** نعم لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقا
أخلّت به من فعل أو ترك ثم نفى أن تقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة **فان قلت**
الضمير في قوله ولا تقبل منها الى أي النفسين يرجع **قلت** الى الثانية العاصية غير المجزي عنها
وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة إن جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز
أن يرجع الى النفس الأولى على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو أعطت عدلا
عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى
**واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** أصل آل أهل ولذلك يصغر بأهيل فأبدلت هاؤه ألفا
وخص استعماله بأولي الخطر والشأن كالملوك وأشباههم ولا يقال آل الإسكاف والحجام وفرعون علم لمن
ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا
وتجبر وفي ملح بعضهم فقد جاءه الموسى الكلوم فزاد في أقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ
أنجيناكم ونجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا أولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام
الناس خسفا أبينا أن يقر الخسف فينا وأصله من سام السلعة اذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم سوء العذاب
ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء
العذاب كله سيء أشده وأفظعه كأنه قبحه بالإضافة الى سائره ويذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك
ترك العاطف لقوله يضاعف له العذاب ويخلد قول الذين كفروا وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت
الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتّلون وانما فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد
مولود يكون على يده هلاكه كما أنذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء
المحنة إن أشير به الى صنيع فرعون والنعمة إن أشير به الى الإنجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرّقنا

وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ۝ وإذ واعدنا موسى
أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ۝ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك
لعلكم تشكرون ۝ فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرّقنا
بمعنى فصّلنا يقال فرق بين الشيئين وفرّق بين الأشياء لأن المسالك كانت اثني عشر على عدد الأسباط
فإن قلت ما معنى بكم قلت فيه أوجه أن يراد أنهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم
فكأنما فُرق بهم كما يُفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وأن يراد فرقناه بسببكم وبسبب إنجائكم وأن يكون في
موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبساً بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا أي تدوسها ونحن راكبوها
وروي أن بني إسرائيل قالوا لموسى أين أصحابنا لا نراهم قال سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا
نرضى حتى نراهم فقال اللهم أعني على أخلاقهم السيئة فأوحي إليه أن قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان
فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وأنتم تنظرون إلى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه
لما دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه وعد الله موسى أن ينزل
عليه التوراة وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل أربعين ليلة لأن الشهور غررها
بالليالي وقرئ واعدنا لأن الله وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات إلى الطور وأنتم ظالمون بإشراككم
ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الأمر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون
إرادة أن تشكروا النعمة في العفو عنكم ۝ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم
تهتدون ۝ الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتاباً منزلاً وفرقاناً يفرق بين الحق والباطل
يعني التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجرأة ونحوه قوله تعالى و
لقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقاناً وضياءً وذكراً
أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع
الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله
يوم الفرقان يريد يوم بدر ۝ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم
العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم
إنه هو التواب الرحيم ۝ فاقتلوا أنفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه ليقتل بعضكم بعضاً
وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة وروي أن الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه
فلم يمكنهم المضي إلى أمر الله فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وأمروا أن يحتبوا

بأفنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه أو حل حبوته
أو اتقى بيد أو رجل فيقولون آمين فقتلوهم إلى المساء حتى دعا موسى وهارون وقالا يا رب هلكت بنو
إسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من أيديهم وكانت القتلى
سبعين ألفاً فإن قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الأولى للتسبيب لا غير لأن الظلم سبب
التوبة والثانية للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم من قبل أن الله تعالى جعل توبتهم قتل
أنفسهم ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة
متعلقة بمحذوف ولا يخلو إما أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كأنه قال فإن فعلتم فقد
تاب عليكم وإما أن تكون خطاباً من الله على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما أمركم به موسى
فتاب عليكم بارئكم فإن قلت من أين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ
هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزاً بعضه من بعض
بالأشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي
برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر إلى عبادة البقر التي هي مثل في
الغباوة والبلادة في أمثال العرب أبلد من ثور حتى عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بأن يفك
ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم وأشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة
من لا يقدر على شيء منها ۝ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم
الصاعقة وأنتم تنظرون ۝ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ۝
قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم جهرة عياناً وهو مصدر من قولك
جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها
وانتصابها على المصدر لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو
على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهَرة بفتح الهاء وهي إما مصدر كالغلبة وإما جمع جاهر وفي هذا
الكلام دليل على أن موسى عليه السلام رادّهم القول وعرّفهم أن رؤيته ما لا يجوز عليه أن يكون في
جهة محال وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض فرادّوه بعد بيان الحجة
ووضوح البرهان ولجّوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصاعقة كما سلط على أولئك
القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم أي أماتهم قيل
نار وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنوداً سمعوا بحسها

خرّوا صعقين ميّتين يوماً وليلة وموسى عليه لم يكن صعقته موتاً ولكن غشية بدليل قوله فلما
أفاق والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله وأنتم تنظرون وقرأ علي رضي الله عنه فأخذتكم
الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعد ما كفرتموها إذا رأيتم بأس الله في رميكم
بالصاعقة وإذاقتكم الموت وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى
كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وظللنا وجعلنا
الغمام يظلّلكم وذلك في التيه سخّر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلّهم من الشمس وينزل عليهم
المنّ وهو الترنجبين بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتّسخ ولا تبلى وينزل عليهم المنّ وهو
الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم
السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على إرادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بأن كفروا
هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية
فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم
وسنزيد المحسنين والقرية بيت المقدس وقيل أريحا من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه
والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلّون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة
موسى أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكراً لله وتواضعاً وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين
ليكون دخولهم بخشوع وإخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحّفين
على أوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرك
حطة والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا
مبتلى والأصل صبراً على اصبر صبراً وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الأصل وقيل أمرنا حطة أي أن نحط في
هذه القرية ونستقر فيها فإن قلت هل يجوز أن تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى
قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والأجود أن تنصب بإضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا
وقرئ يُغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين أي من كان محسناً منكم كانت
تلك الكلمة سبباً في زيادة ثوابه ومن كان مسيئاً كانت له توبة ومغفرة فبدّل الذين ظلموا
قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا
يفسقون فبدّل الذين ظلموا أي وضعوا مكان حطة قولاً غيرها يعني أنهم أمروا بقول معناه
التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وليس الغرض

أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بلفظ آخر لأنهم لو جاؤوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به لم يؤاخذوا
به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب إليك أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة
حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاءً منهم بما قيل لهم وعدولاً عن طلب ما عند الله
إلى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بأن إنزال الرجز
عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الأعراف فأرسلنا عليهم على الإضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء
وروي أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفاً وقيل سبعون ألفاً وإذ استسقى
موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم
كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين عطشوا في التيه فدعا لهم
موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام إما للعهد والإشارة إلى حجر معلوم فقد روي أنه
حجر طوري حمله معه وكان حجراً مربعاً له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث أعين لكل سبط عين
تسيل في جدول إلى السبط الذي أمران يسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلاً وقيل
أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب فدفعه إليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه
ثوبه حين اغتسل إذ رموه بالأدرة ففرّ به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فإن فيه قدرة
ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته وإما للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره أن يضرب
حجراً بعينه قال وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة وروي أنهم قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض
ليست فيها حجارة فحمل حجراً في مخلاته حيث ما نزلوا ألقاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس
فقالوا إن فقد موسى عصاه متنا عطشاً فأوحى إليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل
كان من رخام وكان ذراعاً في ذراع وقيل مثل رأس الإنسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة
أذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف
أي فضرب فانفجرت أو فإن ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة
لا تقع إلا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان كل أناس كل سبط مشربهم عينهم التي
يشربون منها كلوا على إرادة القول من رزق الله مما رزقكم الله من الطعام وهو المن والسلوى ومن
ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي أشد الفساد
فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال إفسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على
طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها و

وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم
ما سألتم وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون
النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فأجروا ما كانوا
فيه من النعمة وطلبت أنفسهم الشقاء على طعام واحد أرادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فإن
قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل
ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا
يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ
وضربنا به من الأشياء المتقاربة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما
أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث
وأشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا أي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة
ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل أتستبدلون الذي هو أدنى الذي هو أقرب منزلة وأدون مقدارا
والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس
ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرئ أدنأ من الدناءة
اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم أي انحدروا إليه من التيه يقال هبط الوادي إذا نزل به وهبط منه
إذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل أن
يريد العلم وإنما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا
وفيهما العجمة والتعريف وإن أريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وأن يريد مصرا من الأمصار وفي مصحف
عبد الله وقرأ به الأعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم فعرب وضربت عليهم الذلة
محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب
الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم و
تفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن
يقتل به لمساواته له ومكافأته أي صاروا أحقاء بغضبه ذلك إشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة
والخلاقة بالغضب أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم
فإن قلت قتل الأنبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم
لأنهم لم يقتلوا ولم يفسدوا في الأرض فيقتلوا وإنما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا
وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي الله عنه بالتشديد ذلك

تكرار للإشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله
وقتلهم الأنبياء وقيل هو اعتداؤهم على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى
قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الأنبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا إن الذين آمنوا
والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون إن الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم
المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد وتهود إذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع
هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال كما تحدث نصرانة لم تحنف
والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري سموا لأنهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبا إذا خرج من
الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا
خالصا ودخل في ملة الإسلام دخولا أصيلا وعمل صالحا فلهم أجرهم الذي يستوجبونه بإيمانهم وعملهم
فإن قلت ما محل من آمن قلت الرفع إن جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم والنصب إن جعلته
بدلا من اسم إن والمعطوف عليه فخبر إن في الوجه الأول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من
معنى الشرط وقرأ علي رضي الله عنه وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم
بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته
لكنتم من الخاسرين وقرأ علي رضي الله عنه وإذ أخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا
فوقكم الطور حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من
الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبرئيل فقلع الطور من أصله ورفعه فظلله
فوقهم وقال لهم موسى إن قبلتم وإلا ألقي عليكم حتى قبلوا خذوا على إرادة القول ما آتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون
رجاء منكم أن تكونوا متقين أو قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا ثم توليتم ثم أعرضتم عن الميثاق
والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها
نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت
سبتها وإن ناسا منهم اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا
بالصيد وذلك أن الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا أخرج خرطومه يوم السبت فإذا مضى

تفرّق كما قال تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم لذلك نبلوهم فحفروا حياضاً
عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد فذلك الحبس في الحياض
هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصّغار والطرد فجعلناها
يعني المسخة نكالاً عبرة تنكّل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النّكل القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما
من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او
اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والأمم وقيل نكالاً عقوبة منكّلة لما بين يديها لأجل ما تقدمها من
ذنوبهم وما تأخّر منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متّق سمعها

واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله
ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا
فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اخيه
ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا
فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزؤا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوّا بنا او الهزؤ نفسه لفرط
الاستهزاء من الجاهلين لأن الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون
الزاي نحو كفؤا وكفءا وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد
ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها
ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنّة وقد
فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا ٭ تساق اليه ما تقوم على رجل
وكأنها سميت فارضا لأنها فرضت سنّها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتيّة والعوان النّصف وقال
نواعم بين ابكار وعون وقد عوّنت فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك
قلت لأنه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز
ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكّر قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدّم
للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمّة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر افعالا كثيرة
وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذاك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت
لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق ٭ كأنه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كأنها
وان اردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال اردت كأن ذاك ويلك والذي حسّن منه ان اسماء الاشارة

تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما
تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين
الفقوع اشدّ ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك
وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن
اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس
بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي
فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة
صفرتها فهو من قولك جدّ جدّه وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيّل اليك ان شعاع الشمس
يخرج من جلدها والسرور لذّة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس
نعلا صفراء قلّ همّه لقوله تعالى تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة
السواد ولعله مستعار من صفة الابل لأن سوادها تعلوه صفرة وبه فسّر قوله تعالى جمالات صفر
وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي ٭ هن صفر اولادها كالزبيب قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن
حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي عليه السلم لو اعترضوا ادنى
بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء انه كتب
الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدأ فقال ان قلت
لك بقطع الشجر سألتني باي نوع منها ابدأ وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة
سألتني اضائن ام ماعز فان بيّنت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك
بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرّم فحرّم لأجل مسألته ان البقر
تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه
بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة
ان الباقر يشّابه بالياء والتشديد جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بيّنت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان
شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن

جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون لا ذلولٌ صفةٌ لبقرةٍ بمعنى بقرةٌ غيرُ ذلولٍ يعني
لم تُذلَّلْ للكِراب وإثارةِ الأرض ولا هي من النواضح التي يُسنى عليها لسقي الحروث ولا الأولى للنفي
والثانية مزيدةٌ لتوكيد الأولى لأنّ المعنى لا ذلولٌ تُثيرُ وتَسقي على أنّ الفعلين صفتان لذلولٍ كأنه قيل
لا ذلولٌ مُثيرةٌ وساقيةٌ وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمي لا ذلولَ بمعنى لا ذلولَ هناك أي حيث هي وهو نفيٌ
لذلّها ولأن توصَف به فيُقال هي ذلولٌ ونحوه قولك مررتُ بقومٍ لا بخيلٍ ولا جبانٍ أي فيهم أو حيث
هم وقُرئ تُسقي بضم التاء من أسقى مُسلَّمةٌ سلَّمها الله من العيوب أو معفاةٌ من العمل سلَّمها أهلُها منه
كقوله أو مُعبَرُ الظهرِ يُنبي عن وَليّتِه ما حجَّ ربُّه في الدنيا ولا اعتمرا أو مُخلَّصةُ اللونِ من سلم له كذا
إذا خلص له لم يَشُبْ صُفرتَها شيءٌ من الألوان لا شِيَةَ فيها لا لُمعةَ في نُقبتها من لونٍ آخرَ سوى الصُّفرة
فهي صفراءُ كلُّها حتى قرنُها وظِلفُها وهي في الأصل مصدرُ وشاه وَشْيًا وشِيَةً إذا خلط بلونه لونًا آخرَ ومنه
ثورٌ مُوَشّى القوائم الآن جئتَ بالحق أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي إشكالٌ في أمرها فذبحوها أي
فحصَّلوا البقرةَ الجامعةَ لهذه الأوصاف كلِّها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقالٌ لاستقصائهم
واستبطاءٌ لهم وأنهم لتطويلهم المُفرِط وكثرةِ استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم
وما كاد ينقطع خيطُ إسهابهم فيها وتعمُّقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في
ظهور القاتل ورُوي أنه كان في بني إسرائيل شيخٌ صالحٌ له عِجلةٌ فأتى بها الغيضةَ وقال اللهم إني أستودعكها
لابني حتى يكبَر وكان برًّا بوالديه فشبَّت وكانت من أحسن البقر وأسمنِه فساوموها اليتيمَ وأمَّه حتى
اشتروها بملء مَسكها ذهبًا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانيرَ وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين
سنةً فإن قلت كانت البقرة التي تناولها الأمرُ بقرةً من شِقّ البقر غيرَ مخصوصةٍ ثم انقلبت مخصوصةً
بلونٍ وصفاتٍ فذبحوا المخصوصة فما فعل الأمرُ الأوّل قلت رجع منسوخًا لانتقال الحكم إلى البقرة المخصوصة
والنسخُ قبل الفعل جائزٌ على أنّ الخطاب كان لإبهامه متناولًا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرَها ولو وقع
الذبحُ عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالًا له فكذلك إذا وقع عليها بعد التخصيص وإذ قتلتم
نفسًا فادّارأتم فيها والله مخرجٌ ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى
ويريكم آياته لعلكم تعقلون وإذ قتلتم نفسًا خوطبت الجماعةُ لوجود القتل فيهم فادّارأتم فاختلفتم و
اختصمتم في شأنها لأنّ المتخاصمين يدرأ بعضُهم بعضًا أي يدفعه ويزحمه أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضُكم
على بعضٍ فدفع المطروحُ عليه الطارحَ أو لأنّ الطرحَ في نفسه دفعٌ أو دفع بعضُكم بعضًا عن البراءة واتّهمه
والله مُخرجٌ ما كنتم تكتمون مُظهِرٌ لا محالةَ ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتومًا فإن قلت كيف أعمل مُخرجٌ

وهو في معنى المضيّ قلت قد حكى ما كان مستقبلًا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضرَ في قوله باسطٌ ذراعيه
وهذه الجملة اعتراضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادّارأتم فقلنا والضميرُ في اضربوه إمّا أن يرجع إلى النفس
والتذكيرُ على تأويل الشخص والإنسان وإمّا إلى القتيل لما دلّ عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض
البقرة واختُلف في البعض الذي ضُرب به فقيل لسانُها وقيل فخذُها اليمنى وقيل عَجْبُها وقيل العظمُ الذي يلي
الغُضروفَ وهو أصلُ الأذن وقيل البَضعةُ بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك
يحيي الله الموتى روي أنهم لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجُه تشخُب دمًا وقال قتلني فلانٌ وفلانٌ لابني عمِّه
ثم سقط ميتًا فأُخِذا وقُتِلا ولم يُورَّث قاتلٌ بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى إمّا أن يكون خطابًا للذين حضروا حياةَ
القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله على أنه قادرٌ على كل شيءٍ لعلكم
تعقلون تعملون على قضيّة عقولكم وأنّ من قدر على إحياء نفسٍ واحدةٍ قدر على إحياء الأنفس كلِّها لعدم
الاختصاص حتى لا تُنكروا البعثَ وإمّا أن يكون خطابًا للمنكرين في زمن رسول الله فإن قلت هلّا
أحياه ابتداءً ولِمَ اشترط في إحيائه ذبحَ البقرة وضربَه ببعضها قلت في الأسباب والشروط حِكَمٌ وفوائدُ
وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرّب وأداء التكليف واكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم
القُربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة
إلى امتثال أوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيشٍ وتكثير سؤالٍ ونفعِ اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة
على بركة البرّ بالأبوين والشفقة على الأولاد وتجهيلِ الهاذي بما لا يعلم كُنهَه ولا يطّلع على حقيقته من كلام
الحكماء وبيانِ أنّ من حقّ المتقرّب إلى ربه أن يتنوّق في اختيار ما يتقرّب به وأن يختار الفتيّةَ السنَّ غيرَ
القَحْمة ولا الضَّرَع حسنةَ اللون بريئةً من العيوب يونِق من نظر إليه وأن يُغالي بثمنه كما يُروى عن عمر رضي الله عنه
أنه ضحّى بنجيبةٍ بثلاثمائة دينارٍ وأنّ الزيادة في الخطاب نسخٌ له وأنّ النسخ قبل الفعل جائزٌ وإن لم يجز قبل وقت
الفعل وإمكانه لأدائه إلى البَداء وليعلم بما أمر من مسّ الميت بالميت وحصولِ الحياة عقيبه أنّ المؤثّر هو
المسبِّب لا الأسباب لأنّ الموتين الحاصلين في الجسمين لا يُعقل أن يتولّد منهما حياةٌ فإن قلت
فما للقصة لم تُقصّ على ترتيبها وكان حقُّها أن يتقدّم ذكرُ القتيل والضربِ ببعض البقرة على الأمر بذبحها
وأن يقال وإذ قتلتم نفسًا فادّارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرةً واضربوه ببعضها قلت كلُّ ما قُصَّ من
قصص بني إسرائيل إنما قُصَّ تعديدًا لما وُجد منهم من الجنايات وتقريعًا لهم عليها ولما جُدِّد فيهم من الآيات
العظام وهاتان قصّتان كلُّ واحدةٍ منهما مستقلّةٌ بنوعٍ من التقريع وإن كانتا متّصلتين متّحدتين فالأولى
لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس

المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه
لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف
فتعين اتصالها أن وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين
انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وانها قصة واحدة بالضمير
الراجع الى البقرة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله
وما الله بغافل عما تعملون معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب
ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ
لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة فهي في
قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها
اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها
بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة **فان قلت** لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل
وفعل التعجب **قلت** لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن
قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير
المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على
الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي
تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقراءة مالك بن دينار ينفجر يتشقق
يتشقق وبه قراءة الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها
ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء
والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت
به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين
ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق
منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول

الله وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به
ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا
فلا بأس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته
وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني
اليهود قالوا اي منافقوهم امنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم واذا لقوا
الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم
به عند ربكم افلا تعقلون واذا لقوا يعني اليهود قالوا اي منافقوهم آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو
الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم
اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند
ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك
تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم
الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية اولا يعلمون ان الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا
يظنون يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون
الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم
وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم احبارهم
من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد
قال اعرابي لابن دأب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤن من قوله
تمنى كتاب الله اول ليله والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحرز ما يتمناه وكذلك
المختلق والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف ذكر
العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال
سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا
قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا

ايّاما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون يكتبون الكتاب المحرّف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرّشى ايّاما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذّب كل الف سنة يوما فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عنده عهدا فلن يخلف الله عهده وام اما ان تكون معادلة بمعنى ايّ الامرين كاين على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان تكون منقطعة بلى من كسب سيّئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسّنا النار اي بلى تمسّكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيّئة من السيّئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدوّ ولم يتقصّ عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وفي الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل آية نهى فيها عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم تولّيتم الا قليلا منكم وانتم معرضون لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابيّ لا تعبدوا ولا بدّ من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدّر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايّهذا اللائمي احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان يكون ان مفسّرة وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم تولّيتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من

دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتصّ منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقرّ على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردّون الى اشدّ العذاب وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرّين تنزيلا لتغيّر الصفة منزلة تغيّر الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظّاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتهما وتظهّرون بمعنى تتظهّرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي القتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خرّبوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيّرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرّم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذلّ حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما ردّ من فعل منهم ذلك الى اشدّ العذاب لان عصيانه اشدّ وقرئ تردّون ويعملون بالتاء والياء فلا يخفّف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وايّدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذّبتم وفريقا تقتلون الكتاب التورية آتاه ايّاها جملة واحدة ويقال قفّاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنّبه من الذنب وقفّاه به اذا اتبعه

ابا ه يعني واتبعنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود
وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية
ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة
قلت لزير لم تصله مريمه ، ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت
نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر
بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه
فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل
وقيل بالانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره و
المعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين
الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما
فعلتم ثم وبختهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت
هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان
يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم تحومون حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام
عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله
بكفرهم فقليلا ما يؤمنون غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به
محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون
قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم
الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع
ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة
بمعنى العدم وقيل غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي
عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من
قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين
كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت
كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب

بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين
كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته
وصفته في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه
قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين
للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم
ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر
للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا بئسما
اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من
يشاء من عباده فباؤوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ما نكرة منصوبة
مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا
حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من
فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباؤوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف
لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة
وغير ذلك من انواع كفرهم واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا
ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل
ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم
ظالمون بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتوراة ويكفرون
بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له
وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم
الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم
واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا
في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين وكرر رفع الطور لما نيط
به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التوراة قالوا سمعنا قولك
وعصينا امرك فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا

ولكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اى تداخلهم حبه
والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم
نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يأمركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة
الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلواتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين
تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له قل ان كانت لكم الدار الآخرة خالصة من دون
الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله
عليم بالظالمين خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اى سالمة لكم خاصة بكم ليس
لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم
المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص
من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على
الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا
افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة
يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه
وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وما جاء به
وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب
وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك
كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من
الذر وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن
اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله
قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا
لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون
قلت كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم
غير مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من
افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان

الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله
عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر
الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون هو من وجد بمعنى
علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم
قال على حيوة بالتنكير قلت لانه اراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع
من قراءة ابي على الحيوة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت
ألم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد
واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون
بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له
كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين
قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد
بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو
قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على
حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا
عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار
تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه
والزحزحة التبعيد والانحاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم
على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو
في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله
ليفعلن قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين
يديه وهدى وبشرى للمؤمنين روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله
وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا
واشدها ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا
فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه
وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان

يمرّه على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال
والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاكّ في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى
آثاره في كتابكم ثم سألوه عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب
وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم ما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل
عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن
كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه
بالوحي فقال النبي صلى الله عليه لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب
من الحجر وقرئ جبرئيل كسلسبيل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن
قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله
فانه نزله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان
صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك
اي حفظه اياك وفهمك باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على
قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا
لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان
احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين
يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد
فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون
موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من
جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار
وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئيل كميكعيل وميكئل كميكعل قال ابن جني العرب اذا
نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم
لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من
عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها
الا الفاسقون اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون الا الفاسقون
الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من

كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل
عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان تكون اشارة الى اهل الكتاب
اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرا ابو السمال بسكون الواو
على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا
كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم
ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة و
النبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرا عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض
بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون كتاب الله يعني التورية لانهم بكفرهم برسول الله المصدق
لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم
لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذه
وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه
وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفين ادرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب ولم
يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمان
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت
وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما
يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم
ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به
انفسهم لو كانوا يعلمون واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب
السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين
كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها
ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم
سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان
تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين

هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغوائهم واضلالهم وما انزل
على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل
وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه
منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه
فانه مني وقراءة الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان من احد
حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر
فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر
الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده
البغض والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم
يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علموا اي
اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب
ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون
وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان
اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة
وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المر بضم الميم وكسره مع الهمزة والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف
كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى
احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار
جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي
ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم
منسلخون عنه ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا
يعلمون ولو انهم آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع
كتب الشياطين لمثوبة من الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير
مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية

في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام
عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون
قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ
لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا
وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا
بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا
بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرأ ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن
مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج
اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا
في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية
واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم
مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا
عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده
لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت
وللكافرين يعني لليهود الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء
والله ذو الفضل العظيم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون
كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء
الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى
اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه
الحكمة والله ذو الفضل العظيم بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم لقوله ان فضله كان عليك كبيرا
ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير روي انهم
طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا
ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننساها وقرئ ننسيها وننسيها
بالتشديد وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية

يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم

او ننسها ونسخ الآية إذ آلتها بابدال أخرى مكانها وإنساخها الأمر بنسخها وهو أن يأمر جبريل بأن يجعلها
منسوخة بالإعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها وإذهابها لا الى بدل وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب
والمعنى أن كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معاً او من إزالة أحدهما الى بدل او غير بدل
نأت بآية خير منها للعباد اى بآية العمل بها أكثر للثواب او مثلها في ذلك إن الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير
وما هو خير منه وعلى مثله في الخير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل
الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل له ملك السموات والأرض فهو يملك أموركم ويدبرها
ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم أنه مالك أمورهم ومدبرها
على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم ذلك بقوله ألم تعلم أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو
أصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من
الأشياء التي كانت عاقبتها وبالاً عليهم كقولهم اجعل لنا إلهاً أرنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالإيمان
ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل ود كثير من أهل الكتاب
لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا
واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما
تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير روي أن فنحاص بن عازوراء
وزيد بن قيس ونفراً من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو
كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً فقال عمار كيف نقض
العهد فيكم قالوا شديد قال فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبأ وقال
حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين
إخواناً ثم أتيا رسول الله وأخبراه فقال أصبتما خيراً وأفلحتما فنزلت فإن قلت بم تعلق قوله من عند أنفسهم
قلت فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بود على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند
أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق
فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق وإما أن يتعلق بحسداً اى حسداً متبالغاً منبعثاً من أصل نفوسهم فاعفوا و
اصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بأمره الذي هو
قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم إن الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام

منهم من خير من حسنة صلوة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده إن الله بما تعملون بصير
عالم لا يضيع عنده عمل عامل وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً او نصارى تلك أمانيهم
قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين الضمير في وقالوا لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى
وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين القولين
ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله وأمناً من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد
منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هوداً او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فإن
قلت كيف قيل كان هوداً على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة
الحسن إلا من هو صالوا الجحيم وقوله فإن له نار جهنم خالدين وقرأ أبي بن كعب إلا من كان يهودياً او نصرانياً
فإن قلت لم قيل تلك أمانيهم وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة قلت أشير بها الى الأماني المذكورة
وهي أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفاراً وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم
اى تلك الأماني الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً او نصارى
وتلك أمانيهم اعتراض او أريد أمثال تلك الأمنية أمانيهم على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه
يريد أن أمانيهم جميعاً في البطلان مثل أمنيتهم هذه والأمنية أفعولة من التمني مثل الأضحوكة والأعجوبة هاتوا
برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم وهذا أهدم شيء لمذهب
المقلدين وأن كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى أحضر
بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون بلى إثبات
لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من أسلم وجهه لله من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله أجره
الذي يستوجبه فإن قلت من أسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز أن يكون بلى رداً لقولهم ثم يقع من
أسلم كلاماً مبتدأ ويكون من متضمناً للشرط وجوابه فله أجره وأن يكون من أسلم فاعلاً لفعل محذوف اى
بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاماً معطوفاً على يدخلها من أسلم وقالت اليهود ليست النصارى على
شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون
مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون على شيء على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة
لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فإذا نفي إطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد
به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم أقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك
وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الإنجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به

ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في
تصديق بعضها كذلك اى مثل ذلك الذى سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة
الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم
في سلك من لا يعلم وروى ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى
ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه و
كفروا بموسى والتورية فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذى استحقه
وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى
في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزى ولهم في الاخرة عذاب
عظيم ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز
ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله
وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى
ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل
منع المشركين رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع
المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا باس ان يجيء الحكم
عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وجل
ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر وبتخريب البنيان وينبغي ان
يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين
اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اى ما كان ينبغي ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب
وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها
والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد
حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين روى انه لا يدخل بيت المقدس
احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ
اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن
بالبيت عريان وقرا عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو
حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول

بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزى قتل وسبى او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم
قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع
عليم ولله المشرق والمغرب والارض كلها لله وهو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اى مكان فعلتم التولية
يعنى تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره فثم وجه الله اى جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس
فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة
في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد
التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت
وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم فعذروا وقيل معناه فاينما
تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرا الحسن فاين ما تولوا بفتح التاء من التولى يريد فاين ما توجهوا
القبلة وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون وقالوا و
قرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له
عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون
منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان
يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اى كل ما في السموات والارض ويجوز ان
يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم
فان قلت كيف جاء بما الذى لغير اولى العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخر
كن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا بديع
السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يقال بدع الشيء فهو بديع كقوله
بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى بديع سمواته وارضه وقيل
البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون
من كان التامة اى احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله
اذ قالتا اتينا طائعين وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت
الوجود من غير امتناع ولا توقف كالمامور المطيع الذى يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء
اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في

في نوالدها وقرئ بديع السموات مجرورًا على انه بدل من الضمير في قوله وقرأ المنصور بالنصب على المدح

وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارًا منهم وعتوًا او تأتينا آية جحودًا لان يكون ما اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون اى لقوم ينصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها وهذه تسلية لرسول الله وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم ولا اكتفاء بها عن غيرها

إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وهذه تسلية لرسول الله وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسألك عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلًا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير كانهم قالوا لن نرضى عنك وإن ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطًا منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اى اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اى من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة

الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا

اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله أولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فأولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى

وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ابتلى ابرهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رحمه الله وهي قراءة ابن عباس ابرهيم ربه رفع ابرهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابرهيم فاما ابتلى ابرهيم ربه او ابتلى ربه ابرهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرًا ظاهرًا واما الثاني فابرهيم فيه متقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابرهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظًا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فأتمهن في احدى القراءتين لابرهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابرهيم الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئًا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد آمنًا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت على الاول استئناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانًا لقوله ابتلى وتفسيرًا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الاسلام عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالازار لما يؤتزر به اى يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدًا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون

اى من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلوة وكان ابو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليه وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وروى انه قال لو امروني بعد ابواب المسجد لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامامة انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم

واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود

والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اى يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع امن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة كل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة القول اى وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد افلا نؤثره لفضله بالصلوة فيه تبركا وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابرهيم وعن عمر رضي الله عنه انه سال المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها عهدنا امرناهما ان طهرا بيتي بان طهراه او اى طهراه والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم

والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اى اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يراد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيآت المصلي

واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير

اى اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة ومن كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابرهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدا متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اى ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرا ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرا يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرا ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير ابرهيم اى قال ابرهيم بعد مسالته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرا ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر

واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم

يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اى اسال الله ان يقعدك اى يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اى استوطا يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه

آدم من أرض الهند إليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام
وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجليه فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان إلى
السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم إن الله أمر إبرهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة أظلته
ونودي أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي
وأسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الأسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه أيام
الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان إبرهيم يبني وإسمعيل
يناوله الحجارة ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب
علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا أي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد أظهره
عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا إنك أنت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا فإن
قلت هلا قيل قواعد البيت وأي فرق بين العبارتين قلت في إبهام القواعد وتبيينها بعد
الإبهام ما ليس في إضافتها لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين مسلمين لك مخلصين لك أوجهنا
من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له وسلم واستسلم إذا خضع وأذعن والمعنى زدنا إخلاصا أو
إذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما أرادا أنفسهما وهاجر أو أجريا التثنية على حكم الجمع لأنها منه ومن
ذريتنا واجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك ومن للتبعيض أو للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم فإن
قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولأن
أولاد الأنبياء إذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير ألا ترى أن المتقدمين من العلماء والكبراء إذا كانوا
على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأرنا منقول
من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين أي وبصرنا متعبداتنا في الحج أو عرفناها وقيل
مذابحنا وقرئ وأرنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذل لأن الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها فإسقاطها إجحاف وقرأ أبو عمرو بإشمام الكسرة وقرأ عبد الله وأرهم مناسكهم
وتب علينا ما فرط منا من الصغائر أو استتبنا بالذريتهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم
آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم وابعث فيهم في الأمة المسلمة
رسولا منهم من أنفسهم روي أنه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه
قال عليه السلم أنا دعوة أبي إبرهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم
ما توحي إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان

الأحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
ومن يرغب عن ملة إبرهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في
الآخرة لمن الصالحين ومن يرغب إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح
الذي هو ملة إبرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لأن من يرغب
غير موجب كقولك هل جاءك أحد إلا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه
وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ويجوز أن يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله
ولا بفزارة الشعر الرقابا أجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم
زيد ظني مقيم أي في ظني والوجه الأول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص
الناس وذلك أنه إذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في إذالة نفسه وتعجيزها حيث
خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته لأن من جمع الكرامة
عند الله في الدارين بأن كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة
لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين إذ قال
ظرف لاصطفيناه أي اخترناه في ذلك الوقت أو انتصب بإضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله
كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له أسلم أخطر
بباله النظر في الدلائل المؤدية إلى المعرفة والإسلام فقال أسلمت أي فنظر وعرف وقيل أسلم أي أذعن
وأطع وروي أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا إلى الإسلام فقال لهما قد علمتما أن الله تعالى
قال في التورية إني باعث من ولد إسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن
به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فنزلت وقرئ وأوصى وهو في مصاحف أهل الحجاز والشام والضمير
في بها لقوله أسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية
إلى قوله إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على أن التأنيث على تأويل الكلمة
ويعقوب عطف على إبرهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا وقرئ ويعقوب بالنصب
عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها إبرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على إضمار القول عند البصريين و
عند الكوفيين يتعلق بوصى لأنه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة أخبرانا
إنا رأينا رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الإخبار وفي قراءة أبي
وابن مسعود أن يا بني إن الله اصطفى لكم الدين أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام

ووصى بها إبرهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون

وتقلم للاخذ به فلا تموتن معناه ولا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة
عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن
عن ترك الخشوع في حال صلوته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي
عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم
تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك
لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الآية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت
لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت
وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت
اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها ام كنتم شهداء اذ حضر
يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك
ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ام كنتم شهداء هي ام المنقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلم
اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق
الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا
ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم
فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون
على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين
له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه
براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق
بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز
ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من
الصفات واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم والخالة
ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلم عم الرجل صنو ابيه
اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي
ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ ابي واله ابرهيم بطرح آبائك

وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال
وفديننا بالابينا الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله
آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان تكون جملة
معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تلك اشارة الى
الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما
كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا
بأوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون
عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين بل ملة ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم
اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ ملة
ابرهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه
كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين
وتحنف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين
تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابرهيم وهو على الشرك قولوا آمنا بالله وما
انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي
موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم
الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون
قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل
وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد
وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق
بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك
صح دخول بين عليه بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا

حتى آمنوا بذلك فلا توجد اذن دين الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل
الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه
ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا
قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت
ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز ان لا تكون
الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة
مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ أبي بالذي آمنتم به وان تولوا
عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء
او وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسوله
عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر
الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو
معاقبهم عليه او وعد لرسول الله يعني يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق
وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب
وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير
الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه
المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر
المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا
لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة
على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن
احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن
من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة
الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن
التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام
قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون
ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل أأنتم

اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون قرأ زيد بن ثابت أتحاجونا
بادغام النون والمعنى أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل
الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو
ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا
كان اهلا للكرامة لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها
الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون
نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون
النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان ام يقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان يكون ام معادلة
للهمزة في أتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء
والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما وان تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ
بالياء لا تكون الا منقطعة قل أأنتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله
التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم
منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها
وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله
مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء
من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة
وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة
آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت
فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس
وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم
عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي

من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس
واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي
هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلم انطوا الثبجة يريد
الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف
وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول
الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتريت بمكة جمل
اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف
ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء
فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه فيشهدون فيقول
الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد
صلى الله عليه عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و
جئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان
الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد
وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول
عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا
قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول
شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب
على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله
بالناس لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا
الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون التي كنت عليها ليست بصفة
للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول
الله صلى الله عليه كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود
ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما
رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف

ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في
جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا
عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس
وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت
المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت
معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى
عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز
لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل
عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة
لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله
بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل
شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان الترك مفسدة
واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة عن ابن عباس
لما وجه رسول الله الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرءوف رحيم لا يضيع اجورهم
ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى
الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم
على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك
علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف
وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام
وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما
نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف
نظرك في جهة السماء وكان رسول الله يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم
وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول
جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا

جعلته دائبا لها او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك
الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته فول وجهك شطر المسجد الحرام نحوه قال واظعن بابي القوم شطر الملوك
وقرئ ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه المدينة فصلى نحو بيت المقدس
ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين
ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب
وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على
الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج
عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين
ليعلمون انه الحق ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى
القبلتين يعملون قرئ بالياء والتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا
قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم
من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد
مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم
اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم لما في كتبهم من نعتك
انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا
نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما
بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى
موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وجل عن تصلب كل
حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله
لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في
قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح
البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذن لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين
وزيادة تحذير واستفظاع بحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على
الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة
قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما
تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه
معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم
وابناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال انا اعلم به مني بابني قال
ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الاضمار وان
لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه
لشهرته وكونه علما معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم
يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت لان
الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق وقال وان فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم
او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر
مبتدا محذوف اي هو الحق او مبتدا خبره من ربك وفيه وجهان ان يكون اللام للعهد والاشارة
الى الحق الذي عليه رسول الله او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق
من ربك وان يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت
عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدا
فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرأ علي رضي الله عنه الحق
من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم
الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها
هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة
على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه
ضارب وقرأ ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن
غيركم فاستبقوا الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل
منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما
تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات
من الجهات وهي المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم

ويجعل صلاتكم كأنها الى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس
عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون
ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا
المأمور به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتأكيد امر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظان
الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى التفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا
ويجدوا ولأنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس
ومعناه لئلا يكون حجة لأحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا
ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اي حجة كانت تكون
للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ماله
لا يحول الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور في نعته في التورية فان قلت كيف اطلق اسم الحجة
على قول المعاندين قلت لأنهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب
عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين
ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرأ
زيد بن علي رضي الله عنه الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استأنف منبها
فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رأيته
مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك
او يعطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشوني لأوفقكم ولأتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون
وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة و
يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يا ايها الذين
آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في
سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اي و
لأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم

بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا
تجحدوا نعمائي اموات بل احياء اي هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن
ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على
ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا
فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة و
وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من
الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا
لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة
وتسلمون لأمر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين
عند البلاء لأن الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه من استرجع عند المصيبة جبر الله
مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله فقال انا لله وانا
اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلله في قوله بشيء
ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم
في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف
بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله او لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي
رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن
الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه اذا مات ولد العبد قال
الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى
ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد و
الصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤف
رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون للطريق الصواب حيث استرجعوا
وسلموا لأمر الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه
ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان
والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتما ر

الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان وأصل يطّوّف يتطوّف فأدغم وقرئ أن يطوف من طاف فإن قلت كيف قيل إنهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه أن يطّوّف بهما قلت كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عُبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوّع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما أن يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوّع خيرا كقوله فمن تطوّع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطّوّف بهما وعن أبي حنيفة أنه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الأولين المنسيّ وابن عباس وابن الزبير لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطّوّع بمعنى ومن يتطوّع فأدغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوّع بخير إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم إن الذين يكتمون من أحبار اليهود ما أنزلنا في التوراة من البينات من الآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه والهدى والهداية بوصفه إلى اتباعه والإيمان به من بعد ما بيّناه ولخّصناه للناس في الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع إشكال ولا اشتباه على أحد منهم فعمدوا إلى ذلك المبيّن الملخّص فكتموه ولبّسوا على الناس أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبيّنوا ما بيّنه الله في كتابهم فكتموه أو بيّنوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إن الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكافرين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم أحياء ثم ذكر لعنتهم أمواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس أجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لأنه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد أن ضرب زيد وعمرو كأنه قيل أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة فإن قلت ما معنى قوله والناس أجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت أراد بالناس من يعتدّ بلعنه وهم

المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار وإنما أضمرت تفخيما لشأنها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الإنظار أي لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون إله واحد فرد في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلها ولا إله إلا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فإن كل ما سواه إما نعمة وإما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لأن كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها أو بنفع الناس فإن قلت قوله وبث فيها عطف على أنزل أم أحيا قلت الظاهر أنه عطف على أنزل داخل تحت حكم الصلة لأن قوله فأحيا به الأرض عطف على أنزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكأنه قيل وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا بالمطر الأرض وبث فيها من كل دابة لأنهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء لآيات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمجّ بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ الفلك بضمتين وتصريف الريح على الإفراد ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار أندادا أمثالا من الأصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له أي كما يحب الله على

انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدة فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او يأكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو ان فلانا والسياط تأخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب الواو للحال اي تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بمأكول وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة

والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا اخفاء به انما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يأمركم بخير قط انما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب الحد فيه وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كقولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كالبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون انهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الاخطل فانعق بضأنك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا واما نعق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته

من كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تختصونه
بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه يقول الله اني والجن والانس في نبإ عظيم اخلق ويعبد
غيري وارزق ويشكر غيري قرئ حرّم على البناء للفاعل وحُرّم على البناء للمفعول وحرُم بوزن كرم اهلّ
به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر
بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم احلت لي ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة
الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد
والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة
قال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في
قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت
لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في
بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم في بطونهم ملء بطونهم
يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه
اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة
وقال يأكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض
بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه
عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا
تكلمون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على
النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد
فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن تعرض
لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر
على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب
والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما
على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اي ذلك العذاب
بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي

بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب
ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر
وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان ذلك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسروا على ان يكفروا به
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر و
الملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا
عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك
هم المتقون البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل
الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض
في امر القبلة حين حول رسول الله الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته
فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين
واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر
القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر
بالنصب على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على ادخال الباء في الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق
بزيد ولكن البر من آمن على تأويل حذف المضاف اي بر من آمن او يتأول البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما
هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ
ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القرآن على حبه مع حب المال والشح
به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا
بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب
النفس باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك
اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد
الفقراء منهم لعدم الالباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر وابن
السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان
السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه
وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى

فإن قلت قد ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بإيتاء الزكوة فهل دلّ ذلك على أنّ في المال حقاً سوى
الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي أنّ في المال حقاً سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل أن يكون ذلك
بيان مصارف الزكوة أو يكون حثاً على نوافل الصدقات والمبارّ وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها
وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن وأخرج الصابرين منصوباً على الاختصاص
والمدح إظهاراً لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين
والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادّين في الدين
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى
فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم
ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء
وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي أنّ الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى أخذاً بهذه الآية ويقولون
هي مفسّرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس ولأنّ تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على أهلها وهذه خوطب
بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب أبي
حنيفة وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والأنثى و
يستدلون بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأنّ التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أنّ
جماعة لو قتلوا واحداً قتلوا به وروي أنه كان بين حيّين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان
لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلنّ الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى
رسول الله حين جاء الله بالإسلام فنزلت وأمرهم أن يتباوؤا فمن عفي له من أخيه شيء معناه فمن عفي له
من جهة أخيه شيء من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح أن يكون شيء
في معنى المفعول به لأنّ عفا لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة وأخوه هو وليّ المقتول وقيل له أخوه لأنه لابسه من
قبل أنه وليّ الدم ومطالبه كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة
ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام فإن قلت إنّ عفا يتعدى
بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال عفوت عن
فلان وعن ذنبه قال الله عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فإذا تعدى إلى الذنب والجاني قيل عفوت لفلان
عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته
فاستغني عن ذكر الجناية فإن قلت هلّا فسّرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت

لأنّ عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن أعفاه ومنه قوله عليه السلام وأعفوا اللحى فإن قلت
فقد ثبت قولهم عفا أثره إذا محاه وأزاله فهلّا جعلت معناه فمن محي له من أخيه شيء قلت
عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال
الناس فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيراً ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل
عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ
بالله منها فإن قلت لم قيل شيء من العفو قلت للإشعار بأنه إذا عفي له طرف من العفو وبعض منه
بأن يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تمّ العفو وسقط القصاص ولم تجب إلا الدية فاتباع
بالمعروف فليكن اتباع أو فالأمر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعاً يعني فليتبع الوليّ القاتل بالمعروف بأن
لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة وليؤدّ إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن لا يمطله ولا
يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لأنّ أهل التورية كتب عليهم القصاص
البتة وحرّم العفو وأخذ الدية وعلى أهل الإنجيل العفو وحرّم القصاص والدية وخيّرت هذه الأمة
بين الثلث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيراً فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز
ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية فقد كان الوليّ في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله
الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب أليم نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة وعن قتادة العذاب
الأليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا أعافي أحداً قتل بعد أخذه الدية
ولكم في القصاص حيوة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ولكم في القصاص حيوة
كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أنّ القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكاناً وظرفاً للحيوة
ومن إصابة محزّ البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لأنّ المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي
هو القصاص حيوة عظيمة وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد
يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التشاجر فلما جاء الإسلام بشرع
القصاص كانت فيه حيوة أيّ حيوة أو نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع
العلم بالاقتصاص من القاتل لأنه إذا همّ بالقتل فعلم أنه يقتصّ منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو
من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ أبو الجوزاء ولكم في القصص حيوة أي فيما قصّ عليكم
من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن أي لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله روحاً من أمرنا
ويحيى من حيّ عن بينة لعلكم تتقون أي أريتكم ما في القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس

لعلكم تتقون تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالأئمة
كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف
حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم
فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم إذا حضر أحدكم
الموت إذا دنا منه وظهرت أماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أراد الوصية وله
عيال وأربعمائة دينار فقالت ما أرى فيه فضلا وأراد آخر أن يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف
قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله تعالى إن ترك خيرا وإن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي
رضي الله عنه أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى إن ترك خيرا والخير هو
المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل أو لأنها بمعنى أن يوصي ولذلك ذكر الراجع في
قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث وبقوله عليه السلام
إن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث وتلقي الأمة إياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وإن كان من
الآحاد لأنهم لا يتلقون بالقبول إلا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية
والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما أوصى به الله من توريث الوالدين
والأقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به
الله لهم عليهم وأن لا ينقص من أنصبائهم بالمعروف بالعدل وهو أن يوصي للغني ويدع الفقير ولا يجاوز
الثلث حقا مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غيره من الأوصياء عن وجهه إن كان موافقا للشرع من
الأوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فإنما إثمه على الذين يبدلونه فما إثم الإيصاء المغير أو التبديل إلا على
مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لأنهما بريئان من الحيف إن الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن
خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون أخاف أن ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب
الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية أو إثما أو تعمدا للحيف فأصلح بينهم بين الموصى لهم
وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع فلا إثم عليه حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق
ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما
كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر
فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له
وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون كما كتب على الذين من قبلكم على الأنبياء والأمم من لدن آدم

إلى عهدكم قال علي رضي الله عنه أولهم آدم يعني أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم
لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصي لأن الصائم أظلف
لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء أو لعلكم تنتظمون في زمرة
المتقين لأن الصوم شعارهم وقيل معناه أنه كصومهم في عدد الأيام وهو شهر رمضان كتب على أهل الإنجيل فأصابهم
موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد
فشق عليهم في أسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته
وقيل الأيام المعدودات عاشوراء أو ثلاثة أيام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه صيامها حين هاجر
ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم أن يتقوا المفطر بعد أن يصلوا العشاء وبعد أن يناموا ثم نسخ
ذلك بقوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث الآية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم أو قلائل كقوله دراهم
معدودة وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد ويحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب أياما بالصيام
كقولك نويت الخروج يوم الجمعة أو على سفر أو راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا
على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما أن يفطرا ويصوما عدة من أيام أخر واختلف في المرض المبيح للإفطار فمن
قائل كل مرض لأن الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما أن لكل مسافر أن يفطر فكذا لكل
مريض وعن ابن سيرين أنه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع إصبعه وسئل مالك عن الرجل
يصيبه الرمد الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال إنه في سعة من الإفطار وقائل هو المرض
الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وعن الشافعي لا يفطر حتى
يجهده الجهد غير المحتمل واختلف أيضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
أن الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن يشق عليكم في قضائه إن شئت فواتر وإن شئت ففرق وعن علي
وابن عمر والشعبي وغيرهم أنه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة أبي فعدة من أيام أخر متتابعات فإن قلت
فكيف قيل فعدة على التنكير ولم تقل فعدتها أي فعدة الأيام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة
بمعنى المعدود فأمر بأن يصوم أياما معدودة مكانها علم أنه لا يؤثر عدد على عددها فأغنى ذلك عن التعريف
بالإضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم إن أفطروا فدية طعام مسكين
نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أهل العراق وعند أهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الإسلام فرض عليهم
الصوم ولم يتعودوه فاشتد ذلك عليهم فرخص لهم في الإفطار والفدية وقرأ ابن عباس رضي الله عنه
يطوقونه تفعيل من الطوق إما بمعنى الطاقة أو القلادة أي يكلفونه أو يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه

بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوّقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطّيّقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه
ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديّار
وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ
والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى
يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع
اخير له او الخير وقرئ فمن يطّوّع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوّقون وحملتم على انفسكم و
جهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابيّ
والصيام خير لكم شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام
اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم و
لعلكم تشكرون الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع
الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن دأية للغراب باضافة الابن الى دأية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا
دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم
فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا
اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان
قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الحديث من نحو قوله
عليه السلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن
الالباس كما قال بما اعيى النطاسيّ حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن
او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر
رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه
انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى السماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شأنه
القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه نزلت صحف
ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين
هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات
مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله

هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق و
الباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن
كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في
فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر
عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه
من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه
الاعادة وقرئ اليُسُر والعُسُر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة
ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء
والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد
يهتدي الى تبيينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى
الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا
بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا
العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك
والاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر
وقيل هو التكبير عند الاهلال واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة
اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه السلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول
الله صلى الله عليه اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا
تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك

يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ كان الرجل اذا امسى حلّ له الاكل والشرب والجماع الى ان
يصلّي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلّاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة
ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلمّا اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله
عليه وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلم ما كنت
جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احلّ لكم ليلة الصيام الرفث
اي احلّ الله وقراء عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن
عباس انه انشد وهو محرم وهنّ يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال
انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لانه لا يخلو من شيء من ذلك
قلت لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها
باشروهنّ او لمستم النساء دخلتم بهنّ فاتوا حرثكم من قبل ان تمسّوهن فما استمتعتم به منهنّ ولا تقربوهنّ
قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سمّاه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدّي الرفث بالى
قلت لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبّه
باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنّت فكانت عليه لباسا فان قلت ما موقع
قوله هنّ لباس لكم قلت هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهنّ مثل هذه
المخالطة قلّ صبركم عنهنّ وصعب عليكم اجتنابهنّ فلذلك رخص لكم في مباشرتهنّ تختانون انفسكم تظلمونها
وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدّة فتاب عليكم حين
تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة
اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل
لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحلّ الذي كتبه الله لكم وحلّله دون ما لم يكتب لكم من المحلّ المحرّم وعن قتادة وابتغوا
ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقراء ابن عباس واتّبعوا وقراء الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة
القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو
من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتدّ معه من غبش الليل شبّها بخيطين ابيض
واسود قال ابو دواد فلمّا اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى
به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله
فان قلت امذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب

الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر
حتى كان تشبيها وهلّا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من
شرط المستعار ان يدلّ عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من
الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع
هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما
فلا يتبيّن لي الابيض من الاسود فلمّا اصبحت غدوت الى رسول الله فاخبرته فضحك فقال ان كان وسادك
لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك
عرّض رسول الله صلى الله عليه قفاه لانه مما يستدلّ به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدني بعض البدويات
لبدويّ عريض القفا ميزانه في شماله قد انحصّ من حسب القراريط شاربه فان قلت فما
تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم
ربط احدهم في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل ويشرب حتى يتبيّنا له فنزل بعد ذلك من الفجر
فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس
باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت
اما من لا يجوّز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصحّ عندهم هذا الحديث
واما من يجوّزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح
المراد به ثم اتمّوا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير
الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه
في المسجد يتعبّد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدّم من قوله احلّ لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن
باشروهنّ وقيل معناه ولا تلامسوهنّ لشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبّل فانزل وعن
قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج وباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على
ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد
جماعة وقراء مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فان قلت كيف قيل فلا تغشوها
كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعدّ حدود الله قلت من كان في طاعة الله و
العمل بشرائعه فهو متصرّف في حيّز الحق فنهي ان يتعدّاه لان من تعدّاه وقع في حيّز الباطل ثم بولغ في ذلك
فنهي ان يقرب الحدّ الذي هو الحاجز بين حيّزي الحق والباطل لئلّا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا

من الطرف فضلاً أن يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى
يوشك أن يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصاً
لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام
لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه
الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقاً طائفة
من أموال الناس بالإثم بما يوجب إثماً كشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضي له ظالم وعن النبي صلى
الله عليه أنه قال للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع
منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد
منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها إلى
حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي أو منصوب بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق وأنتم تعلمون
أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبها أحق بالتوبيخ يسألونك عن الأهلة قل
هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من
اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن
غنم الأنصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حال واحد فنزلت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال
ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته
كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً ولا داراً ولا فسطاطاً من باب فإن كان من أهل
المدر نقب نقباً في ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلماً يصعد فيه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف
الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فإن قلت ما وجه
اتصاله بما قبله قلت كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم أن كل
ما يفعله الله عز وجل لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها
أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها براً ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت
للحج لأنه كان من أفعالهم في الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلاً لتعكيسهم في سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من ترك
باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر
من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت من أبوابها أي وباشروا الأمور من وجوهها

التي يجب أن تباشروا عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة
وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة
الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا
يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا
فإن الله غفور رحيم المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين يقاتلونكم الذين
يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخاً بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن
أنس هي أول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين
يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو
الكفرة كلهم لأنهم جميعاً مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا أو لم يقاتلوا وقيل لما صد
المشركون رسول الله عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف
المسلمون أن لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت وأطلق لهم
قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال أو
بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثلة أو بالمفاجأة
من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل أو حرم والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ومنه
رجل ثقف سريع الأخذ لأقرانه قال فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود من حيث أخرجوكم
أي من مكة وقد فعل رسول الله بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة أشد من القتل أي المحنة والبلاء الذي
ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه
الموت جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد
السيف أهون موقعاً على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك
أعظم من القتل في الحرم وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك
الذي هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز أن يراد فتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم
إياهم في الحرم أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم
جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فإن تقتلونا نقتلكم فإن انتهوا
عن الشرك والقتال كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين

لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين

حتى لا تكون فتنة اى شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اى هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اى وكل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة اى حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اى لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهى عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو وروى ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصارى نحن اعلم بهذه الآية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو على في الحلبيات عن ابى عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابى عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار

واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى

يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب

واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذى لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روى ذلك عن على رضى الله عنه وابن عباس وابن مسعود وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشئ من التجارة والاغراض الدنيوية **فان قلت** هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفى الوجوب وهو ما روى انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع **فان قلت** فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضى الله عنه ان رجلا قال له انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذى ذكرناه اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقى الحج وحده فيهما فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تأمره بفرض وتطوع وقرأ على وابن مسعود والشعبى والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة

وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول

وحصر اذا حبسه عدو عن المضى او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شئ مثل صد

وأصدّه وكذلك قال الفراء وابو عمرو والشيباني وعليه قول ابي حنيفة رحمه الله كل منع عنه من عدو وكان
او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي منع العدو وحده وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال
يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ
من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم
اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدي المحصر
قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة يبعث به ويجعل على يده يوم امارة وعندهما في
ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر
او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي
بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب
ابي حنيفة رحمه الله فان قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر قلت كان
محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه نحر
هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا
فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية
من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن
كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال
احلق راسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك بشاة وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه الآية
وروي انه مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر
وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال
امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله
قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج
فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى
الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي
فعليه صيام ثلثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب
ابي حنيفة رحمه الله والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزئه

الا الدم وعند الشافعي لا تصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم
وفرغتم من افعال من اعمال الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرأ ابن ابي عبلة وسبعة
بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فان قلت
ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه
لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب
ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم
وكذلك كاملة تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول
للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من
من الهدي وفي قراءة ابي فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه لا متعة
ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما
القارن من اهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب
الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي
حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة على
حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم
بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا
فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى
واتقون يا اولي الالباب اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران الاشهر المعلومات شوال
وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك
ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال
الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه
مكروه فان قلت فكيف كان شهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه
ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال
لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا او على عهد فلان
ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو
مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن

عمرة وكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن
وعن ابن عمر انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها
بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات عند
الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن
الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع
لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب
والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو
واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القرآن والمراد
بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلث بالنصب وبالرفع وقرأ ابو عمرو
وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق
والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف
سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه
سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج
واستدل على ان المنهي عنه الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلم من حج فلم يرفث ولم يفسق
خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن
الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال
الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره
قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها
وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون
كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم
فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم
يتقه من الالباب فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من
عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله
لمن الضالين فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب
يتاثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم يقم لهم سوق ويسمون من يخرج

بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في
الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك
وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان
قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سالت فلم يرد عليه حتى نزل
ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج
فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرا ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان
ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول
كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش
بعيره بمحجنه ويقال اقاض واضواء الحديث وتضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان
قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتانيث قلت لا يخلو التانيث اما ان
يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف
التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها
كما لا يقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التانيث فابت تقديرها
وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابرهيم عليه السلم فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور
به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون
فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون
جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى
الله عليه الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير و
الثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام
وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان
ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه لما صلى الفجر يعني
بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله
تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة
والا فالمزدلفة كلها الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة بها عند المشعر والمشعر المعلم
لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع

فقال أدركت الناس وهذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعاً لأن آدم اجتمع فيها مع حواء و
وازدلف اليها اى دنا منها وعن قتادة لأنه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز أن يقال وصفت بفعل أهلها
لأنهم يزدلفون الى الله اى يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكراً حسناً
كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وإن كنتم من قبله من قبل الهدى
لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة

ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم فإذا قضيتم
مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في
الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب

ثم أفيضوا ثم لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس
من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف وقولهم نحن أهل الله وقطان
حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فإن قلت فكيف موقع ثم قلت
نحو موقعها في قولك أحسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الإحسان الى الكريم
والإحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات قال ثم أفيضوا
لتفاوت ما بين الإفاضتين وأن إحداهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس
وهم الحمس اى من المزدلفة الى منى بعد الإفاضة من عرفات وقرئ من حيث أفاض الناسي بكسر
السين اى الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني أن الإفاضة من عرفات
شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فإذا قضيتم
مناسككم فإذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه
كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل
فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم أو أشد ذكرا في موضع جر عطف على ما أضيف اليه الذكر
في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا أو في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى أو أشد
ذكرا من آبائكم على أن ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه أكثروا ذكر الله ودعاءه فإن الناس
من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا أغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في
الدنيا اجعل إيتاءنا اى إعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اى من طلب خلاق وهو

النصيب أو ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لأن همه مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة
الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي
رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء أولئك الداعون
بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اى نصيب من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو
المنافع الحسنة او من أجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم أغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه
بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمى الدعاء كسبا لأنه من الأعمال والأعمال موصوفة
بالكسب بما كسبت أيديكم ويجوز أن يكون أولئك للفريقين جميعا وأن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا
والله سريع الحساب يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة
او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر
منه وروي بمقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في أيام معدودات فمن
تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه
تحشرون الأيام المعدودات أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير في أدبار الصلوات وعند الجمار وعن
عمر رضي الله عنه أنه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف
فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل
في الأمر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر كما هي
كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل لأجل المتأني
في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه أهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر إذا فرغ
من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند أبي حنيفة
وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على
الزوال عند أبي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فإن قلت كيف قال فلا إثم عليه عند التعجل
والتأخر جميعا قلت دلالة على أن التعجل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا او تأخروا
فإن قلت أليس التأخر بأفضل قلت بلى ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل
كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل وقيل إن أهل الجاهلية كانوا فريقين
منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اى ذلك
التخيير ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب أن أحدهما

يرتكب صاحبه الآثام في الإقدام عليه لأن ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولأنه هو الحاج على
الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز أن يراد ذلك الذي مر ذكره من أحكام الحج وغيره
لمن اتقى لأنه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله ومن الناس من
يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام من يعجبك قوله أي
يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الأخنس بن شريق كان رجلا
حلو المنطق إذا لقي رسول الله ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال يعلم الله أني صادق وقيل
هو عام في المنافقين كانت تحلولي ألسنتهم وقلوبهم أمر من الصبر فإن قلت بم يتعلق قوله في
الحيوة الدنيا قلت بالقول أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لأن ادعاءه المحبة بالباطل يطلب
به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالإيمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه
إذن في الدنيا لا في الآخرة ويجوز أن يتعلق بيعجبك أي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك
في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة أو لأنه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه
ويشهد الله على ما في قلبه أي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام وقرئ ويشهد
الله وفي مصحف أبي ويستشهد الله وهو ألد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه
وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم والخصام المخاصمة وإضافة الألد
بمعنى في كقولهم ثبت الغدر أو جعل الخصام ألد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب
بمعنى وهو أشد الخصوم خصومة وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه
جهنم ولبئس المهاد وإذا تولى وإذا تولى عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق سعى
في الأرض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل وإذا تولى وإذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء
من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على أن الفعل للحرث
والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو أبى يأبى وروي عنه ويهلك على
البناء للمفعول أخذته العزة بالإثم من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه أي حملته العزة
التي فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه وأن لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا
أو على رد قول الواعظ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف
بالعباد يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان

إنه لكم عدو مبين فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم
يشري نفسه أي يبيعها أي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت
في صهيب بن سنان أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير إن
كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله وأتى المدينة
والله رؤوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الأعمش
بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه كافة لا يخرج أحد منكم يده عن
طاعته وقيل هو الإسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم
ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من أنفاسها جرع على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها وأن لا يدخلوا
في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها وأن لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام
أنه استأذن رسول الله أن يقيم على السبت وأن يقرأ من التورية في صلوته من الليل وكافة من
الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم فإن زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات
أي الحجج والشواهد على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق فاعلموا أن الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام
منكم حكيم لا ينتقم إلا بحق وروي أن قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن
وقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه وقرأ أبو
السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل
من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور سل بني إسرائيل
كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد
العقاب إتيان الله إتيان أمره وبأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز أن يكون
المأتي به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فإن الله عزيز في ظلل
جمع ظلة وهي ما أظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع
كقوله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل أو على الغمام فإن قلت لم يأتيهم
العذاب في الغمام قلت لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر
أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان
أسر فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها

مِن حيث يتوقّع الغيث ومن ثمّ اشتدّ على المتفكّرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وقُضِيَ الأمر وأُتِمّ أمر إهلاكهم وتدميرهم وفُرِغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاءُ
الأمرِ على المصدر المرفوع عطفاً على الملائكة وقُرئ تَرجع وتُرجَع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث
والتذكير فيهما سَلْ أمرٌ للرسول أو لكلّ أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يُسأل الكفرة يوم القيمة كم آتيناهم
من آيةٍ بيّنةٍ على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آيةٍ في الكتب شاهدةٍ على صحّة دين الإسلام ونعمةُ
الله آياته وهي أجلّ نعمةٍ من الله لأنّها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم إيّاها أنّ الله أظهرها
ليكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجساً إلى رجسهم أو حرّفوا آيات
الكتب الدالّة على دين محمّد صلّى الله عليه وسلّم **فإن قلت** كم استفهاميّة أم خبريّة **قلت**
يحتمل الأمرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير **فإن قلت** ما معنى من بعد ما جاءته **قلت**
معناه من بعد ما تمكّن من معرفتها أو عرفها كقوله ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه لأنّه إذا لم يتمكّن
من معرفتها أو لم يعرفها فكأنّما غائبة عنه وقُرئ ومن يُبدِلْ بالتخفيف زُيِّن للذين كفروا الحيوة
الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتّقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق
من يشاء بغير حساب المزيّن هو الشيطان زيّن لهم الدنيا وحسّنها في أعينهم بوساوسه وحبّبها
إليهم فلا يريدون غيرها ويجوز أن يكون الله قد زيّنها لهم بأن خذلهم حتّى استحسنوها وأحبّوها
أو جعل إمهال المزيّن تزييناً ويدلّ عليه قراءة من قرأ زَيَّنَ للذين كفروا الحيوةَ الدنيا على البناء
للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كانوا يسخرون من المؤمنين الذين لا حظّ لهم من الدنيا
كابن مسعود وعمّار وصهيب وغيرهم أي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممّن لا حظّ له فيها أو ممّن
يطلب غيرها والذين اتّقوا فوقهم يوم القيمة لأنّهم في علّيّين من السماء وهم في سجّين من الأرض أو حالهم
عالية لحالهم لأنّهم في كرامة وهم في هوان أو هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول
هؤلاء عليهم في الدنيا ويردّون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفّار يضحكون والله يرزق
من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني أنّه يوسّع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسّع على
قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة
ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحقّ بها منكم **فإن قلت** لم قال من الذين آمنوا
ثمّ قال والذين اتّقوا **قلت** ليريك أنّه لا يسعد عنده إلّا المؤمن المتّقي وليكون بعثاً
للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا كان الناس أمّة واحدة فبعث الله النبيّين مبشّرين و

منذرين وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف
فيه إلّا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا
لما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم كان الناس
أمّة واحدة متّفقين على دين الإسلام فبعث الله النبيّين يريد فاختلفوا فبعث الله وإنّما حذف لدلالة قوله
ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس أمّة واحدة فاختلفوا فبعث الله و
الدليل عليه قوله عزّ وعلا وما كان الناس إلّا أمّة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيّين فاختلفوا عليهم
والأوّل الوجه **فإن قلت** متى كان الناس أمّة واحدة متّفقين على الحقّ **قلت** عن ابن عبّاس
أنّه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحقّ فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في
السفينة وأنزل معهم الكتاب يريد الجنس أو مع كلّ واحد منهم كتابه ليحكم الله أو الكتاب أو النبيّ المنزل
عليه فيما اختلفوا فيه من الحقّ ودين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتّفاق وما اختلف فيه في الحقّ
إلّا الذين أوتوه إلّا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف أي أزدادوا في الاختلاف لمّا أنزل
عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سبباً في شدّة الاختلاف واستحكامه بغياً بينهم حسداً بينهم
وظلماً لحرصهم على الدنيا وقلّة إنصاف منهم من الحقّ بيان لما اختلفوا فيه أي فهدى الله الذين
آمنوا للحقّ الذي اختلف فيه من اختلف أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضرّاء وزلزلوا حتّى يقول الرسول والذين آمنوا
معه متى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريب يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير
فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من
خير فإنّ الله به عليم أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده لمّا ذكر ما
كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيّين بعد مجيء البيّنات تشجيعاً لرسول الله والمؤمنين على الثبات
والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على
طريقة الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم ولمّا فيها معنى التوقّع وهي في النفي نظيرة قد في الإثبات والمعنى أنّ
إتيان ذلك متوقّع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدّة ومسّتهم بيان للمثل وهو استئناف
كأنّ قائلاً قال كيف كان ذلك المثل فقيل مسّتهم البأساء وزلزلوا وأزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة
بما أصابهم من الأهوال والأفزاع حتّى يقول الرسول إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر
الله أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتّى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنّيه واستطالة زمان الشدّة

وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة وتماديه في العظم لأن الرسل لا يقادر قدرهم في ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها ألا إن نصر الله قريب على إرادة القول يعني فقيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقولَ بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال لأن أن علم له وبالرفع على أنه في معنى الحال كقولك شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه إلا أنها حال ماضية محكية فإن قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما أنفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها قال الشاعر إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس أنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هي في التطوع كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى أن تكرهوا شيئا ثم إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فإنما هي إقبال وإدبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وإما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز أن يكون بمعنى الإكراه على سبيل المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وعلى قوله وعسى أن تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه لأن النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون ذلك يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم بعث رسول الله صلى الله عليه عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير

وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقال قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس لمعايشهم فوقف رسول الله العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والأسارى وعن ابن عباس لما نزلت أخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير أي إثم كبير وعن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ وأكبر خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون أكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة الإخراج أو الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز أن يعطف على الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي يقاتلونكم كي يردوكم وإن استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه إن ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بأنه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على رده إليه فيمت على الردة فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت عليها وعند أبي حنيفة رحمه الله تحبطها وإن رجع مسلما إن الذين آمنوا والذين هاجروا روي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت أولئك يرجون رحمة الله وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وإنه من رجا طلب ومن خاف هرب يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما إثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم و

وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرا قل يا ايها الكافرون
أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم
سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري
بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر
الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت
مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت
اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف
بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا
واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب
عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام
ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر
وكذلك كل ما اسكر من كل شراب سميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما
اي تحجزهما وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد
والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة
من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر
على اهله وماله قال اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني اي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالمجزور

فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام
الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد
لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلثة
وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح واساميهن وغد وسفيح ومنيح
للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة
يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل
قدحا منها فمن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك
الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم
وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه اياكم وهاتين

الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن
سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب
الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقة
الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على
الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما
الآثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله
عليه ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول
الله فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها
مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس
يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والآخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم
تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة
او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر
من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من
العقاب العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم
تتفكرون ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله
يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى
يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة
باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى
فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث
امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم
وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم
وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت

المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اى لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على
حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم
يطلق لكم مداخلتهم وقرا طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح وقرى لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها
على اللام وكذلك فلا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف
الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا وقرى بضم التاء اى لا تتزوجوهن او لا تزوجوهن والمشركات الحربيات
والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهى منسوخة بقوله والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شىء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعى
وروى ان رسول الله صلى الله عليه بعث مرثد ابن ابى مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان
يهوى امراة فى الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك
ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستأمره فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة ولامراة مؤمنة
حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال
ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اى يدعون
الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال والله الى الجنة
يعنى واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم
وان لا يؤثر عليهم غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذى يستحق به الجنة والمغفرة وقرا الحسن والمغفرة
باذنه بالرفع اى والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى
مواذى اى الحيض شىء يستقذر ويؤذى من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعنى
فاجتنبوا مجامعتهن روى ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها
على فرش ولم يساكنوها فى بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن
من بيوتهم فقال ناس من الاعراب البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك اهل البيت
وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن
من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا
يعتزلونهن فى كل شىء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف فى الاعتزال فابو حنيفة وابو
يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى

محمد حديث عائشة رضى الله عنها ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهى حائض فقالت تشد ازارها
على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سال النبى صلى الله عليه ما يحل لى من امراتى وهى حائض
قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابى حنيفة رحمه الله وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن
عائشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرى يطهرن بالتشديد اى يتطهرن بدليل قوله فاذا
تطهرن وقرا عبد الله حتى يتطهرن والتطهر بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب
العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها فى اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفى اقل الحيض لا
يقربها حتى تغتسل او يمضى عليها وقت صلوة وذهب الشافعى الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين
وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن من حيث امركم الله من المأتى الذى امركم الله به وحلله لكم وهو القبل
ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش
او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار
كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم
انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا
الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم حرث لكم
مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور وقوله
فاتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اى فاتوهن كما تاتون اراضيكم التى تريدون ان تحرثوها من اى جهة شئتم لا يحظر
عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اى شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله
هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات
المستحسنة وهذه واشباهها فى كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتادبوا بها ويتكلفوا
مثلها فى محاوراتهم ومكاتباتهم وروى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهى مجبية من دبرها فى
قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم
ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطى
واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهى واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين
للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما
قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله به هو مكان
الحرث ترجمة له وتفسير او ازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل فى الاتيان هو طلب النسل

لا قضاء الشهوة ولا ما تؤمن إلا من المثلة الذي يتعلق به هذا الغرض فإن قلت ما بال
يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأول
وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث
الأخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن
الإنفاق والسؤال عن كذا وعن كذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه
دون الشيء من عرض العود على الإناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون
الخير والعرضة أيضا المعرض للأمر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الأولى أن الرجل
كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو إصلاح ذات بين أو إحسان إلى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف
الله أن أحنث في يميني فيترك البر إرادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أي حاجزا لما
حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة
إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك أي على شيء مما حلفت عليه
وقوله أن تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لأيمانكم أي للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والإصلاح
بين الناس فإن قلت بم تعلقت اللام في لأيمانكم قلت بالفعل أي ولا تجعلوا الله لأيمانكم
برزخا وحجازا ويجوز أن يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني
كذا ويجوز أن يكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أي ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم
به عرضة لأن تبروا ومعناها على الأخرى ولا تجعلوا الله معرضا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك
ذم من أنزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بأشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وأن تبروا علة للنهي أي إرادة
أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لأن الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا
يدخلونه في وساطاتهم وإصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل
لما لا يعتد به في الدية من أولاد الإبل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الأيمان وهو الذي
لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند أبي
حنيفة وأصحابه أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا
والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد
الحرام لأنكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وفيه معنيان أحدهما لا يؤاخذكم أي لا يعاقبكم بلغو اليمين

الذي يحلفه أحدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم أي اقترفته من إثم القصد إلى الكذب في
اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم أي لا
يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم وقصدت
من الأيمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم للذين
يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم وإن عزموا
الطلاق فإن الله سميع عليم قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم فإن
قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد
فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مولين أو مقسمين ويجوز أن يراد لهم من نسائهم تربص أربعة أشهر كقولك
لي منك كذا والإيلاء من المرأة أن تقول والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالأشهر أو لا
أقربك على الإطلاق ولا يكون فيما دون أربعة أشهر إلا ما يحكى عن إبراهيم النخعي وحكم ذلك أنه إذا فاء إليها
في المدة بالوطء إن أمكنه أو بالقول إن عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة
على العاجز وإن مضت الأربعة بانت بتطليقة عند أبي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الإيلاء إلا في أكثر
من أربعة أشهر ثم يوقف المولي فإما أن يفيء وإما أن يطلق وإن أبى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فإن
فاءوا في الأشهر بدليل قراءة عبد الله فإن فاءوا فيهن فإن الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من
طلب ضرار النساء بالإيلاء وهو الغالب وإن كان يجوز أن يكون على رضا منهن إشفاقا منهن على الولد
من الغيل أو لبعض الأسباب لأجل الفيئة التي هي مثل التوبة وإن عزموا الطلاق فتربصوا إلى مضي المدة
فإن الله سميع عليم وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فإن فاءوا وإن عزموا بعد
مضي المدة فإن قلت كيف موقع الفاء إذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت
موقع صحيح لأن قوله فإن فاءوا وإن عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل
كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره وإلا لم أقم إلا ريثما أتحول فإن قلت
ما تقول في قوله فإن الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب أن العازم
للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك
وذلك حديث لا يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة
قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم
الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي

عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم والمطلقات أراد المدخول بهن
من ذوات الأقراء **فان قلت** كيف جازت إرادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم **قلت**
بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك **فان قلت**
فما معنى الإخبار عنهن بالتربص **قلت** هو خبر في معنى الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات وإخراج
الأمر في صورة الخبر تأكيد وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص
فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالإجابة كأنما وجدت الرحمة
فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة
فان قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص أربعة أشهر وما معنى ذكر الأنفس
قلت في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على
أن يتربصن وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح
ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء أو قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلاة أيام أقرائك
وقوله طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض
من نسائكم فعدتهن ثلاثة أشهر فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ولأن الغرض الأصيل في
العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة
بالحيضة ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته إلى فلانة
تقرئها أي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء **فان قلت** فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن والطلاق الشرعي إنما هو في الطهر **قلت** معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته
لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث **فان قلت** فما تقول في قول
الأعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا **قلت** أراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القرء
عندهم في الاعتداد بهن أي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن أهله كل
عام لاقتحامه في الحروب والغارات وأنه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعن فيها أو أراد من
أوقات نسائك فإن القرء والقارئ جاءا في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا **فان قلت** فعلام
انتصب ثلاثة قروء **قلت** على أنه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على أنه
ظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء **فان قلت** لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء
يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية ألا ترى

إلى قوله بأنفسهن وما هي إلا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الأقراء فأوثر
عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ الزهري ثلاثة قرو بغير
همز ما خلق الله في أرحامهن من الولد أو من دم الحيض وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها
لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد
طهرت استعجالا للطلاق ويجوز أن يراد اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه
لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وأن من
آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة
ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني وأهل بعولتهن أحق بردهن وفي
قراءة أبي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص **فان قلت** كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء
حقا فيها **قلت** المعنى أن الرجل إذا أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو
أحق منها لا أن لها حقا في الرجعة إن أرادوا بالرجعة إصلاحا لما بينهم وبينهن وإحسانا إليهن ولم يريدوا
مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف
بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف
أحد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب
عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق
وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها
الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما
آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك
هم الظالمون الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على
التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع
البصر كرتين أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك
وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان تخيير لهم بعد أن
علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين أن يسرحوهن السراح الجميل
الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لأنه لا رجعة بعد الثلاث فإمساك بمعروف أي برجعة

او تسريح باحسان بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها
وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة
فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين التطليقتين والثلث بدعة والسنة
ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر ان رسول الله عليه السلام قال انما السنة
ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا باس بارسال الثلاث لحديث العجلاني
الذي لاعن امراته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله فلم ينكر عليه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت
تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت
لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعتب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا
اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت
وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام **فان قلت** لمن
الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان
قلت للايمة والحكام فهولاء ليسوا باخذين منهن ولا بموتيهن **قلت** يجوز الامران جميعا ان يكون
اول الخطاب للازواج وآخره للايمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله
للايمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والموتون مما آتيتموهن
مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله
فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما
اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة
على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت
الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها
ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيا وقرئ
الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه
اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفي قراءة ابي
الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن
فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا
ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون فان طلقها الطلاق

المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من
بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كما التزوج
ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور
انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عايشة رضي الله عنها ان امراة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه فقالت ان
رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء
الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض
رسول الله فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال
لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها **فان**
قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل **قلت** ذهب سفيان والاوزاعي
وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم
يصرحا به فلا كراهة وعن النبي عليه السلام انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا
رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني ان يتراجعا ان يرجع
كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان
لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن هاهنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول
علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به
من كان منكم يومن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون
فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان
اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية
وقال اذا انتهى امده ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل
وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه
فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن باحسان واما
ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء
عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل

واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم
نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا
نعمة الله عليكم وما انزل عليكم
من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا
الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم

ليلجئوهن إلى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا أي جدوا في الأخذ بها
والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الأمر إنما أنت لاعب
وهازئ ويقال كن يهوديا وإلا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا
وعن النبي صلى الله عليه ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام
وبنبوة محمد عليه السلم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام
بحقها يعظكم به بما أنزل عليكم فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن إما أن يخاطب به الأزواج الذين يعضلون نساءهم
بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج والمعنى أن ينكحن
أزواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وإما أن يخاطب به الأولياء في عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن روي
أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم
له والوجه أن يكون خطابا للناس أي لا يوجد فيكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج وأنشد لابن هرمة
وإن قصائدي لك فاصطنعني ٭ عقائل قد عضلن عن النكاح ٭ وبلوغ الأجل على الحقيقة وعن الشافعي
رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين إذا تراضوا إذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما
يحسن في الدين والمروة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنها إذا زوجت نفسها بأقل
من مهر مثلها فللأولياء أن يعترضوا **فإن قلت** لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به **قلت**
لرسول الله ولكل أحد ونحوه ذلكم خير لكم وأطهر أزكى لكم وأطهر من أدناس الآثام وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب
والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وأنتم لا تعلمونه أو والله أعلم بما تستصلحون به من الأحكام والشرائع
وأنتم تجهلونه والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا
عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا
جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير
يرضعن مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لأنه مما يتسامح
فيه فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر
الراء والرضعة وأن تتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لأن بما لتآخيهما في التأويل

فإن قلت كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله **قلت** هو بيان لمن توجه إليه الحكم كقوله
تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم
أنزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك
بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة
لفلان ولده أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأن الأب يجب عليه إرضاع الولد دون
الأم وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز
استيجار الأم عند أبي حنيفة ما دامت زوجة له أو معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فإذا انقضت
عدتها جاز بالاتفاق **فإن قلت** فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن
قلت إما أن يكون أمرا على وجه الندب وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه
أو لم توجد له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستيجار وقيل أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة
والكسوة لأجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية
نحو عليهم في غير المغضوب عليهم **فإن قلت** لم قيل المولود له دون الوالد **قلت** ليعلم أن
الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات وأنشد للمأمون
بن الرشيد فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء أبناء فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن
إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما
لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو أن لا
يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار
بالرفع على الإخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء أو تضارر
بفتحها وقراءة لا تضار بالفتح أكثر القراء وقراءة الحسن بالكسر على النهي وهو يحتمل البنائين أيضا ويبين ذلك
أنه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها وقرأ أبو جعفر بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وعن الأعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه
أبو جعفر أو اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة
زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه
بالتفريط في شأن الولد وأن تقول له بعد ما ألفه الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك ولا يضار مولود
له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد

إرضاعه ولا يكرههما على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهى ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج
وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان يكون الباء من
صلته اى لا تضر والدة بولدها فلا تسىء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغى له ولا تدفعه الى الاب بعدما ألفها
ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر فى حقها فتقصر هى فى حق الولد **فان قلت** كيف
قيل بولدها وبولده **قلت** لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه
ليس بأجنبى منها ومن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث
المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اى ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه
فى ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التى ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبى الذى لو
مات الصبى ورثه واختلفوا فعند ابن ابى ليلى كل من ورثه وعند ابى حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند
الشافعى لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم
وقيل المراد وارث الاب وهو الصبى نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه فى ماله
ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعها وقيل على الوارث على الباقى من الابوين من قوله
واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما فى ذلك زادا على
الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو فى غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما فى
الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهى اعلم بحال الصبى وقرئ فان
ارادا استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبى واسترضعتها الصبى فتعديه الى مفعولين كما
تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء
عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول
اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما أتيتم من اتى اليه
احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا اى مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما أوتيتم
اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط
للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشىء الذى تعطاه المرضع من
اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبى واحتياطا فى امره فامرنا بايتائه
ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا

عند تسليم الاجرة مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن
بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف والله بما
تعملون خبير والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل
معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وهى قراءة
على رضى الله عنه والذى يحكى ان ابا الاسود الدؤلى كان يمشى خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر
الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة على ان امره ان يضع كتابا فى النحو تناقضه هذه القراءة
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهى اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا
الى الليالى والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا
ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن
اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن فى انفسهن من التعريض
للخطاب بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن
وان فرطوا كان عليهم الجناح ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم فى
انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا
ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم
فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم فيما عرضتم به ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة
ومن غرضى ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها
حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك
روى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على ابو جعفر محمد بن على وانا فى عدتى
فقال قد علمت قرابتى من رسول الله عليه السلام وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبنى
فى عدتى وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وموضعى قد
دخل رسول الله على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابى سلمة فتوفى عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل
على يده حتى اثر الحصير فى يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **فان قلت** اى فرق
بين الكناية والتعريض **قلت** الكناية ان تذكر الشىء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر
شيئا تدل به على شىء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك

قالوا: وحسبك بالتسليم مني تقاضيا . وكأنه إمالة الكلام لا عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لأنه يلوح
منه ما يريده . او أكننتم في أنفسكم أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين
علم الله أنكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من
التوبيخ كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم **فان قلت** اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن
قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن
لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لأنه مما يسر قال الأعشى ولا تقربن جارة
إن سرها عليك حرام فانكحن أو تأبدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لأنه سبب فيه كما فعل بالنكاح
إلا أن تقولوا قولا معروفا وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا **فان قلت** بم يتعلق حرف الاستثناء
قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن
إلا بأن تقولوا اي لا تواعدوهن إلا بالتعريض ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعا من سرا لأدائه الى قولك
لا تواعدوهن إلا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو أن يقول لها إن نكحتك كنت تريد ما يجري
بينهما تحت اللحاف إلا أن تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث وإفحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا
اي في السر على أن المواعدة عبارة عن المواعدة بما يستهجن لأن مسارتهن في الغالب بما يستحيى من المجاهرة
به وعن ابن عباس إلا أن تقولوا قولا معروفا هو أن يتواثقا أن لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح
من عزم الأمر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح في العدة لأن العزم على الفعل
يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة
النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت
الصيام حتى يبلغ الكتاب أجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في أنفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه
ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من إيجاب مهر إن طلقتم .

النساء لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او
يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان
الله بما تعملون بصير لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من إيجاب مهر إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن
ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة إلا أن تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا لهن فريضة وفرض

الفريضة تسمية المهر وذلك أن المطلقة غير المدخول بها إن سمي لها مهر فلها نصف المسمى وإن لم يسم لها فليس لها
نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله وإن طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم
فقوله فنصف ما فرضتم إثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند أبي ح إلا أن يكون
مهر مثلها أقل من ذلك فلها الأقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر
عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه
لأن ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي عليه السلام أنه قال لرجل
من الأنصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها أمتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك
وعند أصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة إلا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تأكيد لمتعوهن
بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او واجبا عليهم او حق ذلك حقا
على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل
قتيلا فله سلبه إلا أن يعفون يريد المطلقات **فان قلت** اي فرق بين قولك الرجال يعفون و
النساء يعفون **قلت** الواو في الأول ضميرهم وفي الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني
لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني إلا أن يعفو
المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ
منه شيئا او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل الزوج وعفوه أن يسوق إليها المهر
كاملا وهو مذهب أبي حنيفة والأول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر إلا أن يقال كان الغالب عندهم
أن يسوق إليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها فاذا ترك المطالبة فقد
عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل
لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وعنه أنه دخل على سعد بن أبي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج
طلقها وبعث إليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال
فأين الفضل والفضل التفضل اي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض وتمروا ولا تستقصوا وقرأ الحسن
او يعفو الذي بسكون الواو وإسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالألف لأنهما أختاها وقرأ أبو
نهيك وأن يعفوا بالياء ولا تنسوا الفضل بكسر الواو حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى
وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا
تعلمون والصلوة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت

وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر وعن النبي صلى الله عليه انه قال يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلم انها الصلاة التي شغل عنها سليمن
بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى
أمليها عليك كما سمعت رسول الله عليه السلم يقرأها فأملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروي
عن عائشة وابن عباس والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين
احداهما الصلاة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها
لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكان
رسول الله يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار
وصلوتي الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلث وقرأ عبد الله
وعلى الصلاة الوسطى وقرأت عائشة والصلاة الوسطى بالنصب على الاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد وقوموا
لله في الصلاة قانتين ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة
فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلاة هاب
الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف
من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وجمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ
فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف
وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال الخوف
فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة
كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية
الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن
قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون
وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقراءة ابي متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاع
لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب

بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر مؤكد
كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين
يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته
ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد
منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه
لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت
كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل
كقوله سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على
المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن
بعدما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين
وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب
جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر
الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس
لا يشكرون الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز
ان تخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب روي ان اهل داوردان
قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله
وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه
تعجبا مما رأى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية
ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون
ومن بدع التفاسير الوف متألفون جمع آلف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله فقال
لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل
واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوا امتثالا من غير اباء ولا توقف
كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة
وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله ان الله لذو فضل على الناس حيث

يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصّر اولئك وكما بصّركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث
احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثاً على
الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله وهو قوله وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم
فاعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء من ذا
الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط
واليه ترجعون إقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها
واما النفقة في سبيل الله اضعافاً كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض
ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم
على ما قدمتم ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً
نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما
لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال
تولوا الا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكاً انهض
للقتال معنا اميراً نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله
صلى الله عليه من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر
الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميراً عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على
انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك قالوا نقاتل وقرئ يقاتل
بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكاً وخبر عسيتم ألا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم
ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن
القتال فادخل هل مستفهماً عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع
كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي
ضعيفة وما لنا ألا نقاتل اي واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم
اربعمائة واربعين الا قليلاً منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكاً قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة

من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه
من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه
سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك
لآية لكم ان كنتم مؤمنين طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته و
زعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا
ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربياً كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها
رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربياً وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانياً
انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين الواوين
في ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالاً قد
انتظمتهما معاً في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير
ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط
يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلاً سقاء او دباغاً فقيراً وروي ان نبيهم دعا الله
حين طلبوا منه ملكاً فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم
يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما
ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر
الحرب ويجوز ان يكون عالماً بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون
من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيماً يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس
واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه
يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل
والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك فلما فصل
طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه
فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا
معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا
الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا
لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم

اصطفاه

اغترف

فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه
مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل
على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين التابوت صندوق التوراة
وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدّمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرّون والسكينة السكون والطمأنينة
وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئنّ فيزفّ التابوت نحو
العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان
وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى
فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء
بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيّرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملّك
طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما
الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموّها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرا ابيّ
وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار **فان قلت** ما وزن التابوت **قلت** لا يخلو من ان
يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف
اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج
منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرا بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من
التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرا ابو السمال سكّينة بفتح
السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء **فان قلت** من آل موسى وآل هرون **قلت**
الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز
ان يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شانهما فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله
فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز
ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصدّ ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه
لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب
النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجري الله
لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بنهر بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتدا شربه من النهر بان كرع فيه
فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس

من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا. الا ترى كيف عطف البرد عليه وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا
ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب
وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون
فان قلت مم استثنى قوله الا من اغترف **قلت** من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة
الثانية في حكم المتاخرة الا انها قدّمت للعناية كما قدّم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا و
الصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه قوله فشربوا منه الا قليلا منهم
وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرا ابيّ والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى
والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه
كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق. لم يدع من المال الا مسحت او مجلف. كانه قال لم يبق
من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا والذين آمنوا يعني القليل قال
الذين يظنون يعني الخلّص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما
قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير
الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم في
الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه
اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة
رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو
ذلك من الاسباب كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير
يرعى الغنم فاوحي الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مرّ في طريقه
بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان احملني وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت
فقتله وزوّجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق الارض المقدسة
ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام
الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم
لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض
وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم

بهم لعمّ الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف و
إماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره بالآية التي هي إتيان التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي
بالحق باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك وإنك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير أن
تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما
اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم
من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد تلك الرسل إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت
قصصها في السورة أو التي ثبت علمها عند رسول الله فضلنا بعضهم على بعض لما أوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات
منهم من كلم الله منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلّم اللهَ بالنصب وقرأ
اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات أي ومنهم من رفعه على سائر
الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر أنه أراد محمداً صلى الله عليه لأنه هو المفضل
عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ولو لم يؤت إلا القرآن وحده
لكفى به فضلاً منيفاً على سائر ما أوتي الأنبياء لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الإبهام من
تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال
للرجل من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من
التصريح به وأنوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيراً والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث
أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم أمره ويجوز أن يريد إبراهيم ومحمداً أو غيرهما من أولي العزم من
الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الأنبياء فذكرنا نوحاً بطول عبادته وإبراهيم بخلته وموسى بتكليم
الله إياه وعيسى برفعه إلى السماء وقلنا رسول الله أفضل منهم بعث إلى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وهو خاتم الأنبياء فدخل فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل
سيئة قط ولم يهم بها **فإن قلت** فلم خص موسى وعيسى من بين الأنبياء بالذكر **قلت** لما أوتيا
من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات
فلما كان هذان النبيان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين أن من
زيد تفضيلاً بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي أوتي منها ما لم يؤت أحد
في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين

ولو شاء الله مشيئة إلجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم
بعضاً ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الأنبياء ومنهم من كفر لإعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره
للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من
قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون أنفقوا مما
رزقناكم أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من
الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى تسامحكم أخلاؤكم به وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم
من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات لأن الشفاعة ثمّ في زيادة الفضل لا غير والكافرون
هم الظالمون أراد والتاركون الزكاة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن
كفر مكان ومن لم يحج ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة
وقرئ لا بيعَ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ بالرفع الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم
له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا
يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين
الذي يصح أن يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم
من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة
وليس بنائم أي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً
ومنه حديث موسى أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فأوحى الله تعالى إليهم أن يوقظوه
ثلاثاً ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب إحداهما على
الأخرى فانكسرتا ثم أوحى إليه قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس
لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وأن أحداً لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في
الكلام كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير
لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء من علمه من معلوماته إلا بما
شاء إلا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه أربعة أوجه أحدها أن كرسيه
لم يضق عن السماوات والأرض لبسطته وسعته وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا
قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير

تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني
وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي
انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو
العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي الشأن العظيم الملك والقدرة
فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا
وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب
بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره
والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة
لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره فان قلت لم فضلت هذه الآية
حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلم ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما
ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن
علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه
من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه
وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن آية الكرسي
ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان
وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن
وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها
على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من
سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك كثرة
اعدائه فان العرانين تلقاها محسدة لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم لا اكراه في
الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء
ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان
ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة
فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان والاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة

الطاغوت كل ما يعبد دون الله تعالى من الانس والجن والشيطان والصنم واحد طواغيت

الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى
يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال
بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا
انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله ثم قدما
المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فقال الانصاري يا رسول
الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور و
الذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون الله ولي الذين آمنوا اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر
الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين
ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم
من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان آتاه
الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله ياتي
بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين
الم تر تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره به ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الملك
على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر
على ان آتاه الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما يجب عليه من
الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك
فان قلت كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط
من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده واذ قال نصب بحاج او بدل من
ان آتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفو عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابرهيم عليه السلم
لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز
الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابرهيم الكافر وقرأ ابو حيوة فبهت بوزن قرب
وقيل كان هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى
يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم

قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية
للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على
كل شيء قدير أو كالذي معناه او أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجب ويجوز ان يحمل
على المعنى دون اللفظ كانه قيل أرأيت كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر
لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد
بصيرة كما طلبه ابرهيم وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت
المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوما او بعض يوم
بناء على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت
فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين
والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين
لان لامها هاء او واو وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف
علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث
مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ ابي لم يسنه بادغام التاء في
السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما
في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه
من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره
وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم
حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى
اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي عظام الحمار
او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى
انشرهم فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له
ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت
زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ
قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم **فان قلت** فان كان المار كافرا كيف يسوغ
ان يكلمه الله **قلت** كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا واذ قال ابرهيم رب ارني

كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن
اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم ارني
بصرني **فان قلت** كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا **قلت** ليجيب بما اجاب
به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا
وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم
الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك
فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن **قلت** بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة
القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن
واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها ❁ وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه ❁ على الليت قنوان
الكروم الدوالح ❁ وقرأ ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه
نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن
وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن
السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن
على ارجلهن **فان قلت** ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها **قلت** ليتأملها ويعرف
اشكالها وهيآتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي
انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك
رؤوسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير
الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى رأسها وقرئ جزؤا بضمتين وجزا
بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله
يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون مثل الذين ينفقون
لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا
اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب
لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر **فان قلت** كيف صح هذا التمثيل

والممثل غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز لجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت من قوله تعالى ثلثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرءا اسدى الي صنيعة ۞ وذكرنيها مرة للئيم ۞ وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول ههنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدإ النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرا سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان تكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي

يتناولان فكانه قيل كمن ينفق ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وربوة بالحركات الثلث واكلها بضمتين ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيمة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت

كيف جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات **قلت** النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل **فان قلت** علام عطف قوله واصابه الكبر **قلت** الواو للحال لا للعطف ومعناه ان يكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت لو كان كذا ووددت ان يكون كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها **فان قلت** فهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض **قلت** معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردى منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو فى محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء فى معنى قصده ولستم بآخذيه وحالكم انكم لا تأخذونه فى حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بأن تتسامحوا فى اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اى لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح • لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض • وقرأ الزهرى تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه فى السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يعدكم الفقر اى يعدكم فى الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل فى الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم فى الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او وثوابا عليه فى الآخرة يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب يؤتى الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وقرأ الاعمش ومن يؤته الحكمة وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتى اى خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب

يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآى فى معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار وما انفقتم من نفقة فى سبيل الله او فى سبيل الشيطان او نذرتم من نذر فى طاعة الله او فى معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم فى المعاصى او لا يوفون بالنذور او ينذرون فى المعاصى من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ما فى نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هى فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل فى الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضى الله عنه صدقات السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفى التهمة حتى اذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اى ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهى فحسب ولكن الله يهدى من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهى عما نهى عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابى بكر فاتتها امها تسألها وهى مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار فى اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف

في الواجب فجوّز ابو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره للفقراء الذين احصروا في
سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم
بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الجار متعلق بمحذوف
والمعنى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف
اي صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في
الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة
ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون
في كل سرية بعثها رسول الله فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس رضي الله عنه وقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من
امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين
من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا
يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه ان الله
يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السآل الملحف ومعناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو
نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا
قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين
الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي رضي
الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت
في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية الذين يأكلون
الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع
مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الربوا كتب بالواو على
لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من
قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون

ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون
والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته
الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات **فان قلت** بم يتعلق
قوله من المس **قلت** بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق
بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون
بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروع
لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل
الربوا **فان قلت** هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا
الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذا اذا باع
درهما بدرهمين **قلت** جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا
وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس
يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر
بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله
يحكم في شأنه يوم القيمة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تأنيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرأ ابي والحسن
فمن جاءته يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم يمحق الله الربوا يذهب بركته و
يهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف
عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كل
كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المؤمنين ليجد وما شرطوا على الناس من الربوا
وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم
عند المحل بالمال والربوا وقرأ الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة
فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته
امتثال ما امرتم به من ذلك فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس

اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها مح

أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون فأذنوا بحرب فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به وقرئ فآذنوا فأعلموا بها
غيركم وهو من الأذن وهو الاستماع لأنه من طرق العلم وقرأ الحسن فأيقنوا وهو دليل لقراءة العامة فإن قلت
هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله
وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم من الارتباء فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون المديونين
بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فإن قلت هذا حكمهم إن تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا
قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان ذو
عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون وإن كان ذو عسرة وإن وقع غريم
من غرمائكم ذو إعسار وقرأ عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وإن كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا
عسرة فنظرة فالحكم أو فالأمر نظرة وهي الإنظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب
الحق منتظره أو ناظره أي منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل
وعنه فناظره على الأمر بمعنى فسامحه بالنظرة وباسره بها إلى ميسرة إلى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة
ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا وقوله تعالى
وإقام الصلاة وأن تصدقوا خير لكم ندب إلى أن يتصدقوا برؤوس أموالهم على المعسر من غرمائهم أو ببعضها كقوله
وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل أريد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل
يوم صدقة إن كنتم تعلمون أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد
على حذف التاء واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون
ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ أبي
تصيرون وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول
الله بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحدا وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم
بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله
فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق
سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من
رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر
إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم
أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها

بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد إذا تداينتم
إذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل إذا عاملته بدين معطيا أو آخذا كما تقول بايعته إذا بعته أو باعك قال
رؤبة داينت أروى والديون تقضى فمطلت بعضا وأدت بعضا والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فإن
قلت هلا قيل إذا تداينتم إلى أجل مسمى وأي حاجة إلى ذكر الدين كما قال داينت أروى ولم يقل بدين قلت
ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله فاكتبوه إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولأنه أبين
لتنويع الدين إلى مؤجل وحال فإن قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوما
كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام ولو قال إلى الحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وإنما أمر بكتبة
الدين لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والأمر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنه أن المراد
به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وعنه أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل
فيه أطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له أي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب
أن يكتب ولا ينقص وفيه أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين
بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيها دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب أن يكتب كما علمه
الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك أي ينفع الناس بكتابته
كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز أن يتعلق بأن يكتب وبقوله فليكتب فإن قلت
أي فرق بين الوجهين قلت إن علقته بأن يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب
يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وإن علقته بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق
ثم أمر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره
به والإملال والإملاء لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيا
بطرح الهمزة وشيا بالتشديد سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف أو ضعيفا صبيا أو شيخا مختلا أو لا يستطيع أن
يمل هو أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لعي به أو خرس فليملل وليه الذي يلي أمره من وصي إن كان سفيها أو صبيا أو
وكيل إن كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله أن يمل هو فيه أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو
الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية
والبلوغ شرط مع الإسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين
وعثمان البتي أنها جائزة ويجوز عند أبي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فإن لم يكونا فإن لم
يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبي حنيفة

فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم أن تضل إحداهما أن لا تهتدي إحداهما للشهادة بأن تنساها
من ضل الطريق إذا لم يهتد له وانتصابه على أنه مفعول له أي إرادة أن تضل **فإن قلت** كيف يكون ضلالها
مراد الله **قلت** لما كان الضلال سببا للإذكار والإذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب
منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار فكأنه قيل إرادة أن تذكر
إحداهما الأخرى إن ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه وأعددت السلاح أن يجيء عدو
فأدفعه فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرأ حمزة إن تضل إحداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد
كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ أن تضل إحداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل
إحداهما الأخرى ذكرا يعني أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر إذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل
لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه
منهم أحد فنزلت ولا تسأموا كني بالسأم عن الكسل لأن الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز أن يراد
من كثرت مداينته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغير أو كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين أو الحق
صغيرا أو كبيرا على أي حال كان الحق من صغر أو كبر ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن تكتبوه مختصرا أو مشبعا
ولا تخلوا بكتابته إلى أجله إلى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم إشارة إلى أن تكتبوه لأنه في معنى المصدر أي
ذلكم الكتب أقسط أعدل من القسط وأقوم للشهادة وأعون على إقامة الشهادة وأدنى أن لا ترتابوا وأقرب من
انتفاء الريب **فإن قلت** مم بني أفعلا التفضيل أعني أقسط وأقوم **قلت** يجوز على مذهب سيبويه
أن يكونا مبنيين من أقسط وأقام وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط وأقوم من قويم
وقرئ ولا يسأموا أن يكتبوه بالياء فيهما **فإن قلت** ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين
أو بعين فالتجارة حاضرة وما معنى إدارتها بينهم **قلت** أريد بالتجارة ما يتجر فيه من الأبدال ومعنى إدارتها
بينهم تعاطيهم إياها يدا بيد والمعنى إلا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوه لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم
في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على أن الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها
وبالنصب على إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله • بني أسد هل تعلمون بلاءنا • إذا كان يوما ذا كواكب
أشنعا • أي إذا كان اليوم يوما وأشهدوا إذا تبايعتم أمر بالإشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كاليا لأنه أحوط
وأبعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز أن يراد وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على أن
الإشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن إن شاء أشهد وإن شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على
باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالإظهار و

والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالإظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب
منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهي عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم ويلزا أو لا يعطى الكاتب حقه من
الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد إلى بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم
واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وإن تفعلوا وإن تضاروا فإنه فإن الضرار فسوق بكم وقيل
وإن تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فإن أمن
بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم
قلبه والله بما تعملون عليم على سفر مسافرين وقرأ ابن عباس وأبي كتابا وقال ابن عباس أرأيت إن وجدت
الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ أبو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به
رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان **فإن قلت** لم شرط السفر
في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله درعه في غير سفر **قلت** ليس
الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد أمر على سبيل الإرشاد
إلى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإشهاد وعن مجاهد والضحاك
أنهما لم يجوزاه إلا في حال السفر أخذا بظاهر الآية وأما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالإيجاب
والقبول بدون القبض فإن أمن بعضكم بعضا فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرأ أبي فإن
أومن أي آمنه الناس ووصفوا المديون بالأمانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن
أمانته حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه له وأن يؤدي إليه الحق الذي ائتمنه عليه
فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة أن تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال
أو ياء فتقول الذي اؤتمن أو الذيتمن وعن عاصم أنه قرأ الذتمن بإدغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال
من اليسر وليس بصحيح لأن الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر إن و
قلبه رفع بآثم على الفاعلية كأنه قيل فإنه يأثم قلبه ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر إن **فإن
قلت** هلا اقتصر على قوله فإنه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده **قلت**
كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان إثما مقترفا بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ
ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي ولأن القلب هو رئيس الأعضاء
والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الإثم في أصل نفسه وملك أشرف
مكان فيه ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن

اقترافه واللسان ترجمان عنه ولأن افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبَه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرا ابن ابي عبلة أثّم قلبَه اي جعله آثما لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله ابن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين فهو يغفر ويعذب **فان قلت** كيف يقرأ الجازم **قلت** يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله. متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ∴ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ∴ ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل أتوه داخرين وقرا ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب **فان قلت** كيف يكون الواحد اكثر من الجمع **قلت** لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو ويفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرا عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك بإضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك نستغفرك

ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرا ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها **فان قلت** لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب **قلت** في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطأ ان فرط منا **فان قلت** النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما **قلت** ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد **فان قلت** اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا **قلت** هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرا الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه.

وعنه عليه السلام أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه أنزل الله آيتين من كنوز الجنة
كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل فإن قلت
هل يجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة قلت لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله
عليه وسلم من آخر سورة البقرة وعن خواتيم سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت
العرش وعن عبد الله بن مسعود أنه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا إله غيره رمى الذي أنزلت عليه سورة
البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة وإذا قيل قرأت البقرة لم يشكل
أن المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم أنه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التي يذكر فيها البقرة
عن رسول الله صلى الله عليه السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة
ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ميم حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام وأن يبدأ ما بعدها كما تقول
واحد اثنان وهي قراءة عاصم وأما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف فإن قلت كيف جاز
إلقاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لأن ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج
لأن ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وإنما حذفت تخفيفا وألقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل
عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بإلقاء حركة الهمزة على الدال فإن قلت هلا زعمت أنها حركة لالتقاء
الساكنين قلت لأن التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا إبراهيم وداود
وإسحاق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في ألف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما
انتظر ساكن آخر فإن قلت إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لأنهم أرادوا الوقف و
أمكنهم النطق بساكنين فإذا جاء ساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا قلت الدليل على أن الحركة ليست لملاقاة
الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا أصيم ومديق
فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فإن قلت فما وجه
قراءة عمرو بن عبيد رحمه الله بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة
نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى
للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز
ذو انتقام التوراة والإنجيل اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وإفعيل

إنما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لأن أفعيل بفتح الهمزة عديم في أوزان
العرب فإن قلت لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل قلت لأن القرآن نزل منجما ونزل
الكتابان جملة وقرأ الأعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس أي لقوم موسى وعيسى ومن
قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فإن قلت ما المراد بالفرقان قلت
جنس الكتب السماوية لأن كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب
الثلاثة وأنزل ما يفرق بين الحق والباطل من كتبه أو من هذه الكتب أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا
داود زبورا وهو ظاهر أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعدما ذكره باسم
الجنس تعظيما لشأنه وإظهارا لفضله بآيات الله من كتب المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على
مثله منتقم إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام
كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والأرض فهو مطلع على
كفر من كفر وإيمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم أي
صوركم لنفسه ولتعبده كقولك أثلت مالا إذا جعلته أثلة أي أصلا وتأثلته إذا أثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا
حجاج على من زعم أن عيسى كان ربا كأنه نبه بكونه مصورا في الرحم على أنه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله
هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات
فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله
وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما
يذكر إلا أولو الألباب محكمات أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات
مشتبهات محتملات هن أم الكتاب أي أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها ومثال ذلك لا تدركه الأبصار
إلى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء أمرنا مترفيها فإن قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت
لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال
ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز
بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد
الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف إذا
رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله
عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوة في إيقانه الذين في قلوبهم زيغ هم أهل البدع

فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق ابتغاء الفتنة طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله وطلب أن يأولوه التأويل الذي يشتهونه وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله إلا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والأول هو الوجه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به أي بالمتشابه كل من عند ربنا أي كل واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر إلا أولوا الألباب مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز أن يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله إن تأويله إلا عند الله وقرأ أبي ويقول الراسخون **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد إذ هديتنا وأرشدتنا لدينك أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب **ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد** جامع الناس ليوم أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الأصل إن الله لا يخلف الميعاد معناه أن الإلهية تنافي خلف الميعاد كقولك إن الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد **إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب** قرأ علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين ومن الله مثله في قوله إن الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله شيئا أي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك أي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود بالضم بمعنى أهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وعن ابن عباس هم قريظة والنضير الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم كما تقول إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد كظلم أبيك

ومثل ما كان يظلمهم وإن فلانا لمحارف كدأب أبيه تريد كما حورف أبوه كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم مما فعلوا وفعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد** قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله يوم بدر قالوا هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقيل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون **فإن قلت** أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى **قلت** معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم فهو إخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه كأنه قال أد إليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون **قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار** قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما أمدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم **فإن قلت** فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ويقللكم في أعينهم **قلت** قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقوله وقفوهم إنهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لأنه قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء أي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص أو على الحال من الضمير

في القنطار أي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما أيد أهل بدر
بتكثيرهم في عين العدو زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده
حسن المآب زين للناس المزين الله سبحانه للابتلاء كقوله إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ويدل
عليه قراءة مجاهد زَيَّنَ للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لأنا لا نعلم أحدا أذم لها
من خالقها حب الشهوات جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع
بها والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه
بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر أولا في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو إلا
شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الأجناس فيكون أقوى لتخسيسها وأدل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح
طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة ألف دينار ولقد
جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة
وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة أو المطهمة أو المرعية من أسام الدابة وسومها والأنعام
الأزواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحياة الدنيا للذين اتقوا عند ربهم قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين
اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان
من الله والله بصير بالعباد جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول
هل أدلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لأنهم
هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير والله بصير
بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذلك أعد لهم الجنات الذين يقولون
ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالأسحار الذين يقولون نصب على المدح أو رفع ويجوز الجر صفة للمتقين
أو للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك وخص
الأسحار لأنهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة فيه إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
وعن الحسن كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا
ليلهم شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز
الحكيم إن الدين عند الله الإسلام شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها

غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان
والكشف وكذلك إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق
والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال
مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا **فإن قلت** لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه
ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز **قلت** إنما جاز هذا لعدم الإلباس كما جاز في قوله ووهبنا له إسحق
ويعقوب نافلة أن انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح
فإن قلت أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد إنا معشر الأنبياء لا
نورث إنا بني نهشل لا ندعي لأب **قلت** قد جاء نكرة كما جاء معرفة وأنشد سيبويه مما جاء نكرة قول
الهذلي ويأوي إلى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي **فإن قلت** هل يجوز أن يكون صفة
للمنفي كأنه قيل لا إله قائما بالقسط إلا هو **قلت** لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة
والموصوف **فإن قلت** قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح أن ينتصب حالا عن هو في لا إله إلا هو
قلت نعم لأنها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي أن تكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها
عامل فيها كقوله أنا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل إلا عبد الله شجاعا وهو أوجه من انتصابه عن فاعل
شهد وكذلك انتصابه على المدح **فإن قلت** هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة وأولي
العلم كما دخلت الوحدانية **قلت** نعم إذا جعلته حالا من هو أو نصبا على المدح أو صفة للمنفي كأنه قيل
شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا إله إلا هو وأنه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على أنه بدل
من هو أو خبر مبتدإ محذوف وقرأ أبو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به
ذاته من الوحدانية والعدل يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل
في أفعاله **فإن قلت** ما المراد بأولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع
الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله **قلت** هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة
والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ أنه بالفتح وإن الدين بالكسر على أن الفعل واقع على
أنه بمعنى شهد الله على أنه أو بأنه وقوله إن الدين عند الله الإسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى
فإن قلت ما فائدة هذا التوكيد **قلت** فائدته أن قوله لا إله إلا هو توحيد وقوله قائما
بالقسط تعديل فإذا أردفه قوله إن الدين عند الله الإسلام فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد و
هو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي إليه

كما جاء في التوراة او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي
كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل
هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الاسلام هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح
على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد
فترى القراآت كلها متعاضدة على ذلك وقراءة عبد الله ان لا اله الا هو وقراءة ابي ان الدين عند الله للاسلام
وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع
على هم شهداء لله **فان قلت** ما المعطوف على هذه القراءة والملائكة واولو العلم **قلت** على
الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما **فان قلت** لم كرر قوله لا اله الا هو **قلت**
ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعدما قرن باثبات
الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن
به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من
بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب الذين
اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل
من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق
بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا تجوير لله بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف
وتظاهرهم بمذهب وهولاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا
يطأون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم
بالايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلم حين
احتضر استودع التورية سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن
اختلف السبعون بعدما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى
واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله
ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا
وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد فان حاجوك فجادلوك في الدين فقل
اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني
ان ديني التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني

فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو
دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن
اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا
الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات
ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم
تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وجل فهل انتم منتهون بعد ما
ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف
اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك
في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على
تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى
النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى ان الذين
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
وما لهم من ناصرين قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرأ عبد الله
وقاتلوا وقرأ ابي يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم
وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح
رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر
ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة
واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر
النهار في الدنيا والآخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة **فان قلت** لم دخلت
الفاء في خبر ان **قلت** لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم ولا
تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى
فريق منهم وهم معرضون اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا
من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي

نصيبا عظيما يدعون الى كتاب الله وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله دخل مدراسهم فدعاهم فقال
له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد اى دين انت قال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا
وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت فى الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم
قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب
وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف
والتعادى بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم فى صحته
وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضى
ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون ذلك التولى والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم
امر العقاب وطمعهم فى الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم فى دينهم ما كانوا
يفترون من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله فى كبائرهم فكيف اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فكيف اذا جمعناهم
فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة فى دفعه
والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروى ان اول راية ترفع
لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار وهم لا يظلمون
يرجع الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسى قل اللهم مالك
الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك
الخير انك على كل شىء قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى
من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب الميم فى اللهم عوض من
يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء فى القسم وبدخول حرف النداء عليه
وفيه لام التعريف وبقطع همزته فى يا الله وبغير ذلك مالك الملك اى تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك
فيما يملكون تؤتى الملك من تشاء تعطى من تشاء النصيب الذى قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك
ممن تشاء النصيب الذى اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل
روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود
هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروى ان رسول الله صلى الله

حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لما خط الخندق فى عام الاحزاب
وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان
الى رسول الله يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا فى
جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها
قصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى منها قصور صنعاء واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا
فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما
تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت **فان قلت** كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون
الشر **قلت** لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الى المؤمنين وهو الذى انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه
اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه
ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه
رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق من يشاء بغير حساب
من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب انا الله ملك
الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة
فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا ان تتقوا
منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل
الاسلام او غير ذلك من الاسباب التى يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك فى القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم واصل
من اصول الايمان من دون المؤمنين يعنى ان لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا
تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله فى شىء يقع اسم الولاية عليه
يعنى انه منسلخ من ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان قال تود عدوى
ثم تزعم اننى ۞ صديقك ليس النوك عنك بعازب ۞ الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب
اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقى تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم فى موالاتهم اذا خافوهم و
المراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر
العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه

وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته

قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير

إن تخفوا ما في صدوركم من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لأن نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم أن العالم الذات الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك

يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد

يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم أي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا ويجوز أن ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن يكون ما شرطية لارتفاع تود

فإن قلت فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت **قلت** لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا أي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرءونه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والأمد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رءوف بالعباد يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم

محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملؤوا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبوا ويحببكم من حبه يحبه قال أحب أبا ثروان من حب تمره وأعلم أن الرفق بالجار أرفق ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين

فإن تولوا يحتمل أن يكون ماضيا وأن يكون مضارعا بمعنى فإن تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم

إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم

آل إبرهيم إسماعيل وإسحق وأولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة وذرية بدل من آل إبرهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من إسحاق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن إيشى بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق وقد دخل في آل إبرهيم رسول الله صلى الله عليه وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء أو يعلم أن بعضهم من بعض في الدين أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها

إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم

وإذ منصوب به وقيل بإضمار اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله إذ قالت امرأة عمران على أثر قوله وآل عمران مما يرجح أن عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه أن موسى يقرن بإبرهيم كثيرا في الذكر

فإن قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهرون **قلت** كفى بكفالة زكريا دليلا على أنه عمران أبو البتول لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته إيشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم إن لك علي نذرا شكرا إن رزقتني ولدا أن أتصدق

به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس
لا يد لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي أنهم كانوا ينذرون
هذا النذر فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وأن لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير إلا للغلمان
وإنما بنت الأمر على التقدير أو طلبت أن ترزق ذكرا فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله
أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من
الشيطان الرجيم فلما وضعتها الضمير لما في بطني وإنما أنث على المعنى لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله أو على تأويل
الحبلة أو النفس أو النسمة **فإن قلت** كيف جاز انتصاب أنثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك
وضعت الأنثى أنثى **قلت** الأصل وضعته وإنما أنث لتأنيث الحال لأن الحال وذا الحال لشيء واحد كما أنث
الاسم في ما كانت أمك لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فإن كانتا اثنتين وأما على تأويل الحبلة أو النسمة فهو ظاهر كأنه
قيل إني وضعت الحبلة أو النسمة أنثى **فإن قلت** فلم قالت إني وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول
قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر
أن تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله أعلم بما وضعت
تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور
وأن يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله أعلم بما
وضعت على خطاب الله لها أي إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ
وضعتُ بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها **فإن قلت** فما
معنى قوله وليس الذكر كالأنثى **قلت** هو بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع
والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد **فإن قلت**
هو عطف على إني وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم **فإن قلت**
فلم ذكرت تسميتها مريم لربها **قلت** لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه
أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف أتبعه طلب الإعاذة لها ولولدها
من الشيطان وإغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل
صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها فالله أعلم بصحته فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في
إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم
المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن

أغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي: لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد وأما
حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلوننا به
من نخسه فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول
حسن فيه وجهان أحدهما أن يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه
لها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها أنثى في ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح
للسدانة روي أن حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في
بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم
وكانت بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع
عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها
والثاني أن يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص
ويجوز أن يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل
الأمر إذا أخذه بأوله وعنفوانه وقال القطامي: وخير الأمر ما استقبلت منه وليس بأن تتبعه اتباعا
ومنه المثل خذ الأمر بقوابله أي تأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية
الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها
رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب
وقرئ وكفلها زكريا بوزن عملها وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا أي الفعل لله تعالى بمعنى وضمها إليه وجعله
كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة أبي وأكفلها من قوله تعالى أكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وأنبتها وكفلها على
لفظ الأمر في الأفعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك أي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا
عليه السلام محرابا في المسجد أي غرفة تصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من
بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده وكان إذا خرج غلق عليها
سبعة أبواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء أنى لك هذا من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في
غير حينه والأبواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به إليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة
كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه أنه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين
وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها إليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت

من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال
عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي ابن ابي طالب والحسن والحسين
وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها وان الله يرزق من جملة كلام مريم عليها
السلام او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق
هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء هنالك في ذلك
المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى حال مريم في كرامتها
ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد كاختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا امها فقد كانت اختها
كذلك وقيل لما راى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع سميع
الدعاء مجيبه قرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك

فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب

بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ان الله يبشرك بالفتح على ان
الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء
من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن
الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة
الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة
الحويدرة لقصيدته والسيد الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في
انه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا للنفس اي منعا لها من الشهوات
وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار
فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت
من الصالحين ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن
الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل
ما يشاء انى يكون لي غلام ولد استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية
والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون كذلك اي يفعل الله ما يشاء من الافعال
العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة
الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات قال رب اجعل لي آية قال
آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار آية علامة

اعرف بها الحبل لاتلقي النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام وانما خص تكليم الناس
ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال واذكر ربك كثيرا
وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه
عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة
وشكرها الذي طلب الآية من اجله كأنه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن
الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او راس او غيرهما واصله التحرك
يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ
رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتك
وتستطارا بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار
من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت
الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم سمي كلاما ويجوز
ان يكون استثناء منقطعا واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين يا مريم روي انهم كلموها شفاها
معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة عيسى اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية
وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير
اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة واركانها ثم قيل لها و
اركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم
ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان
تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ
يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون ذلك اشارة الى ما سبق من نبإ زكريا
ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت المشاهدة و
انتفاؤها معلوم من غير شبهة وترك نفي استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما
يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة
فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور
وما كنت لديهم اذ جمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا

يكتبون بها التوراة اختاروها تبركا بها اذ يختصمون في شأنها تنافسا في التكفل بها **فان قلت** ايهم يكفل بم يتعلق **قلت** بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كأنه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء **فان قلت** اذ قالت بم يتعلق **قلت** هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا **فان قلت** لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم **قلت** لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين **فان قلت** لم ذكر ضمير الكلمة **قلت** لان المسمى بها مذكر **فان قلت** لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة **قلت** الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه ويكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل ونعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء **فان قلت** علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي يأبى حمله عليها **قلت** هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت على ارادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية

او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستئناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فانفخها قال

كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما

وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكمه الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ولاحل رد على قوله بآية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون معلقا بمضمر دل عليه ايضا اي جئتكم بآية وجئتكم مصدقا ومما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك وقيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة او الله عز وجل او موسى صلى الله عليه لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قولي ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض **فان قلت** كيف جعل هذا القول آية من ربه **قلت** لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كأنه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال

فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا يبكنا الا الكلاب النوابح

وفي وزنه الحوالي

وهو الكثير الجلد ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر
الله والله خير الماكرين﴾ وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيداً لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم
مع الشاهدين مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع أمة محمد لأنهم شهداء على
الناس ومكروا الواو لكفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله أن رفع عيسى
إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين أقواهم مكراً وأنفذهم كيداً وأقدرهم على العقاب
من حيث لا يشعر المعاقب ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه
تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين
وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين﴾ إذ قال الله ظرف
لخير الماكرين أو لمكر الله إني متوفيك أي مستوفي أجلك ومعناه إني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك إلى أجل كتبته
لك ومميتك حتف أنفك لا قتلاً بأيديهم ورافعك إلي إلى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم
وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالي على فلان إذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول
من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف
وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة يعلونهم بالحجة في أكثر الأحوال بها وبالسيف
ومتبعوه هم المسلمون لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود
والنصارى فأحكم بينكم تفسير الحكم قوله فأعذبهم فنوفيهم أجورهم وقرئ فيوفيهم بالياء ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات
والذكر الحكيم﴾ ذلك إشارة إلى ما سبق من نبإ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه ومن الآيات خبر بعد خبر أو خبر
مبتدإ محذوف ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذي نتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره
نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ﴿إن مثل عيسى عند الله
كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ إن شأن
عيسى عند الله إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم أي
آدم من تراب ولم يكن ثم أب ولا أم فكذلك حال عيسى فإن قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم
بغير أب وأم قلت هو مثيله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن
المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ولأنه شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولأن
الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم

لمادة شبهه إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لأنه لا أب
له قال فآدم أولى لأنه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لأن عيسى أحيى أربعة نفر وأحيا حزقيل ثمانية آلاف
فقالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص قال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالماً خلقه من تراب قدره جسداً من
طين ثم قال له كن أي أنشأه بشراً كقوله ثم أنشأناه خلقاً آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدإ محذوف
أي هو الحق كقول أهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله أن يكون ممترياً من باب التهييج لزيادة
الثبات والطمأنينة وأن يكون لطفاً لغيره ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا
ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾
فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم أي من البينات الموجبة للعلم تعالوا هلموا والمراد المجيء
بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة ندع أبناءنا وأبناءكم أي يدع كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه
إلى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالضم والفتح اللعنة وبهله الله لعنه
وأبعده من رحمته من قولك أبهله إذا أهمله وناقة باهل لا صرار عليها وأصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء مجتهد
فيه وإن لم يكن التعاناً وروي أنه لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم
يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم و
والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما
أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا إلى رسول الله وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة
تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو
شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيمة فقالوا
يا أبا القسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين
وعليكم ما عليهم فأبوا قال فإني أناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا
عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب وثلثين درعاً عادية من حديد فصالحهم على
ذلك وقال والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم
الوادي ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا
وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن
فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فإن قلت
ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الأبناء

والنساء **قلت** ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ
كبده وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته
هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه
وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمّ كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمّون الذادة
عنها بأرواحهم حماة الحقائق وقدّمهم في الذكر على الأنفس لينبّه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدّمون
على الأنفس مفدّون بها وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة
النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك إن هذا لهو القصص الحق وما
من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين إن هذا
الذي قصّ عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك الهاء على الأصل وبالسكون لأن اللام تنزّل من هو منزلة بعضه
فخفّف كما خفّف عضد وهو إما فصل بين اسم إن وخبرها وإما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر إنّ **فإن قلت**
لم جاز دخول اللام على الفصل **قلت** إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ
منه وأصلها أن تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من إله إلا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا إله إلا الله في إفادة
معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فإن الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم
ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا
فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أهل الكتاب هم أهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا
وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل وتفسير الكلمة قوله أن لا نعبد إلا إياه الله ولا نشرك
به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله يعني تعالوا إليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد
منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله كقوله
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا وعن عدي
بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلّون لكم ويحرّمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن
الفضيل لا أبالي أطعت مخلوقا في معصية الخالق أو صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن سواء بالنصب
بمعنى استوت استواء فإن تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أي لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا
بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع أو غيرهما اعترف بأني أنا الغالب وسلّم لي الغلبة ويجوز
أن يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره يا أهل

الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون زعم كل
فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم إن اليهودية إنما حدثت بعد
نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم
على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة أفلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها أنتم هؤلاء
حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ها أنتم ها للتنبيه
وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبيّنة للجملة الأولى يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة
عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والإنجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم من دين
إبراهيم وعن الأخفش ها أنتم هو أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى
الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه وأنتم جاهلون به ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم أعلمهم بأنه بريء من دينكم وما كان إلا حنيفا مسلما وما كان من
المشركين كما لم يكن منكم أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيرا والمسيح إن أولى الناس بإبراهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين إن أولى الناس بإبراهيم إن أخصهم
به وأقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من أمته وقرئ
وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه أي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على إبراهيم ودت طائفة
من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ودت طائفة هم اليهود
دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية وما يضلون إلا أنفسهم وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم لأن العذاب
يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم أو وما يقدرون على إضلال المسلمين وإنما يضلون أمثالهم من أشياعهم يا أهل
الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون بآيات الله بالتوراة والإنجيل وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون
بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله وغيرها وشهادتهم اعترافهم بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة
الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون أنها حق يا أهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون قرئ تلبّسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب
تلبَسون بفتح الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا وقالت
طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره
لعلهم يرجعون وجه النهار أوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار والمعنى
أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم

اهل كتاب وعلم انّ الامر قد تبيّن لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم
لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا
علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شكّ اصحابه في دينهم وقيل هذا في
شان القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلّوا اليها في
اول النهار ثم اكفروا به آخره وصلّوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ولا تؤمنوا متعلّق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسرّوا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم
دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى و
الضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم
عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان
يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيّكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله
قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا
هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم
كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى احد معناه لان يؤتى احد مثل ما
اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب
دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى الان
يؤتى احد فان قلت فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى
احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم
ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا
لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجوكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر
يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا ومن اهل الكتاب من ان تأمنه

بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما عن ابن
عباس رضي الله عنه من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه
ومن ان تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل قريشي دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى
لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه
بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها
وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين
سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم
اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شان الاميين يعنون الذين
ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلّون ظلم من خالفهم
ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث
تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من
اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال اهل الكتاب
ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم
ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين بلى اثبات لما نفوه
من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها
والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من وفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه
فان قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت
اجل لانهم اذا اوفوا بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق
لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان
كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر و
اعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام
مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه

من الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم بما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا
من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا
صفة رسول الله واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين
فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا
لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي
نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله
صلى الله عليه فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو
عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب
وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان
لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم **فان قلت** اي فرق بين
استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه **قلت** اصله فيمن يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا
عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب
يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرا اهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لووا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون و
وجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **فان قلت** الام يرجع
الضمير في لتحسبوه **قلت** الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم
بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون
هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورّون
وانما يصرحون بانه في التورية هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الاخرة
وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله ثم اخذت
قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول
للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم
تدرسون ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران
قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك

بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان
يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن
يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله
وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء
وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين
للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من
جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها
ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلّمون من التعليم وتعلَمون من التعلم وتدرسون تقرؤن وقرئ تدرّسون من التدريس
وتُدرِسون على ان ادرس بمعنى درّس كاكرم وكرّم وانزل ونزّل وتدرسون من التدريس ويجوز ان يكون معناه
ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرّسون من التدريس وفيه
ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم تثبت النسبة اليه الا
للمتمسك بطاعته ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر
بعد اذ انتم مسلمون وقرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة
لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة
وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد
ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه كان ينهى قريشا
عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان
يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وينصرها
قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم وايأمركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايأمركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان المخاطبين
كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ااقررتم واخذتم على ذلكم
اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ميثاق النبيين فيه غير وجه
احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثِّق
لا الى الموثَّق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث
ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على

حسبي الله ونعم [illegible] من الكتب التي وقفها الفقير الى الله ربه ذي المواهب محمد المدعو [illegible] وكفى

زعيمهم تهكمًا بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة أبي وابن مسعود وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعًا وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها أعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أن آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة **فإن قلت** كيف يجوز ذلك والعطف على آتيناكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة لأنك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم **قلت** بلى لأن ما معكم في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لمّا بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميمًا بإدغامها في الميم فحذفوا إحداها فصارت لمّا ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى إصري عهدي وقرئ أُصري بالضم وسمي إصرًا لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد ومنه الإصار الذي يعقد به ويجوز أن يكون المضموم لغة في إصر كعِبر وعُبر وأن يكون جمع إصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار وأنا على ذلكم من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فأولئك هم الفاسقون أي المتمردون من الكفار

أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا وإليه يرجعون

دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل وروي أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول الله فيما اختلفوا فيه من دين إبراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به فقال صلى الله عليه كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة أبي عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معًا وبالتاء معًا طوعًا بالنظر في الأدلة والإنصاف من نفسه وكرهًا بالسيف أو بمعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل على بني إسرائيل وإدراك الغرق فرعون والإشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعًا وكرهًا على الحال بمعنى طائعين و

ومكرهين قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالًا من الله لقدر نبيه **فإن قلت** لم عدّي أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء **قلت** لوجود المعنيين جميعًا لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر ومن قال إنما قيل علينا لقوله قل وإلينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لأن الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف ألا ترى إلى قوله بما أنزل إليك وأنزلنا إليك الكتاب وإلى قوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكًا في عبادتنا ثم قال ومن يبتغ غير الإسلام دينًا يعني التوحيد وإسلام الوجه لله فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقًا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الإسلام بالإدغام

كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين

كيف يهدي الله قومًا كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعدما شهدوا بأن الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن أبيرق ووحوح بن الأسلت والحارث بن سويد بن الصامت **فإن قلت** علام عطف قوله وشهدوا **قلت** فيه وجهان أن يعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا كقوله تعالى فأصدق وأكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز أن تكون الواو للحال بإضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم

أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم

إلا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد وأصلحوا ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله توبته ثم

ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتورية ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم
ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن
او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت
وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وتسخرهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم كفرا ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار
التوبة **فان قلت** قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل
توبتهم **قلت** جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا يقبل توبته من الكفار هو الذي يموت
على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا يقبل توبته
فان قلت فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن تقبل **قلت** قد اوذن بالفاء
ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان السبب في امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام
مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف
قولك فله درهم **فان قلت** فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم
وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر **قلت** لانه كم من
مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر **فان قلت** فاي فائدة في هذه الكناية
اعني ان كني عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة **قلت** الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان
اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها
الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل الياس من الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم
من ناصرين ذهبا نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال
فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به **قلت** هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل
من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في
الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربت ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو
حنيفة رحمهما الله تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن
كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد
وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن

يقبل من احدهم ملء الارض على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر
ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها
وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما
نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال رسول
الله بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها
في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد فكان
زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله قد قبلها منك
وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال
ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء
بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في
حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن
في من شيء للتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم
بحسبه كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل
التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين كل الطعام كل المطعومات او كل انواع
الطعام والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها
كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم
والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي
ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل وذلك باذن
من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم
عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الذي حرمه ابوهم على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد
على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات
عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابراهيم

ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرّا الى ان انتهى التحريم الينا فحرّمت علينا كما حرّمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصدّ عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدّد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرّم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فأتوا بالتورية فاتلوها امر بان يحاجّهم بكتابهم ويبكّتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرّم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدّعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البيّنة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرّما على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ما لزمتهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورّطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرّتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلّها الله لابرهيم ومن تبعه ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل يدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبّدا لهم فكانه قال ان اول متعبّد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمّى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكّه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلّي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك

الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته الاكة فخلّه حتى يبك بكّه وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقّها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجّه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدّر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبّدهم مقام ابرهيم عطف بيان لقوله آيات بينات **فان قلت** كيف صح بيان الجماعة بالواحد **قلت** فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوّة دلالته على قدرة الله ونبوّة ابرهيم عليه السلم من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان امّة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصمّاء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلم آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طيّ الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه السلم حبّب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرّة عيني في الصلوة وقرأ ابن عباس وابيّ ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان **فان قلت** كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية **قلت** اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة امن من دخله **فان قلت** كيف كان سبب هذا الاثر **قلت** فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حوّلته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطّف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جرّ كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة رحمه الله من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردّة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرّض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعنه عليه السلم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما

مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ
مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة
بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر
مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه
سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين من استطاع بدل من الناس وروي أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه أكثر العلماء وعن
ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد
يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك إذا قدر أن يؤجر
نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال إن كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق إليه ولو حبوا فكذلك
يجب عليه الحج والضمير في إليه للبيت أو للحج وكل ما أتى إلى الشيء فهو سبيل إليه وفي هذا الكلام أنواع من التأكيد والتشديد
منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج
عن عهدته ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد أحدهما أن الإبدال
تثنية للمراد وتكرير له والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين
ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم
يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء وذلك
مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وإن لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء
عنه ببرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان
أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فإنهم قالوا الحج إلى مكة
غير واجب وروي أنه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال إن
الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل فقالوا لا نؤمن به ولا نصلي
إليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فإنه قد هدم البيت مرتين ويرفع
في الثالثة وروي حجوا قبل أن لا تحجوا قبل أن يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل أن تنبت في
البادية شجرة لا تأكل منها دابة إلا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ
حج البيت بالكسر قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون
والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال أن الله شهيد على أعمالكم

فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب أن لا تجسروا على الكفر بآياته قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل
الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون قرأ الحسن تُصِدّون من
أصده عن سبيل الله عن دين حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الإسلام وكانوا يفتنون المؤمنين
ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم وقيل أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم
ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن
القصد والاستقامة **فإن قلت** كيف تبغونها عوجا وهو محال **قلت** فيه معنيان أحدهما
أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أن فيها عوجا بقولكم إن شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عليه
السلام عن وجهها ونحو ذلك والثاني أنكم تتعبون أنفسكم في إخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو
أقوم من كل مستقيم وأنتم شهداء أنها سبيل الله التي لا يصد عنها إلا ضال مضل أو وأنتم شهداء بين أهل دينكم
عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم أمورهم وهم الأحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب
على الحال يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد
إيمانكم كافرين قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد
لهم على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا
بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود أن يجلس
إليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الأشعار وكان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج
وكان الظفر فيه للأوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي
صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم
الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا
السلاح وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك
اليوم وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي
إلى صراط مستقيم وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجب والمعنى من أين يتطرق لكم الكفر
والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين أظهركم رسول الله ينبهكم
ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز أن يكون حثا لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور
الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول إذا جئت فلانا فقد أفلحت كأن الهدى
قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لأن المعتصم بالله متوقع للهدى كما أن قاصد

الكريم متوقع للفلاح عنده. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
حق تقواه وما يجب منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى
لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل
هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن
لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت
كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني إلا وأنت على حصان فلا تنهاه عن الإتيان ولكنك تنهاه عن خلاف
الحال التي شرطت عليه في وقت الإتيان واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم
إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار
فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا
لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وأن يكون الحبل استعارة
لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم
به ولا تفرقوا عنه أو واجتمعوا على التمسك بعهده إلى عباده وهو الإيمان والطاعة أو بكتابه لقول النبي صلى الله عليه
وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم
به هدي إلى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى
أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه أو ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق
ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالإسلام
كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالإسلام وقذف فيها
المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا إخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف
وهو الأخوة في الله وقيل هم الأوس والخزرج كانا أخوين لأب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب
مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام وألف بينهم برسول الله وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم
مشفين على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فأنقذكم منها بالإسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا
وإنما أنث لإضافته إلى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها
بالتذكير والتأنيث ولامها واو إلا أنها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة
فإن قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار
فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان

البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون إرادة أن تزدادوا هدى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولتكن منكم أمة من للتبعيض لأن
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب
الأمر في إقامته وكيف يباشر فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في
مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا
تماديا أو على من الإنكار عليه عبث كالإنكار على أصحاب المآصر والجلادين وأضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا
أمة تأمرون كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون وأولئك هم المفلحون هم الأخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله تعالى
وأوصلهم وعنه عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن
علي رضي الله عنه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة
يأتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان
الثوري إذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند إخوانه فاعلم أنه مداهن والأمر بالمعروف تابع للمأمور به إن كان
واجبا فواجب وإن كان ندبا فندب وأما النهي عن المنكر فواجب كله لأن جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح
فإن قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان فعند أبي علي السمع والعقل وعند
أبي هاشم السمع وحده فإن قلت ما شرائط النهي قلت أن يعلم الناهي أن ما ينكره قبيح لأنه إذا لم
يعلم لم يأمن أن ينكر الحسن وأن لا يكون ما ينهى عنه واقعا لأن الواقع لا يحسن النهي عنه وإنما يحسن الذم عليه
والنهي عن أمثاله وأن لا يغلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر لأنه عبث فإن قلت فما شروط الوجوب قلت
أن يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر بإعداد آلاته وأن لا يغلب على ظنه
أنه إن أنكر لحقته مضرة عظيمة فإن قلت كيف يباشر الإنكار قلت يبتدئ بالسهل فإن
لم ينفع ترقى إلى الصعب لأن الغرض كف المنكر قال الله تعالى فأصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فإن قلت
فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد أجمعوا أن من رأى غيره تاركا للصلاة وجب
عليه الإنكار لأنه معلوم قبحه لكل أحد وأما الإنكار الذي بالقتال فالإمام وخلفاؤه أولى لأنهم أعلم بالسياسة
ومعهم عدتها فإن قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف إذا هم بضرر غيره
منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها
فإن قلت هل يجب على المنكر أن ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لأن ترك ارتكابه

وإنكاره واجبان عليه فبتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وإن لم تفعلوا
وعن الحسن أنه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا أقول ما لا أفعل فقال وأينا يفعل ما يقول ودّ الشيطان لو ظفر
بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر **فإن قلت** كيف قيل يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف
قلت الدعاء إلى الخير عام في التكاليف من الأفعال والتروك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص
فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص إيذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه و
تسود وجوه كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة
للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعو هذه الأمة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية وأشباههم
يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم أو بإضمار اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياضّ
وتسوادّ والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره
وإشراقه وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد
اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته
من ظلمات الباطل وأهله فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون أكفرتم فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتاب
وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والأنصار
وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل أهل البدع والأهواء وعن أبي أمامة رضي الله عنه
هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء وخير
قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله عليه السلام غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا
من أهل الإسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال إن بأرضك منهم كثيرا فأعاذك الله منهم وقيل هم
جميع الكفار لإعراضهم عما أوجبه الإقرار حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وأما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد **فإن قلت**
كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله **قلت** موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون
فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله
يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور تلك

آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه
وما الله يريد ظلما فيأخذ أحدا بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن ونكّر ظلما وقال للعالمين
على معنى ما يريد شيئا من الظلم لأحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح والرضا بها كنتم خير أمة
أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن
أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا
أذى كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع
طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله كنتم خير أمة كأنه قيل وجدتم خير أمة وقيل كنتم في علم
الله خير أمة وقيل كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به أخرجت أظهرت وقوله تأمرون كلام
مستأنف بيّن به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الإيمان
بكل ما يجب الإيمان به إيمانا بالله لأن من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو
عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه فكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو آمن أهل الكتاب مع إيمانهم بالله
لكان خيرا لهم مما هم عليه لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان
لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز بما وعدوه على
الإيمان من إيتاء الأجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم الفاسقون المتمردون
في الكفر لن يضروكم إلا أذى إلا ضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك وإن
يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من
الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة وإن يقاتلوكم يولوكم
الأدبار منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه
تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا
الأذى بالقول إلى ضرر يبالى به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان و
الذل **فإن قلت** هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون **قلت** عدل به عن حكم الجزاء إلى
حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون **فإن قلت** فأي فرق بين رفعه وجزمه في
المعنى **قلت** لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا
مطلقا كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر

والقوة لا ينهضون بعد بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر
فإن قلت فالذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كأنه قيل أخبركم أنهم إن يقاتلوكم
ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لأن
الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الأدبار فإن قلت ما موقع الجملتين أعني منهم المؤمنون ولن
يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان
فإن من شأنه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير إلا معتصمين أو متمسكين
أو ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الأحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم
بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين لما قبلوه من الجزية وباؤا بالغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم
المسكنة كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون فيها غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه
ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات
الله وقتلهم الأنبياء ثم قال ذلك بما عصوا أي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم أن الكفر وحده ليس
بسبب في استحقاق سخط الله وأن سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطاياهم أغرقوا وأخذهم
الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين الضمير في ليسوا لأهل
الكتاب أي ليس أهل الكتاب مستوين وقوله من أهل الكتاب أمة قائمة كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع
قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وهم
الذين أسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون وأدل على حسن
صورة أمرهم وقيل عنى صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخر رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد
يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لأمة أي أمة قائمة
تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم
به كلا إيمان لإشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه
بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لأنهم كانوا

متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام
به وآثر الفور على التراخي وأولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم
واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم
بالمتقين فلن تكفروه لما جاء وصف الله عز وجل بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض
ذلك فإن قلت لم عدي إلى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها
قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروه بالياء والتاء
والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى إن الذين كفروا
لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم
فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون الصر الريح الباردة مثل الصرصر قال لا تعدلن أتاويين
تضربهم * نكباء صر بأصحاب المحلات * كما قالت ليلى الأخيلية * ولم يغلب الخصم الألد ويملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر
فإن قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه أوجه أحدها أن الصر في صفة الريح بمعنى البارد
فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد
فجيء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ومن قولك إن ضيعني
فلان ففي الله كاف وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كاف * شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر
وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا
يتقربون به إلى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا في عداوة رسول الله فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله
وشبه بحرث قوم ظلموا أنفسهم ولم يعصر فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ فإن
قلت فلم قال ظلموا أنفسهم ولم يقتصر بقوله أصابت حرث قوم قلت لأن الغرض تشبيه
ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه شيء وحرث الكافرين الظالمين هو الذي يذهب بالكلية لا منفعة لهم
فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فأما حرث المسلم المؤمن فلا يذهب على الكلية لأنه وإن كان يذهب صورة فلا يذهب معنى
لما فيه من حصول الأعواض له في الآخرة والثواب بالصبر على الذهاب فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا
في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح
قلت هو التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون
كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم

ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا
أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكنّ بالتشديد بمعنى ولكنّ أنفسهم يظلمونها هم ولا يجوز أن يراد ولكنه
أنفسهم يظلمون على إسقاط ضمير الشأن لأنه إنما يجوز في الشعر يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من
دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر
قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيّه الذي يفضي إليه بشقوره ثقة به
شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار شعار والناس دثار من دونكم
من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة على الوصف أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم
خبالا أي لا يقصرون لكم في الفساد والألو التقصير وأصله أن يعدى بالحرف ثم استعمل معدى إلى المفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين
والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على أن ما مصدرية والعنت شدة الضرر
والمشقة وأصله انهياض العظم بعد جبره أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه قد بدت البغضاء
من أفواههم لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة
قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد
بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إن كنتم تعقلون ما بيّن
لكم فعملتم به **فإن قلت** كيف موقع هذه الجمل **قلت** يجوز أن يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك
قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير مانعتكم خبالا بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ أن تكون
مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون
بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل
موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أي أنتم أولاء
الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم
لأهل البغضاء وقيل أولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال
أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد
بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ
والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام قال الحارث بن الظالم المري فأقتل أقواما لئاما أذلة يعضون من
غيظ رؤوس الأباهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة
ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار إن الله عليم بذات الصدور فهو يعلم

ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول
أو خارج منها **فإن قلت** فكيف معناه على الوجهين **قلت** إذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه أخبرهم
بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور
فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه وإذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي إياك على ما يسرون
فإني أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم لم يظهروه بألسنتهم ويجوز أن لا يكون ثم قول وأن يكون
قوله قل موتوا بغيظكم أمرا لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظا بإعزاز
الإسلام وإذلالهم به كأنه قيل حدث نفسك بذلك إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة
يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط الحسنة الرخاء
والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث
يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة **فإن قلت** كيف وصفت الحسنة
بالمس والسيئة بالإصابة **قلت** المس مستعار لمعنى الإصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى إلى قوله إن تصبك
حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك إذا مسه الشر جزوعا
وإذا مسه الخير منوعا وإن تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وإن تصبروا على تكاليف الدين
ومشاقه وتتقوا وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على أن ضمة الراء لإتباع ضمة الضاد كقولك مُدُّ يا هذا وروى المفضل
عن عاصم لا يضرَّكم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد
قال الحكماء إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك إن الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما
محيط ففاعل بكم ما أنتم أهله وقرئ بالياء بمعنى أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه وإذ غدوت
من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم واذكر إذ غدوت من أهلك
بالمدينة وهو غدوه إلى أحد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال
عبد الله وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا
ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال
في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا
إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام إني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا
ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم

أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا
به حتى دخل فلبس لأمته فلما ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله
ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من
أحد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرا
خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمّر عبد الله بن جبير على الرماة
وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ
مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى
المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل أن تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لأقوالكم عليم
بنياتكم وضمائركم ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ همت بدل
من إذ غدوت أو عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس
وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم
الفتح إن صبروا فانخذل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم
الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهمّ الحيان باتباع عبد الله فعصمهم
الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنه أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا
والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى
الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الإطنابة أقول لها إذا جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي حتى قال معوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما
ثبتني إلا قول عمرو بن الإطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما
ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله **فإن قلت**
ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا
قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية
وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرأ
عبد الله والله وليهم كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا
أمورهم إلا إليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة إذ تقول
للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا

وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما
جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم
إذ تقول ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقول لهم يوم أحد
فإن قلت كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة **قلت** قاله لهم مع اشتراط
الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا
على ما شرط عليهم لنزلت وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى
ألن يكفيكم إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة وإنما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا
لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى إيجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الإمداد بهم فأوجب
الكفاية ثم قال إن تصبروا وتتقوا يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم
هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول أبي حنيفة
رحمه الله الأمر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة
التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم إن يأتوكم
من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يريد أن الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم
إن صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها
بمعنى معلَمين ومعلِمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبي معتمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في
نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير
كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه تسوموا
فإن الملائكة قد تسومت وما جعله الله إلا بشرى وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون
ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر إلا من عند الله لا من
عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في
الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى
من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الأمر شيء أو
يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر
وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم ويغيظهم
بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال

كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابى الطيب لاكبت حاسدا واورى عدوا كانه من الكبد والرية واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله او يتوب عطف على ما قبله

وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لألزمنك او تعطيني حقي معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شج عتبة بن ابى وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابى حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن عن الحسن رحمه الله ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا للمستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما وابهامه وقوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة نهى عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآيات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بلا واو وقرأ الباقون بالواو ويعضدها قراءة ابي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به عرضها السموات

والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين في السراء والضراء في حالي الرخاء واليسر وحالي الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليل او كثير كما يحكى عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة اذا ملأها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدأ خبره اولئك او اولئك خبره فاحشة فعلة بالغة في القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذ به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا وعيده او عقابه او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو

والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن الذنوب
وإن جلت فعفوه أجل وكرمه أعظم والمعنى أنه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف
عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وإن عاد
في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وهم يعلمون حال من فعل الإصرار
وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد
عليها لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون و
تائبون ومصرون وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه
قال أجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لأنهما في معنى واحد وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أن ذلك
جزاء واجب على عمل وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي أن الله عز وجل أوحى إلى موسى ما أقل حياء
من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من
الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن
يقول الله يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية
أنها كانت تنشد   ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها   إن السفينة لا تجري على اليبس   والمخصوص بالمدح
محذوف تقديره ونعم أجر العاملين يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في
الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في
الأمم المكذبة من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا
سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين هذا بيان للناس
إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون
من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني أنه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين
اتقوا من المؤمنين ويجوز أن يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر
العاملين ويكون قوله هذا بيان إشارة إلى ما لخص وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا
تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين
عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم أي لا يورثنكم ذلك وهنا و
جبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وأنتم الأعلون وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم
يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الأعلون شأنا لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتالهم للشيطان

ولإعلاء كلمة الكفر ولأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار أو هي بشارة لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الأعلون في
العاقبة وإن جندنا لهم الغالبون إن كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا إن صح إيمانكم على أن صحة الإيمان
توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالأعلون أي إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم
به من الغلبة إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس
وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين
آمنوا ويمحق الكافرين قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح
وبالضم ألمها وقرأ أبو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد
فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا ونحوه
فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم أحد فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر
رسول الله **فإن قلت** فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين **قلت**
بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار ألا ترى إلى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه
حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وتلك الأيام تلك مبتدأ والأيام صفته
ونداولها خبره ويجوز أن يكون تلك الأيام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الأيام تبلي كل جديد والمراد بالأيام
أوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من أبيات
الكتاب   فيوما علينا ويوما لنا   ويوما نساء ويوما نسر   وفي أمثالهم الحرب سجال وعن أبي سفيان أنه صعد الجبل
يوم أحد فمكث ساعة ثم قال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا عمر قال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه
لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذا وخسرنا والمداولة مثل المعاودة قال
يرد المياه فلا يزال مداولا   في الناس بين تمثل وسماع   يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين
آمنوا فيه وجهان أحدهما أن يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف فعلنا
ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت وإلا فالله عز وجل لم يزل عالما بالأشياء
قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني أن تكون العلة
محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما فعل
ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم أن العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر أن لله في
ذكره من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو

ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم من الشهداء من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس
والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان
مجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني إن كانت الدولة
على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو أصلح لهم وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم أم حسبتم
أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين أم منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الإنكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه منتف بانتفائه
يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد
فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني أن يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وأنا أتوقع فعله وقرئ ولما
يعلم الله بفتح الميم وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك
لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على
أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد
رأيتموه وأنتم تنظرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا فكانوا يتمنون أن يحضروا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله في
الخروج إلى المشركين وكان رأيه في الإقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته
وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم
وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بإلحاحهم عليه
ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده **فإن قلت** كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم
قلت قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب
دواء الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله
وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله
لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشدك الله من غاز وقد رشدا وما محمد إلا رسول قد خلت من
قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي إلى رسول الله بحجر
فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد

حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ
الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤوا وجعل رسول الله يدعو إلي عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه
فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي
أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو
كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد
فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه
ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض
المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال إن كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم
والمعنى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم
فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه
أفإن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك
بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه **فإن قلت** لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل **قلت**
لكونه مجوزا عند المخاطبين **فإن قلت** أما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس **قلت**
هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة ألا ترى أنهم سمعوا خبر قتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس
وإضلالهم والانقلاب على الأعقاب الإدبار وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين ويجوز
أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله وإسلامه فلن يضر الله شيئا فما
ضر إلا نفسه لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه
وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله
كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها
وسنجزي الشاكرين المعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن
يقدم عليه إلا أن يأذن له الله تمثيلا ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض نفسا إلا بإذن من الله وهو
على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم أن الحذر لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله
وإن خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه وإسلام قومه له نهزة
للتخليص من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل كتابا مؤجلا مؤقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض

كتابا مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت

بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء
عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما
أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين قرئ قاتل وقُتل وقُتّل بالتشديد و
الفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه
الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلث فالفتح على
القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا
عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول
الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي
في طلب الامان من ابي سفيان وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة
الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب
تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب
الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم
الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه
وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ان تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله
عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا
اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة في الدين ويقولون لو كان
نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي
ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين
ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم
وهو خير الناصرين بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على
بل اطيعوا الله مولاكم سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون
العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة

والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا
فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم ما لم ينزل به سلطانا آلهة
لم ينزل الله باشراكها حجة **فان قلت** كأن هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك **قلت** لم يعن
ان هناك الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى
الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم
من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم و
لقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين لقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصرة بشرط الصبر والتقوى
في قوله وان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب
الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا
هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة و
اقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل
الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم اي يقتلونهم قتلا
ذريعا حتى اذا فشلتم والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا
وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم
المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينتهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة
وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله
ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط
منكم من عصيان امر رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال
سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة **فان قلت** اين متعلق حتى
اذا **قلت** محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت
فشلكم اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا
على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار
اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا
من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ
ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكر

ونجمها وقرئ يُصعِدون ويلوون باليا والرسول يدعوكم كان يقول إلىّ عباد الله إلىّ عباد الله أنا رسول
الله من يكرّ فله الجنة في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول
في أولهم وأولاهم بتأويل مقدّمتهم وجماعتهم الأولى فأثابكم عطف على صرفكم اى فجازاكم الله غمّا حين صرفكم عنهم وابتلاكم بغمّ بسبب
غمّ أذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غمّا مضاعفا غمّا بعد غمّ وغمّا متصلا بغمّ من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله
والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرّنوا على تجرّع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد
فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضارّ ويجوز أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول اى
فآساكم في الاغتمام وكما غمّكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجّة وغيرهما غمّه ما نزل بكم فأثابكم غمّا اغتممتموه لأجله
بسبب غمّ اغتمّه لأجلكم ولم يثرّبكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره وإنما فعل ذلك ليسلّيكم وينفّس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم
من نصر الله ولا على ما أصابكم من غلبة العدوّ ثم أنزل عليكم من بعد الغمّ أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم
وطائفة قد أهمّتهم أنفسهم يظنّون بالله غير الحقّ ظنّ الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر
من شيء قل إنّ الأمر كلّه لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء
ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله
ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور أنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال
عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن أبي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافّنا فكان السيف
يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أحد إلا ويميل تحت حجفته وعن ابن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله عليه
السلام حين اشتدّ علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله إني لأسمع قول معتّب بن قشير والنعاس يغشاني يقول
لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا والأمنة الأمن وقرئ أمْنة بسكون الميم كأنها المرّة من الأمن ونعاسا بدل
من أمنة ويجوز أن يكون هو المفعول وأمنة حالا منه مقدّمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم أمنة
ويجوز أن تكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة او على أنه جمع آمن كبارّ وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردّا على
النعاس او على الأمنة طائفة منكم هم أهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد أهمّتهم أنفسهم ما بهم إلا همّ
أنفسهم لا همّ الدين ولا همّ رسول الله والمسلمين او قد أوقعتهم أنفسهم وما حلّ بهم في الهموم والأشجان فهم في التشاكي والتباكي غير الحقّ في حكم
المصدر ومعناه يظنّون بالله غير الظنّ الحقّ الذي يجب أن يظنّ به وظنّ الجاهلية بدل منه ويجوز أن يكون المعنى
يظنّون بالله ظنّ الجاهلية وغير الحقّ تأكيد ليظنّون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظنّ
الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظنّ المختصّ بالملّة الجاهلية ويجوز أن يراد ظنّ أهل الجاهلية اى لا
يظنّ مثل ذلك الظنّ إلا أهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله يسألونه هل لنا من الأمر من شيء معناه

هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قطّ يعنون النصر والإظهار على العدوّ قل إنّ الأمر كلّه لله ولأوليائه المؤمنين
وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي وإنّ جندنا لهم الغالبون يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك
معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الأمر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق
يقولون في أنفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إنّ الأمر كلّه لله لو كان لنا من الأمر شيء اى لو كان الأمر كما قال
محمد إنّ الأمر كلّه لله ولأوليائه وإنهم الغالبون لما غلبنا قطّ ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في
بيوتكم يعني من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بدّ من وجوده فلو قعدتم في
بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله أنهم يقتلون إلى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم أنه يكون والمعنى أنّ الله كتب
في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أنّ العاقبة في الغلبة لهم وأنّ دين الإسلام
يظهر على الدين كلّه وأنّ ما ينكبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة
مما يحرّضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث
خرجنا من المدينة إلى أحد وكان علينا أن نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن أبيّ وغيره ولو ملكنا من التدبير
شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل إنّ التدبير كلّه لله يريد أنّ الله عزّ وجلّ قد دبّر الأمر كلّه كما جرى ولو أقمتم بالمدينة
ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرّز
بالتشديد وضمّ الباء وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحّص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان
فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمّة وللابتلاء والتمحيص **فإن قلت** كيف مواقع الجمل التي بعد قوله
وطائفة **قلت** قد أهمّتهم صفة لطائفة ويظنّون صفة أخرى او حال بمعنى قد أهمّتهم أنفسهم ظانّين او استئناف
على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنّون **فإن قلت** كيف صحّ أن يقع ما هو مسألة عن
الأمر بدلا عن الإخبار بالظنّ **قلت** كانت مسألتهم صادرة عن الظنّ فلذلك جاز إبداله منه ويخفون
حال من يقولون وقل إنّ الأمر كلّه لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والأجود أن
يكون استئنافا إنّ الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلّهم الشيطان ببعض
ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إنّ الله غفور حليم استزلّهم طلب منهم الزلل ودعاهم إليه ببعض
ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه أنّ الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في تولّيهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان
فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولّوا وقيل استزلال الشيطان إياهم هو التولّي وإنما
دعاهم إليه بذنوب قد تقدّمت لهم لأنّ الذنب يجرّ إلى الذنب كما أنّ الطاعة تجرّ إلى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال
الحسن استزلّهم بقبول ما زيّن لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول الله

بالثبات فيه بجرّتهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكّرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخّروا الجهاد حتى يصلحوا امورهم ويجاهدوا
على حال مرضية **فان قلت** لم قيل ببعض ما كسبوا **قلت** هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا
لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك
حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال
الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس والنسب اذا ضربوا في الارض
اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى في قوله عفى الحياض اجون وقرئ
بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة **فان قلت** كيف قال اذا ضربوا مع قالوا **قلت** هو على
حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الارض **فان قلت** ما متعلق ليجعل **قلت** قالوا
اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا
مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم **فان قلت** ما معنى
اسناد الفعل الى الله تعالى **قلت** معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة
في قلوبهم ويضيّق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل
الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه
النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم
مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما شاء
وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه طعنة او ضربة وها انا ذا اموت كما يموت العير
فلا نامت اعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء على الذين كفروا ولئن قتلتم في
سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون
لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذّب الكافرين اولا في زعمهم ان من
سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم
لئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل
الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء
يجمع الكفار ولالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع المغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع
مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها فبما رحمة من الله لنت

لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في
الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه
لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق و
التلطف بهم حتى اثابهم غما بغم وآساهم بالمباثّة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا
غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم
فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر
برايهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان
يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله عليه السلام وقيل كانت سادات العرب
اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالراي دونهم
وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء
امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاوره وقرئ فاذا عزمت بضم التاء
بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله كما نصركم يوم
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا
الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته
وقرا عبيد بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر
من الله والتاييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل
والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل
يات بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون افمن اتبع رضوان
الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا
اذا اخذه في خفية ويقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه
قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير
غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته ومعنى وما كان لنبي ان

يغلّ وما صحّ له ذلك يعني أن النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالاً ولا يوجد غالاً الا اذا كان غالاً وفيه وجهان احدهما ان يبرئ رسول الله من ذلك وينزهه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئاً منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئاً فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفاً فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوماً ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولاً تغليظاً وتقبيحاً لصورة الامر ولو قرئ ان يُغَلّ من اغلّ بمعنى غلّ لجاز يأت بما غلّ يوم القيمة يأت بالشيء الذي غلّه بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئاً فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذاً احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته واثمه **فان قلت** هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به **قلت** جيء بعامّ دخل تحته كل كاسب من الغالّ وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت اذا علم الغال ان كل كاسب خيراً او شراً مجزي فموفى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كلٌّ جزاؤه على قدر كسبه هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله
أنصب للمنية تعتريهم ... رجالي ام هم درج السيول
وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين لقد منّ الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون من انفسهم من جنسهم عربياً مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده **فان قلت** فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم **قلت** اذا كان منهم كان اللسان واحداً فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفَسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد

اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن منّ الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة وان يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائماً بمعنى لمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انّى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانّى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع **فان قلت** علام عطفت الواو هذه الجملة **قلت** على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انّى هذا من اين هذا كقوله انّى لك هذا من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون وما اصابكم يوم احد يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخلية الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الآذن مخلٍّ بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاماً

ابتداءً فقسّم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المومنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن لهم غم الآخرة دفعاً عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راساً لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابيّ انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر سوادهم ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطاء رايكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان راي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المومنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المومنين في مواطاة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المومنين وتجهيلهم وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا ورفعا على هم الذين قالوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وسكنى الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من القعود وقعدوا لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا **فان قلت** فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين **قلت** معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد

يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المومنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ولا تحسبن الخطاب لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا **فان قلت** كيف جاز حذف المفعول الاول **قلت** هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في حواصل طير خضر تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المومنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمومنين بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي

ويعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله عليه السلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وهي الكلمة التي قالها ابرهيم صلوات الله عليه حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والآخرون ابو سفيان واصحابه **فان قلت** كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده **قلت** قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه **فان قلت** الام يرجع المستكن في فزادهم **قلت** الى القول

الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده **فان قلت** كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا **قلت** لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة لقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لتثبيطه او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله **فان قلت** فالام رجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير **قلت** الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يامركم ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون احدا الا الله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام **فان قلت** فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من

نافق وارتداد من ارتد **قلت** معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك ألا ترى إلى
قوله إنهم لن يضروا الله شيئا يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على
غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة أي نصيبا من الثواب ولهم
بدل الثواب عذاب عظيم وذلك أبلغ ما ضر به الإنسان نفسه **فان قلت** هلا قيل لا يجعل
الله لهم حظا في الآخرة وأي فائدة في ذكر الإرادة **قلت** فائدته الإشعار بأن الداعي إلى
حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم
في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى أن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان
إما أن يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف إليهم الكفر وإما أن يكون عاما للكفار والأول
خاصا فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام أو على الإسلام العكس وشيئا نصب على المصدر
لأن المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله
شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم
ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وإنما نملي لهم خير لأنفسهم
بدل منهم أي ولا تحسبن أن ما نملي للكافرين خير لهم وأن مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب
أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن أن إملاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة
ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف **فان قلت** كيف صح
مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد **قلت**
صح ذلك من حيث أن التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق
بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب
أن الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع
والفعل متعلق بأن وما في حيزه والإملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له
الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو إمهالهم وإطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن أن الإملاء خير لهم من منعهم
أو قطع آجالهم إنما نملي لهم ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل
للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيرا لهم فقيل إنما نملي لهم ليزدادوا إثما **فان قلت**
كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا لله تعالى في إملائه لهم **قلت** هو علة للإملاء وما كل
علة بغرض ألا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء

منها بغرض وإنما هي علل وأسباب فكذلك ازدياد الإثم جعل علة للإملاء وسببا فيه **فان قلت** كيف يكون
ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب **قلت** لما كان في علم الله المحيط بكل شيء أنهم مزدادون
إثما فكان الإملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الأولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء
على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان وقوله
إنما نملي لهم خير لأنفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه أن إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله
عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة **فان قلت** فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة
قلت معناه ولا تحسبوا أن إملاءنا لزيادة الإثم وللتعذيب والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا إثما معدا لهم
عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا
فلكم أجر عظيم اللام لتأكيد النفي على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلصين والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب
حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من أماز بمعنى ميز **فان قلت**
لمن الخطاب في أنتم **قلت** للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين
منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق
جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي وما كان الله
ليؤتي أحدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند إخبار الرسول بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في
القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي إليه ويخبره بأن في الغيب كذا
وأن فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الإخلاص فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات
ويجوز أن يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها
إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا
على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات
الصدور والاطلاع عليها فإن ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع أحدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب
حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا
بالله ورسله بأن تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وأن تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عبادا
مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يخبرون إلا بما أخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن
السدي قال الكافرون إن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت
ولا يحسبن الذين

يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة
ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ولا يحسبن من قرأ بالتاء قدّر
مضافا محذوفا أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير
رسول الله او ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الأول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن
الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوّغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الأعمش بغير هو
سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق وفي أمثالهم تقلدها طوق
الحمامة إذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من
قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك وعن النبي عليه صلى الله عليه وسلم في مانع الزكوة يطوق بشجاع أقرع
وروي بشجاع أسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والأرض أي وله ما فيهما مما يتوارثه
أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر لقد
سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق
ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد
قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو إما أن يقولوه عن
اعتقاد لذلك أو استهزاء بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع
الله له أنه لم يخف عليه وأنه أعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة أو سنثبته في علمنا إثبات
كاتب المكتوب **فإن قلت** كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا **قلت**
ذكر وجود السماع أولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا أبدا إثباته وتدوينه كما لن
يفوتنا قتلهم الأنبياء وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانا بأنهما في العظم أخوان وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من
العظائم وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا
القول وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم
إلى الإسلام وإلى إقام الصلوة وإيتاء الزكوة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي إن الله
فقير حين سألنا القرض فلطمه أبو بكر في وجهه فقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك
فشكاه إلى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا عذاب الحريق كما أذاقوا
المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه أحسّ وذق وقال أبو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرأ

حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والأعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل
وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك إشارة إلى ما تقدم من عقابهم وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاول
بهن فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب **فإن قلت** فلم عطف قوله وأن الله ليس
بظلام للعبيد على ما قدمت أيديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق
التعذيب **قلت** معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل عليهم ومن العدل أن يعاقب المسيء منهم ويثيب
المحسن الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين عهد إلينا
أمرنا في التورية وأوصانا بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو أن يرينا قربانا تنزل نار
من السماء فتأكله كما كان أنبياء بني إسرائيل تلك آيتهم كان يتقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار
من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لأن أكل النار القربان لم يجب الإيمان للرسول الآتي
به إلا لكونه آية ومعجزة فهو إذا وسائر الآيات سواء فلا يجوز أن يعينه الله تعالى من بين الآيات وقد ألزمهم
الله أن أنبياءهم جاؤوهم بالبينات الكثيرة التي أوجبت عليهم التصديق وجاؤوهم أيضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم
إن كانوا صادقين في أن الإيمان يلزمهم بإتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان **فإن قلت**
ما معنى قوله وبالذي قلتم **قلت** معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه
كقوله ثم يعودون لما قالوا أي لمعنى ما قالوا فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات
والزبر والكتاب المنير في مصاحف أهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التورية والإنجيل
والزبور تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون
أجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا
إلا متاع الغرور وقرأ اليزيدي ذائقةٌ الموتَ على الأصل وقرأ الأعمش ذائقةُ الموتَ بطرح التنوين
مع النصب كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا **فإن قلت** كيف اتصل به قوله وإنما توفون أجوركم **قلت**
اتصاله به على أن كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم
وإنما توفونها يوم قيامكم عن القبور **فإن قلت** فهذا يوهم نفي ما يروى أن القبر روضة من رياض
الجنة أو حفرة من حفر النار **قلت** كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لأن المعنى أن توفية الأجور
وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الأجور الزحزحة التنحية والإبعاد تكرير الزح
وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة

من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي عليه السلام من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد

شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له رداءته وفساده والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ

لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فان ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا

واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه

بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير لا تحسبن خطاب لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وفتحها في الثاني على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى ولا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اتوا بما اوتوه من علم التورية وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم حيث ادعوا ان ابرهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم ان في اختلاف الليل والنهار لآيات

خلق السموات والارض

لاولي الالباب لآيات لادلة واضحة على الصانع وعظم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن

عمر رضي الله عنه قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه فبكت
واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل
لك ان تأذني الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام
الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ
الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت
الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في
خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن
علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان
في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فعبدها
فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة
الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من ذلك الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب
النار يذكرون الله ذاكرا ابدا على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب
احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال
بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على
حسب استطاعتهم قال رسول الله لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى
جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي رحمه الله في اضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة رحمه
الله انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال معطوف على ما قبله كانه قيل قياما
وقعودا او مضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام
وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه
وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشي عليه
وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ
رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما
يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما
ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل
الارض ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ما خلقت هذا
باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا
باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب
طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع **فان قلت**
هذا اشارة الى ماذا **قلت** الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل في مخلوق السموات والارض
اي فيما خلق منهما ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت
هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز
ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه
وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق
وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر
عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل
وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال
لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله **فان قلت** فاي فائدة في الجمع بين المنادي
وينادي **قلت** ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم
من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب
الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع
وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي
للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه
له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان

جميعا والمنادي هو الرسول ادعوا الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن أن آمنوا أي آمنوا
أو بأن آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الأبرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والأبرار جمع
بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة
إنك لا تخلف الميعاد على رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما
وعدتنا على تصديق رسلك ألا تراه كيف أتبع ذكر المنادي للإيمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق
ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف أي ما وعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا على رسلك لأن الرسل محملون ذلك
فإنما عليه ما حمل وقيل على ألسنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل هو النصرة على الأعداء فإن قلت
كيف دعوا الله بإنجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما حفظ عليهم
أسباب إنجاز الميعاد أو هو باب من اللجإ إلى الله والخضوع له كما كان الأنبياء عليهم السلام يستغفرون
مع علمهم أنهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع إليه واللجأ الذي هو سيما العبودية فاستجاب
لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا
وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم
جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب يقال
استجاب له واستجابه قال فلم يستجبه عند ذاك مجيب أني لا أضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على إرادة
القول وقرئ لا أضيّع بالتشديد من ذكر أو أنثى بيان لعامل بعضكم من بعض أي يجمع ذكوركم وإناثكم أصل
واحد فكل واحد منكم من الآخر أي من أصله أو كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الإسلام
وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي أن أم سلمة
قالت يا رسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل
لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كأنه قال فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة وهي
المهاجرة عن أوطانهم فارين إلى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا إلى الخروج من ديارهم التي
ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف وأوذوا في سبيلي من أجله وسببه يريد سبيل
الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتّلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم
والتأخير بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا
على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى إثابة أو تثويبا من عند الله لأن قوله لأكفرن عنهم
ولأدخلنهم في معنى لأثيبنهم وعنده مثل أي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه

كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وإن لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف
يبتهل إليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة من احتمال
المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لأطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب
موصولا إليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات
ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن رضي الله عنه أنهم قالوا خمس مرات ربنا
ثم أخبر أنه استجاب لهم إلا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لا يغرنك الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد أي لا تنظر إلى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل
وإصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الأرض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون
ويتدهقنون عن ابن عباس هم أهل مكة وقيل هم اليهود وروي أن ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا
فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع و
الجهد فإن قلت كيف جاز أن يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه
وجهان أحدهما أن مدرة القوم ومتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لا يغرنكم والثاني
أن رسول الله كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الأمر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين
آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لأن
التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف
أي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد أراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله
للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لأنفسهم
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند
الله خير للأبرار النزل والنزل ما يقام للنازل قال أبو الشعر الضبي وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا
جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه إما على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل اللام ويجوز أن
يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للأبرار مما يتقلب
فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والأعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين

اتقوا بالتشديد وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم
خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع
الحساب وإنّ من أهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب
وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام
فأسلموا وقيل في أصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض
الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره
قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم إنّ لفصل الظرف بينهما كقوله وإن منكم لمن ليبطئن
وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في
معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم أولئك لهم أجرهم عند
ربهم أي ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعده في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته
إن الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الأجر ويجوز أن يراد أنّما
توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا
الله لعلكم تفلحون اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا أعداء الله في الجهاد أي غالبوهم في الصبر
على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر
عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو
قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما
وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من
قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا يا أيها الناس
يا بني آدم الذي خلقكم من نفس واحدة فرّعكم من أصل واحد وهو نفس أبيكم آدم فإن قلت علام عطف قوله
وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها

وابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعّبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه
أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء رضي الله عنها من ضلع من أضلاعها وبث منهما نوعي جنس الإنس وهما
الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب
في يا أيها الناس للذين بعث إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم عليه السلام لأنهم من جملة الجنس
المفرّع منه وخلق منها أمكم حواء رضي الله عنها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر فإن
قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها
ويبعث عليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها قلت
لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب
العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن
يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما
يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرّعة
من أرومة واحدة فيما يجب لبعضكم على بعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة
وقرئ وخالق منها زوجها وباثّ منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدإ محذوف تقديره وهو خالق تساءلون
به فأدغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله
وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وأناشدك الله والرحم أو تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون
موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا أو غير مهموز وقرئ
والأرحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين إما على واتقوا الله والأرحام أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك
مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تساءلون به وبالأرحام والجر على عطف الظاهر على المضمر
وليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا
غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل
كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما
لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرر وقد تمحّل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر
فاذهب فما بك والأيام من عجب والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والأرحام كذلك على معنى والأرحام
مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرّون بأن لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم
اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها أو واتقوا الله الذي تتعاطفون
بإذكاره وبإذكار الرحم وقد آذن عزّ وعلا إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها بمكان منه كما قال ألا تعبدوا إلا

اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن رحمه الله اذا سالك بالله فاعطه واذا سالك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند
العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته
واذا اتاها القاطع احتجبت عنه وسئل ابن عيينة رضي الله عنه عن قوله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم فقال
يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله تعالى اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له
الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء
يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا
اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد
ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من الامهات فان قلت
كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان احدهما ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من
وادي الآفات والاوجاع ثم يجمع على فعالى كاسارى ويجوز ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب
وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء
الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة
يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم ابي
طالب اما على القياس واما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له واما قوله صلى الله عليه
وسلم لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار فان قلت
فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم قلت اما ان يراد باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال ان لا يطمع
فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتي اليتامى اذا بلغوا سالمة
غير محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة
عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس
منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال
كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي عليه السلام فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله
واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه و
يطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت
الاجر ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق ماله
في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا

تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض
فتاكلوه مكانه او ولا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها و
التفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن
الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي
رديا وياخذ جيدا وعن السدي رحمه الله ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل
الا ان يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها
وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين
الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها
قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها
كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب
العظيم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرا الحسن حوبا
بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظيرا الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد وان
خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ولما نزلت الآية
في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى
واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم
بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل
بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما
وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من
ولاية اليتامى فقيل لهم ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول
المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما
اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل
لهم ان خفتم الا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو
جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايايم ويتايم وقرا النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم
يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا
الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث ورباع

معدولة عن أعداد مكررة وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات
يعرّفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات
لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا **فإن قلت** الذي أطلق للناكح في الجمع
أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع **قلت** الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل
ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين
وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى **فإن قلت** لم جاء العطف بالواو دون أو **قلت**
كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة
أربعة أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية
وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره أن الواو
دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع إن شاءوا مختلفين في تلك الأعداد وإن
شاءوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ إبراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فإن خفتم ألا
تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا بين هذه
الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فإن الأمر كله يدور
مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة أو فحسبكم واحدة أو ما ملكت
أيمانكم سوّى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري إنهن أقل تبعة وأقصر
شغبا وأخف مؤنة من المهائر لا عليك أكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن في القسم أم لم تعدل عزلت عنهن أم لم تعزل
وقرأ ابن أبي عبلة من ملكت فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا
وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ذلك إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري أدنى أن لا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا
من قولهم عال الميزان عولا إذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه إذا جار وروي أن أعرابيا حكم عليه حاكم
فقال له أتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تعولوا أن لا تجوروا والذي
يحكى عن الشافعي رضي الله عنه أنه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم
كقولهم مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود
الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على
الصحة والسداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة
خرجت من في أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم شافي العي من
كلام الشافعي رحمه الله تعالى شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن
للعلماء طرقا وأساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات **فإن قلت** كيف يقل عيال من تسرى وفي
السراري نحو ما في المهائر **قلت** ليس كذلك لأن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك
جاز العزل عن السراري بغير إذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوج كتزوج الواحدة
بالإضافة إلى تزوج الأربع وقرأ طاوس أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير
الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة
وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة
بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله
كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه إني كنت نحلتك
جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن
نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين
طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله تعالى عطية
من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الإسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا أي يدين به والمعنى آتوهن
مهورهن ديانة على أنها مفعول لها ويجوز أن يكون حالا من الصدقات أي دينا من الله تعالى شرعه وفرضه
والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد
له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أي تعظمه الضمير في منه جار مجرى اسم الإشارة كأنه قيل عن شيء من
ذلك كما قال تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روي عن رؤبة
أنه قيل له في قوله كأنه في الجلد توليع البهق فقال أردت كأن ذاك أو يرجع إلى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق
لأنك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فأصدق وأكن من الصالحين كأنه قيل أصدق
نفسا تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا
ونفسا تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من الصداق
وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فأنفقوه
قالوا فإن وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي رحمه الله أن رجلا أتى مع
امرأته شريحا في عطية أعطتها إياه وهي تطلب أن ترجع فقال شريح رحمه الله رد عليها فقال الرجل أليس قد قال
الله تعالى فإن طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لأنهن يخدعن

وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امرأته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد
الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الآية التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد
عليها وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك
لها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها
بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتأثمون
ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه
سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل
فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن عن شيء
منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي
رحمه الله لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق فيكون
متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء
صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته
وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمرء الطعام فيه وهو انسياغه وهما
وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا
مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة
في الاباحة وازالة التبعة ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم
وقولوا لهم قولا معروفا السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها
والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا
انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم
فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في انفسها قيامكم
وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قواما بالواو
وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف رحمهم الله يقولون المال سلاح المؤمن
ولان اترك مالا يحاسبني الله تعالى عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان رحمه الله وكانت له بضاعة
يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني
عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا

في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الا
لا من صلب المال فلا يأكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امرأة يعلم
انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده وقولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء رحمه
الله اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك
بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه
لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل
بالمعروف وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم
رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب
ما هو مقصود به وهو التوالد والايناس الاستيضاح فاستعير للتبين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند
ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي رحمهما الله الابتلاء ان تتبع احواله
وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال
فان قلت فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين
سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال
الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس وعند اصحابه
لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد
وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت
كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها
الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان
اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط
وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فان احستم بمعنى احسستم قال
احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم
او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من

ابدنا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعف من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه
الله تعالى من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة
او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه
عليها وعن النبي عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك
بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن
ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك
في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم رحمه الله لا يلبس الكتان
والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب رحمه الله يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير
فيما لا بد منه وعن الشعبي رضي الله عنه ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن
مجاهد رحمه الله يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر
ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة ولي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف
واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا
عليهم وكفى بالله حسيبا فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم
والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي
حنيفة واصحابه رحمهم الله وعند مالك والشافعي رحمهما الله لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستحراز
من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة
عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا
مفروضا الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير
العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا
يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن
ثابت الانصاري رضي الله عنه ترك امراته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة و
عرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح
وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال

ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين
حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اولو
القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا واذا حضر القسمة اي قسمة
التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب
قال الحسن رضي الله عنه كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة
المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تأديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما
لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهم قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله
عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الاية وقيل هو على الوجوب وقيل منسوخ باية الميراث كالوصية
وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف
ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا
عليهم وعن الحسن والنخعي رحمهما الله ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين
يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك
قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا
عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان
يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم
وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على
اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم
مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم ويخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد
انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء
اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا
يخافون عليهم الحرمان والخيبة **فان قلت** ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين **قلت**
معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم
خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل لقد زاد الحياة الي حبا بناتي انهن من
الضعاف ٭ احاذر ان يرين البؤس بعدي ٭ وان يشربن رنقا بعد صاف ٭ وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى
نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم

بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم يا بنيّ ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في
وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله عليه السلام لسعد انك ان تترك ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة
يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا يبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع
من الثلث ومن المتقاربين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوا الحاضرين ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء
وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى ياكلون
نارا ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن
فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف
اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها
النصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال
وتفصيله للذكر مثل حظ الانثيين **فان قلت** هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ
الذكر **قلت** ليبدا ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين
قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله
كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب
لورود الاية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن
من القرابة بمثل ما يدلون به **فان قلت** فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان
قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين
واما في حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان تاخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع
انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله وان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم
فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات
نساء خلصا يعني ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان
وان يكون صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت واحدة او المولودة منفردة
فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله
فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت رضي الله عنه النُّصف بالضم والضمير في ترك للميت لان الاية لما كانت في الميراث

علم ان التارك هو الميت **فان قلت** قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر
من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث **قلت**
وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا
فلذلك صح ان يقال فان كن نساء **فان قلت** هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون
نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة **قلت** لا ابعد ذلك **فان قلت** لم قيل فان كن
ولم يقل وان كانت امراة **قلت** لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن
مع الذكر في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها
وحدها لا قرينة لها **فان قلت** قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت
في حال الانفراد ولم يذكر حال البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر **قلت** اما حكمهما فمختلف
فيه فابن عباس رضي الله عنهما ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم
الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة رضي الله عنهم فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله
للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان
كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان
كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم
الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله تعالى للاختين
ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى
ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها
لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له
ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس
من بعد وصية يوصي بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولابويه الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لابويه
بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه
السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها **فان قلت** فهلا قيل ولكل واحد
من ابويه السدس واي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما **قلت** لان في الابدال
والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدا وخبره

لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة رحمهما الله السدْس بالتخفيف وكذلك الثلْث و
الربْع والثمْن والولد يقع على الذكر والأنثى ويختلف حكم الأب في ذلك فإن كان ذكرا اقتصر بالأب على السدس
وإن كان أنثى عُصِّب مع إعطاء السدس **فإن قلت** قد بيّن حكم الأبوين في الإرث مع الولد ثم حكمهما
مع عدمه فهلّا قيل فإن لم يكن له ولد فلأمه الثلث وأي فائدة في قوله وورثه أبواه **قلت** معناه فإن
لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلأمه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لأنه إذا ورثه
أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما بقي بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك إلا عند ابن عباس رضي الله عنهما
والمعنى أن الأبوين إذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين **فإن قلت** ما العلة في أن كان
لها ثلث ما بقي دون ثلث المال **قلت** فيه وجهان أحدهما أن الزوج إنما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة
فأشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني أن الأب أقوى في الإرث من الأم بدليل أنه يضعّف عليها إذا خلصا
ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الأمرين فلو ضُرب لها الثلث كملا لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها
ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فجاز للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للأب حازت الأم سهمين
والأب سهما فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين فإن كان له إخوة فلأمه السدس الإخوة يحجبون
الأم عن الثلث وإن كانوا لا يرثون مع الأب فيكون لها السدس وللأب خمسة الأسداس ويستوي في الحجب
الاثنان فصاعدا إلا عند ابن عباس رضي الله عنهما وعنه أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم
فإن قلت فكيف صح أن يتناول الإخوة الأخوين والجمع خلاف التثنية **قلت** الإخوة تفيد
معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في إفادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق
فدل بالإخوة عليه وقرئ فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للجرة ألا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية من
بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الأنصباء من بعد وصية
يوصي بها وقرئ يوصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا **فإن قلت** ما معنى
أو **قلت** معناها الإباحة وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما قُدّم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن
أو ابن سيرين **فإن قلت** لم قُدّمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة
قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان إخراجها مما يشق على
الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى
أدائه فلذلك قُدّمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى أدائها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية
بينهما في الوجوب ثم أكد ذلك ورغّب فيه بقوله آباؤكم وأبناؤكم أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم

وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرّضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته
فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفّر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا إلى حقيقة الأمر لأن عرض
الدنيا وإن كان عاجلا قريبا في الصورة إلا أنه فان فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة وإن كان آجلا
إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى وقيل إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه
إليه فيرفع وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا
أيهم أقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع
فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة وقيل الأب تجب عليه النفقة على الابن إذا احتاج وكذلك الابن إذا كان
محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى أيهما أقرب نفعا وليس شيء من هذه الأقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لأن هذه
الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر
المؤكد أي فرض ذلك فرضا إن الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم
نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد
وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن
كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين فإن كان لهن ولد منكم
أو من غيركم جُعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جُعلت بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في
الربع والثمن وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس
فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار
وصية من الله والله عليم حليم وإن كان رجل يعني الميت ويورث من يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة
خبر كان أي وإن كان رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورِث
ويورِّث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال أو مفعول به **فإن قلت** ما الكلالة **قلت**
تنطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد
ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الأصل
مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء قال الأعشى فآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حفى
حتى تلاقي محمدا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كالّة ضعيفة وإذا
جُعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز أن تكون
صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق **فإن قلت** فإن جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها

فإن قلت علامَ انتصب كلالة؟ قلت على أنها مفعول له أي يورث لأجل الكلالة أو يورث غيره لأجلها فإن جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه؟ فإن قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث قلت
فالضمير في قوله فلكل واحد منهما إلى من يرجع حينئذ؟ فإن قلت إلى الرجل وإلى أخيه أو أخته وعلى الأول
إليهما فإن قلت إذا رجع الضمير إليهما أفاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الأنثى
فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لأنك إذا قلت السدس
له أو لواحد من الأخ أو الأخت على التخيير فقد سوّيت بين الذكر والأنثى وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه
أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيي فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه
بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك إن الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير
هو الوارث وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الأم ويدل عليه قراءة أبيّ وله أخ أو أخت من الأم وقرأ سعد
ابن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم وقيل إنما استدل على أن الكلالة ههنا الإخوة للأم خاصة بما ذكر في آخر
السورة من أن للأختين الثلثين وأن للإخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث
ولم يزادوا على الثلث شيئا أنه يعني بهم الإخوة للأم وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة
الأخياف والأعيان وأولاد العلات وغيرهم غير مضار حال أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك
أن يوصي بزيادة على الثلث أو يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى وعن
قتادة رحمه الله كره الله تعالى الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين أن يوصي
بدين ليس عليه ومعناه الإقرار وصية من الله مصدر مؤكد أي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله و
يجوز أن تكون منصوبة بغير مضار أي لا يضار وصية من الله تعالى وهو الثلث فما دونه بزيادة على الثلث
أو وصيته من الله تعالى بالأولاد وأن لا يدعهم عالة بإسرافه في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن
غير مضار وصية من الله بالإضافة والله عليم بمن جار أو عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد
فإن قلت في يوصي ضمير الرجل إذا جعلته الموروث فكيف تعمل إذا جعلته الوارث قلت
كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لأنه علم أن التارك والموصي هو الميت فإن قلت فأين
ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل يوصى
بها علم أن ثم موصيا كما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم أن ثم مسبحا فأضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل
عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله

ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين تلك إشارة إلى
الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لأن الشرائع كالحدود المضروبة
الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ بالياء والنون
وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على
الحال فإن قلت هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لأنهما جريا على
غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها واللاتي يأتين الفاحشة
من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن
الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يأتين الفاحشة يرهقنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها
ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح
على كثير من القبائح فأمسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن
في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر
الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل
ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال أو يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي
يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لأنه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فإن قلت ما معنى
يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كأنه قيل حتى يميتهن الموت قلت يجوز أن يراد حتى يتوفاهن
ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن
واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا
رحيما واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما
الله تعالى فإن تابا وأصلحا وغيرا الحال فأعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فإن التوبة تمنع استحقاق الذم
والعقاب ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما
بالرفع إلى الإمام والحد فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الأولى
في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذانّ بتشديد النون واللذأن بالهمز وتشديد
النون إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك
يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما التوبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته وغفر له يعني
إنما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء بجهالة في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء

لأن ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما يدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله
فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى
قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك
في حكم القريب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت
فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى ابو ايوب رضي الله عنه عن النبي عليه السلام ان الله يقبل توبة
العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض
وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر
فان قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب
كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو
تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد
قوله انما التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض
الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا
محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم
عذابا اليما ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى
حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان
المائت على الكفر فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان
التكليف والاختيار اولئك اعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله تعالى فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد
ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت من المراد بالذين يعملون السيئات اهم الفساق
من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله تعالى وهم كفار
وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله
وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله صلى الله عليه
وسلم فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات
وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت
يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض

ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى
ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج
وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف
تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا كانوا يبلون النساء بضروب
من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او
حميم عن امرأة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان
تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى
تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج
امرأة ولم يكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها
به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج و
اهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه
قراءة ابي رضي الله عنه الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن رحمه الله الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان
يسألها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امرأة فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد
بن سيرين رحمهما الله لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة رحمه الله لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى
تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن
بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة
الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك
ولكن للنظر في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة
حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج الآية والقنطار
المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال كقنطرة الرومي اقسم ربها
لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء
فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله تعالى لكان اولاكم بها رسول الله عليه السلام ما اصدق امرأة
من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امرأة فقالت له يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله

لنا والله يقول وآتيتم احديهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا
فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست من اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بري منه
لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا
كقولك قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اي افضى
بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا الصحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من
الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله تعالى من امساك بمعروف او تسريح
باحسان وعن النبي عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروءاتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه
يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد
على ما يجمع القبحين وقرئ لا يحل لكم بالتاء على ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه
وقرئ بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه في
موضع الحال وآتيتم احديهن قنطارا بوصل همزة احديهن كما قرئ فلا اثم عليه **فان قلت** تعضلوهن
ما وجه اعرابه **قلت** النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان
تعضلوهن **فان قلت** اي فرق بين تعديته ذهب بالباء وبينها بالهمزة **قلت** اذا عدي بالباء فمعناه
الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة **فان قلت** الا ان ياتين ما هذا
الاستثناء **قلت** هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع
الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان ياتين بفاحشة **فان قلت**
من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جوابا للشرط **قلت** من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن
مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه **فان قلت** كيف استثنى ما قد سلف مما نكح
آباؤكم **قلت** كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه
فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال
في التابيد نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن

هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت
بتخفيف الهمزة وقد نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك
زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته
واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه
ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسالتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان
يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز
ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في
الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم
يدخل بها **فان قلت** هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم **قلت** لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب
فيكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فيكون حرمتهن غير مبهمة
وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر الا ترى انك اذا قلت
وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول
بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية
كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها وليس بصحيح ان يعني بالكلمة الواحدة في
خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان الذي يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر
لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن
امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم
دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روي عن النبي عليه السلام في رجل تزوج امراة ثم طلقها
قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين رضي الله
عنهما ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق رحمه الله هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس رضي
وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس
رضي الله عنهما يقول ما نزل الا هكذا وعن جابر رضي الله عنه روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد رضي
الله عنه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام

الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسميت ولد المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه
يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما **فان قلت** ما فائدة قوله في حجوركم
قلت فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم
اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت
الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله
عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود **فان قلت** ما معنى دخلتم بهن **قلت** هي كناية عن الجماع كقولهم بنى
عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي
حنيفة رحمه الله وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق
رحمه الله انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر و
عن الحسن رحمه الله في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي
سليمان رحمهما الله اذا نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده
واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار رضي الله عنهم ان
التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله عليه السلام زينب
بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المومنين
حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد
حرمة النكاح لان التحريم في الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا
احلتهما اية وحرمتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي رضي الله عنه التحريم وعثمان رضي
الله عنه التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات القراءة بفتح
الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرا بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن
محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة
المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق
كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما
استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله
كان عليما حكيما كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم
فان قلت علام عطف قوله واحل لكم **قلت** على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي

كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن
اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرا واحل لكم على البناء للمفعول فقد
عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله
لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم
ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام و
الاموال المهور وما يخرج في المناكح **فان قلت** اين مفعول تبتغوا **قلت** يجوز ان يكون
مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يكون مقدرا وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا
بدلا مما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني ومائيني
من المذي فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن
اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان تكون ما
في معنى النساء ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن واجورهن
مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان ال
ايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من
المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة
التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما
ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه
لها بما يعطيها وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله
عليه انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى
يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرا فما استمتعتم
به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة
وقولي في الصرف ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المومنات فمن ما ملكت ايمانكم
من فتياتكم المومنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن
اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان
اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت
منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة

وفضلٌ وقد طاله طولاً فهو طائلٌ قال: لقد زادني حبًّا لنفسي أنني ❁ بغيضٌ الى كل امرئٍ غيرِ طائلِ ❁
ومنه ما خلي منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور
فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس رضي الله
عنهما من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي
رحمه الله واما ابو حنيفة رحمه الله فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الآية بأن من لم يملك فراش
الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ومما وسع الله
على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات الظاهر
انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل
فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس
بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل **فان قلت** لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة **قلت**
لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة
وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين
لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين **فان قلت** فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم **قلت** معناه
ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح
من ايمان الحرة والمرأة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل
الاحساب والانساب وهذا تأنيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم
متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه باذن اهلهن اشتراط لاذن
الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة رحمه الله ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي
لا عقدهم وآتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء
واللز **فان قلت** الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل فآتوهن
قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن
فحذف المضاف محصنات عفائف والاخدان الاخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات
فاذا أحصن بالتزوج وقرئ أحصن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد
عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي
العنت منكم لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير

لكل مشقة ومضرة ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد
فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين
من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام
مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتأكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم
من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها
في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم
ويكفر لكم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا
عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا والله يريد ان يتوب عليكم ان
تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل
عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل
المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم
تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا
زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن
الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب رحمه الله ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم
من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف
علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما
وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثماني آيات في سورة النساء هن خير
لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف
عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او
يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون
تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما بالباطل بما لم تبحه الشريعة
من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة
على الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض
او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض

وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الإيجاب والقبول وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا أنفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن رحمه الله لا تقتلوا إخوانكم أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص أنه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله عليه وقرأ علي رضي الله عنه لا تقتّلوا بالتشديد إن الله كان بكم رحيما أي أمر ما نهاكم عما يضركم لرحمته عليكم وقيل معناه أنه أمر بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ذلك إشارة إلى القتل أي ومن يقدم على قتل الأنفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عِدوانا بالكسر ونُصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونَصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل أو لذلك لكونه سببا للصلي نارا أي نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لأن الحكمة تدعو إليه ولا صارف عنه من ظلم أو نحوه إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه أي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نغط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة إنما وصفتا بالكبر والصغر بإضافتهما إما إلى طاعة أو معصية أو ثواب فاعلهما والتكفير إماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة والإحباط نقيضه وهو إماطة الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا ومال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر رضي الله عنهما السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي إلى سبعمائة أقرب لأنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي إلى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومُدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لأن ذلك التفضيل قسمة من الله تعالى صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق أو قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علما بأن ما قسم له هو مصلحته ولو كان

خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد أخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا اجعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله تعالى من حاله الموجبة للبسط والقبض كسبا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا أنصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا إن الله تعالى فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو أن يكون لنا أجران في الآخرة على الأعمال ولهن أجر واحد فقالت أم سلمة رضي الله عنها ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا مما ترك تبيين لكل أي ولكل مال مما ترك الوالدان والأقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه أو ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والأقربون على أن جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع إلى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله إنسانا من رزق الله أي حظ من رزق الله أو لكل أحد جعلنا موالي مما ترك أي وراثا مما ترك على أن من صلة موالي لأنهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والأقربون كأنه قيل من هم فقيل الوالدان والأقربون الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم والذين عاقدت أيمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز أن يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز أن يكون يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت أيمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي عليه السلام أنه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه لم يزده الإسلام إلا شدة ولا تحدثوا حلفا في الإسلام وعند أبي حنيفة رحمه الله لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي رحمه الله وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت أيمانكم عاقدتهم أيديكم وماسحتموهم وقرئ عقّدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما تقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله تعالى بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية

العزم جزم الارادة بعد التردد

والزّمى وانّ منهم الانبياء عليهم السلام والعلماء رحمهم الله وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان
والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابى حنيفة رحمه الله والشهادة فى الحدود والقصاص وزيادة
السهم والتعصيب فى الميراث والحمالة والقسامة والولاية فى النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج و
اليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا فى نكاحهن من اموالهم من المهور
والنفقات وروى انّ سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن
ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله عليه السلام وقال افرشته كريمتى فلطمها فقال لتقتص منه
فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير ورفع القصاص واختلف فى ذلك فقيل
لا قصاص بين الرجل والمرأة فيما دون النفس ولو شجّها ولكن العقل وقيل لا قصاص الا فى الجرح والقتل واما
اللطمة ونحوها فلا فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله قانتات مطيعات قائمات
بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة اى حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج
غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه فى حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبى عليه
السلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرّتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الاية
وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج فى كتابه وامر رسوله صلى الله عليه
وسلم فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن
الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ
الله بالنصب على انّ ما موصولة اى حافظات للغيب بالامر الذى يحفظ حق الله تعالى واما نة الله عز وجل وهو
التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه فالصوالح قوانت حوافظ
للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى
المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا
كبيرا نشوزها ونشوصها ان تعصى زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج فى المضاجع فى المراقد اى لا
تداخلوهن تحت اللحف او هى كناية عن الجماع وقيل هو ان يولّيها ظهره فى المضجع وقيل فى المضاجع فى بيوتهن
التى يبتن فيها اى لا تبايتوهن وقرئ فى المضجع وفى المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن فى النشوز
امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن فى المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على
الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرّح
لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبى عليه السلام علّق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت

ابى بكر الصديق رضى الله عنها كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام رضى الله عنهما فاذا غضب على احدانا
ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات ولولا بنوه ما حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن
سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجنى وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد
رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا انّ قدرته
تعالى عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى انّ ابا مسعود الانصارى رضى الله عنه رفع سوطه ليضرب
غلاما له فبصر به رسول الله عليه السلام فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام
او انّ الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو
عمن يجنى عليكم اذا رجع وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف
على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر فى الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا و
الليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما وهو
الرجال والنساء حكما من اهله رجلا مقنعا رضا يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من
اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما فى
ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب
ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت فهل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رايا ذلك قلت قد اختلف
فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه
اجتهادهما وعن عبيدة السلمانى شهدت عليا رضى الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من
الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال على رضى الله عنه للحكمين اتدريان ما عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما
وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال على رضى الله عنه كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب
الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لى وعلى وعن الحسن رحمه الله يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبى رحمه
الله ما قضى الحكمان جاز والالف فى يريدا اصلاحا ضمير الحكمين وفى يوفق الله بينهما للزوجين اى ان قصدا اصلاح
ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك فى وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين
الزوجين الوفاق والالفة والقى فى نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اى ان قصدا اصلاح ذات البين
والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يحصل الغرض
ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق

يطرح الله بينهما الألفة وأبدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة إن الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين
ويجمع بين المتفرقين لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى
والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا
يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون
ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا وبالوالدين إحسانا وأحسنوا
بهما إحسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما والجار ذي القربى الذي
قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار النسيب والجار الأجنبي وأنشد لبلعاء بن
قيس لا يجتوينا مجاور أبدا ذو رحم أو مجاور جنب وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما
قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم حقه لإدلائه بحقي الجوار والقربى والصاحب
بالجنب هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقا في السفر وإما جارا ملاصقا وإما شريكا في تعلم علم أو
حرفة وإما قاعدا إلى جنبك في مجلس أو مسجد أو غير ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك
أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل
المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه
فلا يتحفى بهم ولا يلتفت إليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون بدل من قوله من كان
مختالا فخورا أو نصب على الذم ويجوز أن يكون رفعا عليه وأن يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين
يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين أي يبخلون
بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي أمثال العرب أبخل من
الضنين بنائل غيره وإن امرأ ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل ولقد رأينا ممن بلي بداء
البخل من إذا طرق سمعه أن أحدا جاد على أحد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه
كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا
من الأنصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد
عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر إلى الناس وعن النبي عليه السلام إذا أنعم الله على عبد
نعمة أحب أن ترى نعمته عليه وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا أمير
المؤمنين إن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه وقيل

نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله عليه السلام والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر رياء الناس للفخار وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا ابتغاء
وجه الله تعالى وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله عليه السلام ومن يكن الشيطان
له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيدا لهم
بأن الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما
رزقهم الله وكان الله بهم عليما وما الذي عليهم أو أي تبعة ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في
سبيل الله تعالى والمراد الذم والتوبيخ وإلا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت
وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل
بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد لهم إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه أجرا عظيما الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس
رضي الله عنه أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من
أجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره أو زاده في العقاب لكان
ظلما وأنه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وإن تك حسنة وإن تك مثقال الذرة
حسنة وإنما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا إلى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها
لاستحقاقها عنده في كل وقت من الأوقات المستقبلة غير المتناهية وعن أبي عثمان النهدي
رضي الله عنه أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول الله عليه السلام يقول إن
الله تعالى ليعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة رضي الله عنه لا بل سمعته صلى الله عليه
وسلم يقول إن الله تعالى يعطي المؤمن ألفي ألف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت
من لدنه أجرا عظيما لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من أضعف وضعف
وقرأ ابن هرمز رحمه الله نضاعفها بالنون فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل
أمة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين
شهيدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ سورة النساء على رسول الله عليه السلام حتى بلغ قوله تعالى و
جئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله عليه السلام وقال حسبنا لو تسوى بهم الأرض لو يدفنون
فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى وقيل يودون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء وقيل تصير البهائم
ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو

الحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما
كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم
والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى
يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى
كازكى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما و
شرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله عليه السلم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت
صلوة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون
في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون
ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا
الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم صبيانكم
ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكيناتهم كل الربوب وقرئ سكارى
بفتح السين وسكرى على ان تكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة
سكرى كقولك امراة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان تكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى
وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل
لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى
مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه
على الحال **فان قلت** كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها **قلت** كانه قيل لا تقربوا الصلوة
في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان
لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين
فان قلت كيف تصح صلوتهم على الجنابة لعذر السفر **قلت** اريد بالجنب الذين لم
يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر
الصلوة بالمسجد معناه ولا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان

الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار رضي الله عنهم كانت ابوابهم في المسجد فيصيبهم الجنابة
ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله عليه السلم لم يأذن لاحد ان يجلس في المسجد
او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد **فان قلت** ادخل في حكم الشرط اربعة
وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم **قلت**
الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا
وكذلك السفر لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج رحمه الله
الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان
ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله **فان قلت** فما يصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه **قلت** قالوا ان من لابتداء
الغاية **فان قلت** قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول
القائل مسحت براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض **قلت** هو كما تقول
والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته
ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر **فان قلت** كيف نظم في سلك واحد
بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث
سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل **قلت** اراد سبحانه وتعالى ان يرخص
للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم
المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة
ثم عم كل من وجب عليه التطهير واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان
لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين
والغيط بمعنى الغائط ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة
ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا
ألم تر من رؤية القلب وعدي بالى على معنى ألم ينته علمك اليهم او بمعنى ألم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا
من علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات
لهم على صحة النبوة رسول الله عليه السلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون
ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوا وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل

معهم غيرهم وقرئ أن يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله أعلم منكم بأعدائكم وقد أخبركم بعداوة هؤلاء
وأطلعكم على أحوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا
وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم ولا تبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين
هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير
مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع
وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا
من الذين بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى وقوله والله أعلم وكفى بالله وكفى
بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض أو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض أو صلة
لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كقوله تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز أن يكون كلاما
مبتدأ على أن يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر
إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح أي فمنهما تارة أموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه
يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله
تعالى فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه
ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله **فإن قلت** كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد
مواضعه **قلت** أما عن مواضعه فعلى ما فسرنا من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله تعالى
وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه وأما من بعد مواضعه فالمعنى أنه كانت له مواضع هو قمن
بأن يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان
وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة قولهم غير مسمع حال من المخاطب
أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت
دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير
مجاب إلى ما تدعو إليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك
عنه ناب ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع أي اسمع كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نبوا
عنه ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل
راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا
سخرية بالدين وهزءا برسول الله عليه السلام يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون

به التوقير والإكرام ليا بألسنتهم فتلا بها وتحريفا أي يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا
موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه
من التوقير نفاقا **فإن قلت** كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرحوا وقالوا
سمعنا وعصينا **قلت** جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء
السوء ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به وقرأ
أبي رضي الله عنه وأنظرنا من الإنظار وهو الإمهال **فإن قلت** إلام يرجع الضمير في قوله لكان
خيرا لهم **قلت** إلى أنهم قالوا لأن المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأقوم
وأعدل وأسد ولكن لعنهم الله بكفرهم أي خذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم عن ألطافه فلا يؤمنون إلا قليلا
أي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره أو أراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي
للهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك أي عديم التشكي أو إلا قليلا منهم قد آمنوا يا أيها الذين
أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو
نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا أن نطمس وجوها أي نمحو تخطيط صورها
من عين وحاجب وأنف وفم فنردها على أدبارها فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها والفاء
للتسبيب وإن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها
فالمعنى أن نطمس وجوها فننكسها الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام ووجه آخر وهو أن يراد بالطمس القلب
والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤوسهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم
فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو نردهم إلى حيث جاؤوا منه وهي أذرعات الشام
يريد إجلاء بني النضير **فإن قلت** لمن الراجع في قوله أو نلعنهم **قلت** للوجوه إن أريد الوجهاء
أو لأصحاب الوجوه لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات
أو نلعنهم أو نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت **فإن قلت** فأين وقوع الوعيد **قلت**
هو مشروط بالإيمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولأن
الله تعالى أوعدهم بأحد الأمرين بطمس وجوههم منهم أو بلعنهم فإن كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم
أو إجلاءهم إلى الشام فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون بكل لسان
والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى إلى قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان أمر الله مفعولا فلا بد أن يقع أحد الأمرين

فإن قلت

إن لم يؤمنوا ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك
بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ قد ثبت أن الله عز وعلا يغفر الشرك لمن تاب منه وأنه لا يغفر ما دون
الشرك من الكبائر إلا بالتوبة فما وجه قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت
الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين إلى قوله لمن يشاء كأنه قيل إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك
ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك إن الأمير
لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يستأهله فقد افترى إثما أي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه
﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف
يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا﴾ الذين يزكون أنفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن
أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقيل جاء رجال من اليهود
إلى رسول الله عليه السلام بأطفالهم وقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملناه
بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء
العمل وزيادة الطاعة والزلفى عند الله **فإن قلت** أما قال رسول الله عليه السلام والله إني
لأمين في السماء أمين في الأرض **قلت** إنما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة إكذابا
لهم إذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه أو شهد له من لا يعلم بل الله
يزكي من يشاء إعلام بأن تزكية الله تعالى هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ومعنى يزكي
من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون أي الذين يزكون أنفسهم
يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا أنفسكم
هو أعلم بمن اتقى كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم أنهم عند الله أزكياء وكفى بزعمهم هذا إثما مبينا من بين
سائر آثامهم ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله
ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾ الجبت الأصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان
وذلك أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا
على محاربة رسول الله عليه السلام فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم أقرب إلى محمد صلى الله عليه وسلم منكم إلينا فلا نأمن
مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام
وأطاعوا إبليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد صلى الله عليه وسلم فقال كعب

ماذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري
الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلا ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذا لا
يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد
آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم
من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا﴾ وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما أوتوا
من النعمة ويتمنون أن يكون لهم نعمة غيرهم فقال أم لهم نصيب من الملك على أن أم منقطعة ومعنى الهمزة
لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فإذا لا يؤتون الناس أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذا
لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير
والمراد من الملك إما ملك أهل الدنيا وإما ملك الله تعالى كقوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا
لأمسكتم خشية الإنفاق وهذا أوصف لهم بالشح وأحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز أن يكون معنى الهمزة
في أم لإنكار أنهم قد أوتوا نصيبا من الملك وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال
الملوك وأنهم لا يؤتون أحدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فإذا لا يؤتوا على إعمال إذن عملها
الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا إذن أم يحسدون الناس
بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم
على ما آتاهم الله تعالى من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا إلزام لهم بما عرفوه من
إيتاء الله تعالى الكتاب والحكمة آل إبراهيم عليه السلام الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ببدع
أن يؤتيه الله تعالى مثل ما أوتي أسلافه وعن ابن عباس رضي الله عنه الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود و
سليمان عليهم السلام وقيل استكثروا نساءه فقيل كيف استكثروا له التسع وقد كان لداود عليه السلام مائة
ولسليمان عليه السلام ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم فمن اليهود من آمن به أي بما ذكر من حديث آل
إبراهيم عليه السلام ومنهم من صد عنه وأنكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه
وسلم ومنهم من أنكر نبوته أو من آل إبراهيم عليه السلام ومنهم من كفر فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ﴿إن الذين
كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب إن الله كان عزيزا حكيما﴾ بدلناهم جلودا غيرها أبدلناهم إياها **فإن قلت** كيف
يعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص **قلت** العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد
وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله عليه السلام يبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن

رحمه الله سبعين مرة يبدلون جلوداً بيضاً كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك وزادك فيه عزيزاً لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيماً لا يعذب إلا بعدل من يستحقه والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً ظليلاً صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك وهو ما كان فيناناً لا جوب فيه ودائماً لا تنسخه الشمس وسجسجاً لا حر فيه ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف إليه التفيؤ تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه سيدخلهم بالياء إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً أن تؤدوا الأمانات الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك أن رسول الله عليه السلام حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول الله عليه السلام لم أمنعه فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله عليه السلام وصلى ركعتين فلما خرج سأله ابن عباس رضي الله عنه أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر علياً رضي الله عنه أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنه أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآناً وقرأ عليه الآية فقال عثمان رضي الله عنه أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول رسول الله فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله عليه السلام أن السدانة في أولاد عثمان رضي الله عنه أبداً وقيل هو خطاب للولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل وقرئ الأمانة على التوحيد نعما يعظكم به ما إما أن تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به وإما أن تكون مرفوعة موصولة به كأنه قيل نعم شيئاً يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص محذوف أي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم لما أمر الولاة بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم فلا يعطفون على الله ورسوله عليه السلام في وجوب الطاعة لهم وإنما يجمع بين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والأمراء الموافقين لهما في إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان رضي الله عنهم وكان الخلفاء يقولون أطيعوني ما عدلت فيكم فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن أبي حازم رحمه الله أن مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله تعالى وأولي الأمر منكم قال أليس قد نزعت

عنكم إذا خالفتم الحق بقوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وقيل هم أمراء السرايا وعن النبي عليه السلام من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً فإن تنازعتم في شيء فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في شيء من أمور الدين فردوه إلى الله ورسوله أي ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله تعالى الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقي معه شكاً وهو أن أمرهم أولاً بأداء الأمانات وبالعدل في الحكم وأمرهم آخراً بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئاً إلى كتاب ولا إلى سنة إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم اللصوص المتغلبة ذلك إشارة إلى الرد أي الرد إلى الكتاب والسنة خير لكم وأصلح وأحسن تأويلاً وأحسن عاقبة وقيل وأحسن تأويلاً من تأويلكم أنتم ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً روي أن بشراً المنافق خاصم يهودياً فدعاه اليهودي إلى النبي عليه السلام ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله عليه السلام فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر رضي الله عنه فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال جبريل عليه السلام إن عمر رضي الله عنه فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق والطاغوت كعب بن الأشرف سماه الله تعالى طاغوتاً لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم إليه تحاكماً إلى الشيطان بدليل قوله وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم وقرئ بما أنزل على البناء للفاعل وقرأ عباس بن الفضل رحمه الله أن يكفروا بهن ذهاباً بالطاغوت إلى الجمع كقوله تعالى أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرأ الحسن رحمه الله تعالوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفاً

كما قالوا ما باليت به بالةً واصلها باليةٌ كعافيةٍ كما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعالَ فضمت فصار تعالُوا نحو تقدَّموا ومنه قول اهل مكة تعالِي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالِي أقاسِمْكِ الهمومَ تعالِي والوجه فتح اللام فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا فكيف تكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاءوك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله تعالى وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغا في وعظهم بالتخويف والانذار **فان قلت** بم تعلق قوله في انفسهم **قلت** بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في انفسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله تعالى وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول

فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاءوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله عليه السلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان الشفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم **فان قلت** هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون **قلت** يأبى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها له خالصة وتسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل نزلت في شأن الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله عليه السلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لأن كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله عليه السلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله عليه السلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول

ان رسول الله عليه السلم ثم يخبرونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى
التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن
شماس اما والله ان الله يعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن
مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت
في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد
لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شان حاطب ونزلت في شان مولاه ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة
العجل ما فعلوه الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب
على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ما يوعظون به من اتباع رسول الله عليه السلم وطاعته والانقياد
لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وفي آجلهم واشد تثبيتا
لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذا جواب القسم لسوال مقدر كانه قيل وما ذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت
فقيل واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذن جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما في
المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم وللطفنا بهم
ووفقناهم لازدياد الخيرات ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم
وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات
عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ
وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق
كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي ان
ثوبان مولى رسول الله عليه السلم كان شديد الحب لرسول الله عليه السلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما
وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عليه السلم عن حاله فقال يا رسول
الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة
فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك
وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال رسول الله عليه السلم والذي نفسي بيده لا يؤمن

ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما

عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة
يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا ذلك مبتدا او الفضل
صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون
من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لان الله تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء
من اطاعه او اراد ان فضل المنعم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوا بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده
فهو يوفقهم على حسب احوالهم خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره
اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا
من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا اذا نفرتم الى العدو ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية
او انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء
وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان
منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب
لعسكر رسول الله عليه السلم والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن
ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال
بطأ على فلان وابطأ على فلان وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا
من بطؤ نحو ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا دين المنافق عبد الله بن
ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم يكن
بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فان اصابتكم مصيبة من قتل
او هزيمة فضل من الله من فتح او غنيمة ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من
لان قوله ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن
وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين
ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو
للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فافوز بالرفع
عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز بمعنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدا
محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الد
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما يشرون بمعنى يشترون

ويبيعون قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة فالذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة هم
المبطئون وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد
والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى إن صد الذين مرضت
قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا أو مظفورا
به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم
أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا** والمستضعفين فيه
وجهان أن يكون مجرورا عطفا على سبيل الله أي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص
يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لأن سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين
في أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا
بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه
فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى
الله عليه وآله وسلم فتولاهم أحسن التولي ونصرهم أقوى النصر ولما خرج استعمل عتاب بن أسيد فرأوا منه
الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس رضي الله عنه كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها
من الظلمة **فإن قلت** لم ذكر الولدان **قلت** تسجيلا بإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير
المكلفين إرغاما لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم
استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة بإخراجهم في الاستسقاء
وعن ابن عباس كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الأحرار
والحرائر وبالولدان العبيد والإماء لأن العبد والأمة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد
الولدان لتغليب الذكور على الإناث كما يقال الآباء والإخوة **فإن قلت** لم ذكر الظالم وموصوفه
مؤنث **قلت** هو وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها فأعطي إعراب القرية لأنه صفتها وذكر لإسناده
إلى الأهل من هذه القرية الظالمين أهلها **قلت** نعم كما تقول التي ظلموا أهلها على لغة من يقول
أكلوني البراغيث ومنه وأسروا النجوى الذين ظلموا **الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان
إن كيد الشيطان كان ضعيفا** رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا بإخبارهم أنهم إنما

القتال

يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم إلا الشيطان
وكيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه **ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا
أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى
أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا**
كفوا أيديكم أي كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا
يتمنون أن يؤذن لهم فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن
الإخطار بالأرواح وخوفا من الموت كخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول **فإن قلت** ما محل كخشية
الله من الإعراب **قلت** محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون أي يخشون الناس مثل أهل خشية الله أي
مشبهين لأهل خشية الله أو أشد خشية بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله وأشد معطوف على الحال **فإن قلت**
لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله
قلت أبى ذلك قوله أو أشد خشية لأنه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس أشد خشية
لم يكن إلا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لأنك لا تقول خشي فلان أشد خشية فتنصب خشية
وأنت تريد المصدر إنما تقول أشد خشية فتجرها وإذا نصبتها لم يكن أشد خشية إلا عبارة عن الفاعل حالا منه
إلا أن تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية
الله أو خشية أشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا أن يكون محل أشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد
كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها لولا أخرتنا إلى أجل قريب فأصدق استزادة في مدة الكف واستمهال
إلى وقت آخر كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم
على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في
بروج مشيدة** وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل
من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع أينما تكونوا وهو أينما كنتم كما حمل ولا
ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول
نحوي سيبويهي ويجوز أن يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا أي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حروب
أو غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على أينما تكونوا والبروج
الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن

مشيدة بكسر الياء وصفاً لها بفعل فاعلها مجازاً كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت انها تشاءمت برسول الله عليه السلام فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشاني حمد الله وثناء عليه ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها

فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا بيت طائفة زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه **فان قلت** اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان وقوله فوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف **قلت** ليس باختلاف عند المتدبرين واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله عليه السلام من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله عليه السلام والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله عليه السلام واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما

يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من أفواه الرجال المنافقين شيئاً من الخبر عن السرايا مظنوناً غير معلوم
الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالاً على المؤمنين ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه
منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون
وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال أذاع السر
وأذاع به قال أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة
وهو أبلغ من أذاعوه وقرئ لعلْمه بإسكان اللام كقوله كما خُجَّ بازلٌ من الأدم دَبِرت صفحتاه وغاربه والنبط الماء
يخرج من البئر أول ما تحفر وإنباطه واستنباطه إخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه
من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان
إلا قليلاً ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو إرسال الرسول وإنزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان
لبقيتم على الكفر إلا قليلاً منكم أو إلا اتباعاً قليلاً فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض
المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً لما ذكر
في الآي قبلها تثبطهم عن القتال وإظهارهم الطاعة وإضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله إن أفردوك وتركوك
وحدك لا تكلف إلا نفسك غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد فإن الله هو ناصرك لا الجنود فإن شاء نصرك
وحدك كما ينصرك وحولك الألوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله
اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد ولو لم يتبعه أحد لخرج
وحده وقرئ لا تكلفْ بالجزم على النهي ولا نكلِّف بالنون وكسر اللام أي لا نكلف نحن إلا نفسك وحدها وحرض
المؤمنين وما عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا وهم قريش
وقد كف بأسهم فقد بدا لأبي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد إلا السويق ولا يلقون إلا في
عام مخصب فرجع بهم والله أشد بأساً من قريش وأشد تنكيلاً تعذيباً من يشفع شفاعة حسنة يكن له
نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء
مقيتاً الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير وابتغي بها وجه
الله ولم يؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان
بخلاف ذلك وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى إليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال
لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لأنها في
معنى الشفاعة إلى الله وعن النبي عليه السلام من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك

ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتاً شهيداً حفيظاً وقيل مقتدراً وأقات
على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت السوء عنه وكنت على إساءته مقيتاً قال
السموأل ألي الفضل أم علي إذا حوسبت إني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لأنه يمسك النفس
ويحفظها وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على
كل شيء حسيباً الأحسن منها أن تقول وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال السلام عليكم وأن
تزيد وبركاته إذا قال ورحمة الله وروي أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك
فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال
الله وتلا الآية فقال إنك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله أو ردوها أو أجيبوها بمثلها ورد
السلام ورجعه جوابه بمثله لأن المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير إنما
وقع بين الزيادة وتركها وعن أبي يوسف رحمه الله من قال لآخر أقرئ فلاناً السلام وجب عليه
أن يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرد واجب وما
من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه
الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهراً ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان و
الإقامة وعن أبي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري
من غير عذر في حمام أو غيره وذكر الطحاوي أن المتيمم يرد السلام على الطهارة وعن النبي صلى الله عليه أنه
تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته ولا يسلم على أجنبية ويسلم الماشي على القاعد
والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والأقل على الأكثر وإذا
التقيا ابتدرا وعن أبي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي عليه السلام إذا سلم عليكم أهل
الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم لأنهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبدأ اليهودي بالسلام
فإن بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز أن تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فإنها
استغفار وعن الشعبي أنه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال أليس في
رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في أن يبدأ أهل الذمة بالسلام إذا دعت إلى ذلك حادثة تحوج
إليهم وروي ذلك عن النخعي وعن أبي حنيفة لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن أبي يوسف لا تسلم
عليهم ولا تصافحهم وإذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء بما يصلحه في دنياه على كل

في حديثنا اي يخاطبكم على كل شيء من الحجة الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب
فيه ومن اصدق من الله حديثا لا اله الا هو اما خبر للمبتدأ المحذوف واما اعتراض والخبر ليجمعنكم
ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليحشرنكم اليه والقيمة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم
من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا
لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه
وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه
محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه
لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق
وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت
قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم
منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون
ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا فئتين نصب على الحال كقولك
ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله عليه السلم في الخروج الى البدو معتلين
باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال
بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول
الله عليه السلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع
رسول الله عليه السلم يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل
هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا
وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما
كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم او اركسهم
في الكفر بان خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من
جملة المهتدين من اضل الله من جعله الله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ
ركسهم وركسوا فيها ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء
حتى يهاجروا في سبيل الله فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى
ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وان

آمنوا الخ يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها
بدو ولا تعرب فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا
نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم
ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة
المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا
لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى
قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت
اليه وقيل الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله عليه السلم من معه من هو من انسابهم
والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله عليه السلم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة
هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه فله من الجوار
مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة
قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين
كانه قيل يصلون الى المعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن
القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم **فان قلت** كل واحد من الاتصالين
له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان
الاتصالين هو لا او هو لا دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم
تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم **قلت** هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى
على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا
ليصلون او بدلا او استينافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل
عليه قراءة من قرا حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف
محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله عليه
السلام غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم **فان قلت**
كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين **قلت** ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في

قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين وذلك معنى التسليط
وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فإن اعتزلوكم فإن لم يتعرضوا لكم وألقوا إليكم السلم أي الانقياد
والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم
ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا
فيها ستجدون آخرين هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين
فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا إلى الفتنة كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين
أركسوا فيها قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم
ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا
مبينا حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر
والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن أن يقتل
مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله
إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة
وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي أن يغل وما يكون لنا أن نعود فيها
أن يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص إلا خطأ إلا على وجه الخطأ **فإن قلت** بم انتصب خطأ **قلت**
بأنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ وحده ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في
حال من الأحوال إلا في حال الخطأ وأن يكون صفة للمصدر إلا قتلا خطأ والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفي
عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافرا فيصيب مسلما أو يرمي
شخصا على أنه كافر فإذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي أن عياش بن أبي
ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر خوفا من قومه إلى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله عليه السلم
فأقسمت أمه أن لا تأكل ولا تشرب ولا يأويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحارث بن زيد بن أبي
أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم
انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة
جلدة فقال للحارث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك خاليا أن أقتلك وقدما به على أمه
فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل ثم هاجر وأسلم بعد ذلك الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم

يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى إلى رسول الله عليه السلم فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه
فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر والعتيق الكريم لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم
في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه أكرم موضع منه ومنه قولهم للئيم عبد
وفلان عبد الفعل أي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا
من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ إلا رقبة
قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي رضي الله عنه كفارة الظهار فاشترط الإيمان
وقيل لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا في حكمه مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها
من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع عن تصرف الأحرار مسلمة إلى أهله مؤداة إلى ورثته
يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية وإذا
لم يبق وارث فهو لبيت المال لأن المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله عليه السلم أنا وارث
من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه أنه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا أعلم
لك شيئا إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب إلي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود
رضي الله عنه يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية
وعن ربيعة الغرة لأم الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة **فإن قلت** على من تجب الرقبة والدية
قلت على القاتل إلا أن الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فإن لم يكن له عاقلة فهي في بيت المال
فإن لم يكن ففي ماله إلا أن يصدقوا إلا أن يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله إلا أن يعفون ونحوه
وأن تصدقوا خير لكم وعن النبي عليه السلم كل معروف صدقة وقرأ أبي إلا أن يتصدقوا **فإن قلت**
بم تعلق أن يصدقوا وما محله **قلت** تعلق بعليه أو بمسلمة كأنه قيل تجب عليه الدية أو يسلمها إلا حين
يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز أن يكون
حالا من أهله بمعنى إلا متصدقين فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان
الله عليما حكيما من قوم عدو لكم من قوم كفار أهل حرب وذلك نحو رجل أسلم في قومه الكفار وهو بين أظهرهم
ولم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة إذا قتله خطأ وليس على عاقلته لأهله شيء لأنهم كفار محاربون وقيل كان
الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لأنهم يظنون أنه كافر مثلهم وإن كان
من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين

الا الجند وعند وله ودية لا عند ولد فتحرير رقبة فان تحرير الرقبة حق الله لا يسقط بعفو الولي ه ه

في وجوب الكفارة والدية ولا يمكن القصاص منا لان الكلام من الخطاء ه

فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما فمن لم يجد رقبة
يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله
عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه يا ايها الذين
امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون
عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم
فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق
والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير
مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في
التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون
على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا
الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب
بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث
العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل
اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم
ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطاء لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع
واي حسم ولكن لا حيوة لمن تنادي **فان قلت** هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر
قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب
الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما
من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما
الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه
اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم لم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول
الله عليه السلام كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه الى
عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم
فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله عليه السلام فوجد وجدا شديدا وقال اقتلتموه
ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال كيف بلا اله الا الله قال

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما

اسامة فما زال يعيدها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة
الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من
تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له
لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم
واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان
والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام
في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله
وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل
وكونوا محترزين محتاطين في ذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر
والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم
وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا
رحيما غير اولي الضرر قرئ بالحركات الثلث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او
حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة ونحوها وعن زيد بن
ثابت كنت الى جنب رسول الله عليه السلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان
ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن
ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك
ثم قال اقرا يا زيد فقرات لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله
وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي
القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك **فان قلت** معلوم ان القاعد
بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء **قلت** معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت
العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي
ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته
ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن ضعة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من
استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر

لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى
اى المثوبة الحسنى وهى الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبى عليه السلم لقد
خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم
وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره **فان قلت** قد ذكر الله سبحانه
مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم **قلت** اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على
القاعدين الذين اذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية **فان قلت** لم نصب درجة
واجرا ودرجات **قلت** نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة واحدة
ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربة وانما اجرا فقد انتصب بفضل لانه فى معنى اجرهم اجرا ودرجات
ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات
كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال من النكرة التى هى درجات مقدمة عليها وانتصب
مغفرة ورحمة باضمار فعليهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة ان الذين توفيهم الملائكة ظالمى
انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأويهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا توفيهم يجوز ان يكون
ماضيا كقراءة من قرا توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفيهم كقراءة من قرا توفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله
يوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمى انفسهم فى حال ظلمهم انفسهم قالوا
قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم فى اى شىء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين
كانت الهجرة فريضة **فان قلت** كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين فى الارض جوابا عن قولهم
فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا فى كذا او لم نكن فى شىء **قلت** معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم
لم يكونوا فى شىء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما
وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا فى شىء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التى لا تمنعون
فيها عن اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله عليه السلم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل
على ان الرجل اذا كان فى بلد لا يتمكن فيه من اقامة دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة

١٦١

الدين لا تنحصر او علم انه فى غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبى عليه
عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق
ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليه السلم اللهم ان كنت تعلم ان هجرتى اليك لم تكن الا للفرار بدينى فاجعلها سببا فى
خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جوارى لك بعكوفى عند بيتك بجوارك فى
دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة فى الخروج لفقرهم
وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروى ان رسول الله عليه السلم بعث بهذه الاية الى مسلمى مكة فقال جندب
بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملونى فانى لست من المستضعفين وانى لاهتدى الطريق والله لا ابيت
الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم **فان قلت** كيف ادخل
الولدان فى المستثنين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة
واهتدوا سبيلا **قلت** الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان
فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد
انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا فى الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا
اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم فى
التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال **فان قلت** الجملة التى هى لا يستطيعون ما
موقعها **قلت** هى صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات
لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشىء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبنى **فان قلت**
لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع **قلت** للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة
فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عنى فكيف بغيره ومن يهاجر
فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا
رحيما مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اى يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان
واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه
بذلك قال النابغة الجعدى كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب وقرى مرغما وقرى ثم يدركه
الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم
نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله من عنزى سبنى لم اضربه وقرى يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله

والحق بالجهاد فاستريحا فقد وقع أجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فإذا
جنوبها وجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب
بن ضمرة أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه
رسولك فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله عليه السلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا وقال
المشركون وهم يضحكون ما أدرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد
أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة فهي هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه الموت في طريقه فأجره واقع
على الله وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة
إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا
الضرب في الأرض هو السفر وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة مسيرة ثلثة
أيام ولياليهن سير الإبل ومشي الأقدام على القصد ولا اعتبار بإبطاء الضارب وإسراعه فلو سار مسيرة
ثلثة أيام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلثة أيام لم يقصر وعند الشافعي رحمه الله أدنى مدة
السفر أربعة برد مسيرة يومين فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر والإتمام
وأن الإتمام أفضل وإلى التخيير ذهب الشافعي رحمه الله وروي عن النبي عليه السلم أنه أتم في السفر وعن
عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قلت يا رسول الله
بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان رضي الله
عنه يتم ويقصر وعند أبي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضي الله
عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلوة
ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر **فإن قلت** فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح
أن تقصروا **قلت** كأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح
لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه وقرئ تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف
خاصة وهو قوله إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وأما في حال الأمن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة
أن يفتنكم ليس فيها إن خفتم على أنه مفعول له بمعنى كراهة أن يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض
بما يكره وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا
أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا
فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون

عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان
بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله
أعد للكافرين عذابا مهينا وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة يتعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من رأى ما بعده إن الأئمة نواب عن رسول الله عليه
السلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل إمام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف
عليه أن يؤمهم كما أمهم رسول الله عليه السلام الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة
منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم إحديهما معك فصل بهم وليأخذوا أسلحتهم الضمير إما للمصلين وإما لغيرهم
فإن كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وإن كان لغيرهم
فلا كلام فيه فإذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند أبي حنيفة
أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة إن كانت الصلوة ركعتين والأخرى بإزاء العدو ثم تقف هذه بإزاء
العدو وتأتي الأخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف بإزاء العدو وتأتي الأولى فتؤدي الركعة بغير قراءة
ويتم صلوتها ثم تحرس وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراءة ويتم صلوتها والسجود على ظاهره عند أبي حنيفة وعند
مالك بمعنى الصلوة لأن الإمام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم
يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم ويعضده ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا
معك وقرئ وأمتعاتكم **فإن قلت** كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ **قلت**
جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلا
مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والإيمان جعل الإيمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه
فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الأسلحة
إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم
عليهم العدو **فإن قلت** كيف طابق الأمر بالحذر قوله إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا **قلت**
الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أن الله يهين عدوهم
ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله كما قال
ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا فإذا قضيتم الصلوة فإذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين

ومُسايِفين وقعودًا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم حين تضع الحرب
أوزارها وأمنتم فأقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج إنّ
الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم
خوف أو أمن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رضي الله عنه في إيجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة
والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء وأما عند أبي حنيفة فهو معذور في
تركها الى أن يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين
بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير
بذكر الله ودعائه واللجإ اليه فاذا اطمأننتم فاذا أقمتم فأقيموا الصلوة فأتموها ولا تهنوا في ابتغاء
القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا
يرجون وكان الله عليما حكيما ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار
بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله إن تكونوا تألمون أي ليس ما تكابدون من الألم بالجرح
والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا
تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون من إظهار دينكم على سائر
الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الأعرج أن تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لأن
تكونوا تألمون وقوله فإنهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فإنهم ييلمون كما تيلمون وروي أن هذا في
بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا إن الله كان عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا لما
هو عالم به مما يصلحكم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله
ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما روي
أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل
الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة
فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها
فقال دفعها إليّ طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله عليه
السلام فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهمّ رسول
الله عليه السلام أن يفعل وأن يعاقب اليهودي وقيل همّ أن يقطع يده فنزلت وروي أن طعمة هرب
الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله بما أراك الله بما عرّفك

وأوحى به إليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولنّ أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه ولكن
ليجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله عليه السلام كان مصيبا لأن الله كان يريه إياه وهو منا الظن والتكلف
ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لأجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر واستغفر الله مما
هممت به من عقاب اليهودي ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من
كان خوانا أثيما يختانون أنفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت
معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع إليهم فإن قلت لم قيل للخائنين
ويختانون أنفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين أحدهما أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة و
نصروه فكانوا شركاء له في الإثم والثاني أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا
تجادل عنه فإن قلت لم قيل خوانا أثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالإفراط في
الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشكّ في حاله وقيل إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أنّ
لها أخوات وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها
فاعف عنه فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة يستخفون من الناس ولا
يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله
بما يعملون محيطا يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستحيون من
الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية
ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم إن كانوا مؤمنين أنهم في حضرته
لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون
وأصله أن يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق
دونه ويحلف ببراءته فإن قلت كيف سمى التدبير قولا وإنما هو معنى في النفس قلت لما
حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن
بيّته وتوركه الذنب على اليهودي ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل
الله عنهم يوم القيمة أم من يكون عليهم وكيلا ها للتنبيه في أنتم وهؤلاء وهما مبتدأ
وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر
على نفسك ويجوز أن يكون أولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم
عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه أي عن

طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر
الله يجد الله غفورا رحيما ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة
واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك
او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه
لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما
فانما يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء ومن يكسب
خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة
ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع
بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا
فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم
وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ولولا فضل الله عليك ورحمته اي عصمته والطافه وما اوحى
اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل
مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم
لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف
ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد
بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين لا خير في كثير من نجوا
هم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء
مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من
امر بصدقة الا نجوى من امر بصدقة على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد
ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض
وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق
به على سبيل التطوع وعن النبي عليه السلام كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف
او نهي عن منكر او ذكر الله سبحانه وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع يقول
لا خير في كثير من نجواهم فهذا هو بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهذا هو بعينه

والآية احفى من الحديث
والحديث احفى من الآية ه

اثم من الوثم وهو الذي يثم الطاعات اي يكسرها هذا على مذهب المعتزلة ان المعاصي تحبط الاعمال عندهم ارادوا بالكسر الاحباط ه

فان قلت لولا لانتفاء الشيء لوجود غيره فيلزم انتفاء هم طائفة من بني ظفر او من المنافقين وليس كذلك ... به يعني لولا فضل الله ورحمته لهمت ... طائفة ه

وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغي به وجهه
خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت
قد ذكر الآمر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال
ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر
بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا
ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع
حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله سبحانه جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين
وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول
نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم و
قرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا
بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا
لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ان الله لا يغفر ان يشرك به
تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول
الله عليه السلام فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ
من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة على الله ولا مكابرة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني
لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب
من ذنبه الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه
ويسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة
بنات الله وقرئ انثا جمع انيث او اناث ووثنا واثنا بالتثقيل والتخفيف جمع وثن كقولك اسد واسد واسد
وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها اوثانا وان يدعون وان يعبدون
بعبادة الاصنام الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة و
لعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا
مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال

نظيره قوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله ثم قال فلما اعتزلهم وما يعبدون ه

الحسن من كل الف تسعمائة وتسعين الى النار ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان
الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله
فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا أولئك
مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ولأمنينهم الأماني الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال
ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك وتبتيكهم الآذان فعلهم
بالبحائر كانوا يشقون أذن الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها
وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي وإعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في
البهائم وأما في بني آدم فمحظور وعند ابي حنيفة يكره شرى الخصيان وإمساكهم واستخدامهم لأن الرغبة فيهم
تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو الوشم وعنه
لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد
الله حقا ومن أصدق من الله قيلا وعد الله حقا مصدران الأول مؤكد لنفسه والثاني
مؤكد لغيره ومن أصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فإن قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت
معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ترغيبا
للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان
ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون
الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن
فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله
من الثواب بأمانيكم ولا بأماني أهل الكتاب والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك
ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن
الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا
من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل وقيل إن
المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنزلت ويحتمل أن
يكون الخطاب للمشركين لقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا ولأوتين
مالا وولدا إن لي عنده للحسنى وكان أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار

إلا أياما معدودة ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك قبله وعن مجاهد إن الخطاب للمشركين قوله من يعمل
سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني أهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة
وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا أياما
معدودة وإذا أبطل الله الأماني وأثبت أن الأمر كله معقود بالعمل وأن من أصلح عمله فهو الفائز ومن
أساء عمله فهو الهالك تبين الأمر ووضح ووجب قطع الأماني وحسم المطامع والإقبال على العمل الصالح ولكنه
نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الأذهان فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية
قلت الأولى للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لأن كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف
الأحوال وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط
عنه الصلوة في بعض الأحوال والثانية لتبيين الإبهام في من يعمل فإن قلت كيف خص الصالحون
بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع في ولا يظلمون
لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند
الآخر لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولأن ظلم المسيء أن يزاد في عقابه وأرحم الراحمين
معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من
فضل الله هي في حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على أنه
لا يقع نقصان في الفضل ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة
إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا أسلم وجهه لله أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف
لها ربا ولا معبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع او من
إبراهيم كقوله بل ملة إبراهيم حنيفا وهو الذي تحنف اي مال عن الأديان كلها الى دين الاسلام واتخذ
الله إبراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي
يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك
كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت
هي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد
وجوب اتباع ملته لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن يتبع ملته وطريقته
ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل إن إبراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في
أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها

للاضياف فاجتازوا غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال لها من اين لكم هذا فقالت امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا

ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما

ولله ما في السموات وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك السموات والارض فطاعته واجبة عليهم والله بكل شيء محيطا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله تعالى التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى **فان قلت** بم تعلق قوله في يتامى النساء **قلت** في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير **فان قلت** الاضافة في يتامى النساء ما هي **قلت** اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة ايامى ياء لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله لهن اي ما فرض الله لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر رضي الله عنه كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولها مال قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون

الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاولياء والاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم

وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا

خافت من بعلها نشوزا توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وامارته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا باس بهما في ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة رضي الله عنها من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امرأة اراد زوجها ان يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنها يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم بني آدم وامرأته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال مالك قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين

ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما

ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا

العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام
العدل وغايته وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لأن تكليف ما لا يستطاع
داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه أن تعدلوا في المحبة وعن النبي عليه السلام أنه كان يقسم بين
نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لأن عائشة رضي الله عنها
كانت أحب إليه وقيل إن العدل بينهن أمر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم أنه غير مستطاع لأنه يجب أن يسوى
بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي
من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا إذا كن محبوبات كلهن فكيف إذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا
كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني أن اجتناب كل الميل
مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها
كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل هي إلا حظة أو تطليق أو صلف أو بين ذاك تعليق وفي
قراءة أبي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه
مائل وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إلى أزواج رسول الله عليه السلام بمال فقالت عائشة
رضي الله عنها إلى كل أزواج رسول الله عليه السلام بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث إلى القرشيات بمثل هذا
وإلى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فإن رسول الله عليه السلام كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه
فرجع الرسول فأخبره فأتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان فإذا كان عند إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى
فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وإن تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر
الله لكم وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما وقرئ وإن يتفارقا
بمعنى وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه
والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد
وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن
لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا من قبلكم متعلق بوصينا أو
بأوتوا وإياكم عطف على الذين أوتوا الكتاب والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية أن اتقوا الله بأن
اتقوا أو تكون أن المفسرة لأن التوصية في معنى القول وقوله وإن تكفروا فإن لله عطف على اتقوا لأن المعنى
أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لكم إن تكفروا فإن لله والمعنى أن لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم
عليهم بأصناف النعم كلها فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا

الذين أوتوا الكتاب من الأمم السالفة ووصيناكم أن اتقوا الله يعني أنها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها
عباده لستم مخصوصين بها لأنهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم إن
تكفروا فإن لله في سمواته وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده وكان الله مع ذلك غنيا عن
خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات
وما في الأرض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لأن الخشية والتقوى أصل الخير كله
ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا إن يشأ يذهبكم أيها الناس
ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا إن يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما أوجدكم وأنشأكم
ويأت بآخرين ويوجد إنسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الإنس وكان الله على ذلك من الإعدام والإيجاد
قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن
كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب أي إن يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه ويروى
أنها لما نزلت ضرب رسول الله عليه السلام بيده على ظهر سلمان قال إنهم قوم هذا يريد أبناء فارس من كان
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا
من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب أحدهما
دون الآخر والذي يطلبه أخسهما لأن من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة
إلى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له إن أراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط يا أيها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين
إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا
أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا قوامين بالقسط مجتهدين في إقامة العدل
حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها ولو على أنفسكم ولو كانت الشهادة على
أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم **فإن قلت** الشهادة على الوالدين والأقربين أن يقول أشهد أن
لفلان على والدي كذا أو على أقاربي فما معنى الشهادة على نفسه **قلت** هي الإقرار على نفسه
لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق لها ويجوز أن يكون المعنى وإن كانت الشهادة وبالا على أنفسكم أو على
آبائكم وأقاربكم وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره إن يكن أي إن يكن المشهود عليه غنيا
فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه أو فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله أولى بهما بالغني والفقير أي بالنظر
لهما وإرادة مصلحتهما ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لأنه أنظر لعباده من كل ناظر **فإن**

قلت لم ثنّى الضمير في أولى بهما وكان حقه أن يوحّد لأن قوله إن يكن غنيا أو فقيرا في معنى إن يكن أحدهما
قلت قد رجع الضمير إلى ما دلّ عليه قوله إن يكن غنيا أو فقيرا لا إلى المذكور فلذلك ثنّى ولم يفرد وهو جنس
الغني والفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي بالأغنياء والفقراء وفي قراءة أبيّ فالله أولى بهم وهي شاهدة
على ذلك وقرأ عبد الله إن يكن غني أو فقير على كان التامة أن تعدلوا يحتمل العدل والعدول كأنه قيل فلا تتبعوا الهوى
كراهة أن تعدلوا بين الناس أو إرادة أن تعدلوا عن الحق وإن تلووا أو تعرضوا وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة
الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وإن تلوا أو تعرضوا بمعنى وإن وليتم
إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها فإن الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازاتكم عليه يا أيها الذين آمنوا
بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا
يا أيها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الإيمان ودوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي
أنزل من قبل المراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه
على إرادة الجنس وقرئ نزّل وأنزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب و
الرسل وكفروا ببعض روي أنه لعبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت
عبد الله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين أتوا رسول الله عليه السلام وقالوا يا رسول الله إنا نؤمن بك
وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله
محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كأنه قيل يا
أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا فإن قلت كيف قيل الكتاب والكتاب الذي أنزل من قبل
وكانوا مؤمنين بالتوراة والإنجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل
من الكتب فأمروا أن يؤمنوا بالجنس كله ولأن إيمانهم ببعض الكتب لا يصح إيمانا به لأن طريق الإيمان به
هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان إيمانهم بما آمنوا به إيمانا لأجل المعجزة لآمنوا به
كله فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن إيمانهم إيمانا وهذا الذي أراده عز وجل في قوله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا
فإن قلت لم قيل نزّل على رسوله وأنزل من قبل قلت لأن القرآن نزل مفرقا
منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل
لأن الكفر ببعضه كفر بكله ألا ترى كيف قدم الأمر بالإيمان به جميعا إن الذين آمنوا ثم كفروا

أجاب بوجهين الأول أنهم كانوا مؤمنين بالبعض وكان المطلوب منهم الإيمان بالجميع الثاني أنهم لم يكونوا مؤمنين بهما لأن كفرهم ببعضها منع صحة الإيمان بالبعض الآخر فقوله ولكن ... بأنهم الآخر عطف على جملة قوله كانوا مؤمنين بهما ... على معنى التعليل فكأنه قيل في الجواب ... الكتاب والكتاب الذي أنزل من قبل لأنهم كانوا مؤمنين بهما فحسب ولأن إيمانهم ه

ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام
والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت والمعنى أن الذين تكرر منهم الارتداد وعهد
منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون
اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر
ومرنت على الردة وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد أخرى وليس
المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لأن ذلك مقبول حيث
هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا ترى
الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب أنه يموت على شر
حال وأسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالإنجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا
بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين
أولياء من دون المؤمنين بشر المنافقين وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم الذين نصب على الذم
أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد
فتولوا اليهود أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا فإن العزة لله جميعا يريد لأوليائه
الذين كتب الله لهم العزة والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد
نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم أن إذا سمعتم هي أن المخففة من الثقيلة والمعنى
أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما في حيزها
في موضع الرفع بنزل أو في النصب بنزّل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله
وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا
يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه
وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين
بمكة فكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقون فقيل لهم إنكم إذا مثلهم مثل
الأحبار في الكفر إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون
إن الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فإن قلت القعيد

وكذا إذا عرف لم يكن زيد لأن يفعل ... ليس من شأنه الفعل وإذا عرف لم يكن أن يفعل فالمعنى لم يوجد الفعل ولا شك أن الأول أبلغ ه

... وشيء ... بالشيء نعوده ه

... لأنه أي قدم ... ه

قوله أيبتغون عندهم العزة أي أيبتغي المنافقون عند الكافرين العزة والعزة المنعة وشدة الغلبة ... من عزّ إذا غلب ... قال الأصمعي العزاز الأرض التي لا تنبت من صلابة الزجاج ه

وهي إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا ه

فلما نزل بمكة وهي في هذا المعنى الإباء في القعود مع المشركين وهذه الآية في القعود مع أحبار اليهود ه

في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع **قلت** الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل
فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها **فان قلت** لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت
الخوض **قلت** لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر **فان قلت** فهلا
كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين **قلت** لانهم كانوا لا
ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين يتربصون اما بدل
من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم
من ظفر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين
نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا
لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان
ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا
لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
فان قلت لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا **قلت** تعظيما لشان المسلمين
وتخسيسا لحظ الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها ان المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار
الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي
الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة
واحلال باس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه
وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين
فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران
اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراؤن
الناس يقصدون بصلوتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا
يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا

مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوا او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في
الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة
ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم **فان
قلت** ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية **قلت** فيها وجهان احدهما ان المرائي
يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال رأى الناس بمعنى
رأاهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق روى ابو زيد رأت المرأة المرآة الرجل
اذا امسكتها له ترى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم
اعمالهم ويراؤونهم كذلك مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون الله عن واو يراؤون اي يراؤونهم
غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان
والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد
ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في
الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون
قلوبهم او دينهم او رأيهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين
وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا ماضين
على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا
منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين يا ايها الذين
لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله
عليكم سلطانا مبينا لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم
من اعداء الاسلام اولياء سلطانا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن ابن
صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك
بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله و
اخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا
عظيما الدرك الاسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة
متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم **فان قلت**
لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر **قلت** لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء

الجزء السادس

بالاسلام واهله ومدّاحاتهم واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا
بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلّص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعاتهم الا وجهه فاولئك
مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤتي الله المؤمنين اجرا عظيما
فيشاركونهم فيه ويساهمونهم **فان قلت** من المنافق **قلت** هو في الشريعة
من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسّق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك
الصلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى
وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه
من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا
تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح
فقد عمم وقلد واعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا
عليما ما يفعل الله بعذابكم أيتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثأر ام يستجلب به نفعا ام يستدفع به ضررا
كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء
فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم
عليما بحق شكركم وايمانكم **فان قلت** لم قدم الشكر على الايمان **قلت** لان العاقل
ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما
على الايمان فكانه اصل التكليف ومداره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم
وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله
كان عفوا قديرا الا من ظلم الا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو
ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد
ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل
للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب
الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه
الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في الكرم
والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على

منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه
قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد
منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما جعل الذين آمنوا
بالله وكفروا برسله او آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله وبرسله جميعا لما ذكرنا من
العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك
ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا
فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون اي هم الكاملون في الكفر وحقا
تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر
الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه **فان قلت** كيف جاز دخول
بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا **قلت** ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما
وجمعهما تقول ما رأيت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم
يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء سوف يؤتيهم اجورهم معناه
ان ايتاءها كائن لا محالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا يسألك اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا
ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم
البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم
ميثاقا غليظا روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان
بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه
لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما
سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم في ايام موسى

وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى
أرنا نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة
كما سأل إبراهيم صلوات الله عليه أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة و
رميا بالصواعق وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم
حتى تاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين بميثاقهم بسبب
ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد أخذ
منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد ذلك وقرئ لا تعدّوا
بإدغام التاء في الدال فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير
حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا وبكفرهم
وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله
فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد **فإن قلت** بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد **قلت** إما أن
تتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا وإما أن تتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله
فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم
الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك **فإن قلت** هلا زعمت
أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله
على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم **قلت** لم يصح هذا التقدير لأن قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد
وإنكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك أنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أن الله خلق قلوبنا
غلفا أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما
عبدناهم وكمذهب المجبرة فقيل لهم بل خذلها ومنعها الألطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع
عليها لا أن تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله **فإن قلت** علام عطف قوله وبكفرهم
قلت الوجه أن يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقولهم
قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم **فإن قلت** ما معنى
المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الإضراب أو على ما بعده وهو قوله و
كفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم **قلت** قد تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى
ثم بمحمد عليهم السلام فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه

كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين
كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى صلوات الله عليه وسلم أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم
وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية **فإن قلت** كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له
عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا إنا قتلنا المسيح عيسى ابن
مريم رسول الله **قلت** قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون إن رسولكم الذي أرسل
إليكم لمجنون ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنه رفعا لعيسى عليه السلام
عما كانوا يذكرونه وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض
مهادا وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك
منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان
الله عزيزا حكيما روي أن رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك
خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فأجمعت اليهود على قتله
فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل
ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى
فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى وألقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه
فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم إنه إله لا يصح قتله وقال بعضهم إنه قد قتل وصلب
وقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان صاحبنا فأين عيسى وقال بعضهم رفع إلى السماء
وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا **فإن قلت** شبه مسند إلى ماذا
إن جعلته مسندا إلى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول
لم يجر له ذكر **قلت** هو مسند إلى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل إليه كأنه قيل ولكن وقع لهم
التشبيه ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول لأن قوله إنا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من
قتلوه إلا اتباع الظن استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن
فإن قلت قد وصفوا بالشك والشك أن لا يترجح أحد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح
أحدهما فكيف يكونون شاكين ظانين **قلت** أريد أنهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن إن
لاحت لهم أمارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا أو ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك
في قولهم إنا قتلنا المسيح ويجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا أي حق انتفاء قتله

حقًّا وقيل هو من قولهم قتلتُ الشيءَ علمًا ونحرتُه علمًا اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكّم لانه اذا نفي عنهم العلم نفيًا كليًّا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكّمًا بهم وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا لَيُؤْمِنَنَّ به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منّا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيًّا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيًّا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئًا فاستوى جالسًا فنظر اليّ وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة أبيّ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدًا يصلح للجمع **فان قلت** ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم **قلت** فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثًا لهم وتنبيهًا على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزامًا للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا يشهد على اليهود بانهم كذبوا وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في

ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فبظلم من الذين هادوا فبأي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبًا صغيرًا او كبيرًا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرًا ناسًا كثيرًا او صدًّا كثيرًا بالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين او المؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنًا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقًا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء عليهم السلام وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابًا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا

زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى أوحينا إليك وهو أرسلنا ونبأنا وما
أشبه ذلك أو بما فسره قصصناهم وفي قراءة أبي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل وعن إبراهيم
ويحيى بن وثاب أنهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وأن معناه وجرح الله موسى
بأظفار المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الأوجه أن ينتصب على المدح وجوز انتصابه على
التكرير **فإن قلت** كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة
التي النظر فيها موصل إلى المعرفة والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر إلى تلك
الأدلة ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها **قلت** الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على
النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف
وتعليم الشرائع فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميما لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا
فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له لكن الله يشهد بما أنزل إليك
أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا قرأ السلمي لكن الله يشهد
بالتشديد **فإن قلت** الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد **قلت**
لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله إنا أوحينا إليك قال
لكن الله يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل إنا أوحينا قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل
لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات
وشهادة الملائكة شهادتهم بأنه حق وصدق **فإن قلت** بم يجابون لو قالوا بم يعلم أن الملائكة
يشهدون بذلك **قلت** يجابون بأنه يعلم بشهادة الله لأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن
الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لأن شهادتهم تبع لشهادته **فإن قلت** ما معنى قوله
أنزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله **قلت** معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره
وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه
بيان للشهادة وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل أنزله وهو عالم بأنك
أهل لإنزاله إليك وأنك مبلغه وقيل أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل أنه أنزله وهو عالم
به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة
الجن الآتي إلى قوله وأحاط بما لديهم والإحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وإن لم يشهد غيره لأن التصديق
بالمعجزة هو الشهادة حقا قل أي شيء أكبر شهادة قل الله إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل

الله قد ضلوا ضلالا بعيدا إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا كفروا وظلموا
جمعوا بين الكفر والمعاصي أو كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لأنه لا فرق بين الفريقين
في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم أو لا يهديهم يوم
القيامة إلا طريقا يسيرا لا صارف له عنه يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما
حكيما فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء
عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أي اقصدوا وأتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر و
التثليث وهو الإيمان والتوحيد يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق
إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله
ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له
ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في
حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث
جعلوه إلها ولا تقولوا على الله إلا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرأ جعفر بن محمد إنما المسيح بوزن
السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له
روح الله وروح منه لذلك لأنه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الأب
الحي وإنما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى ألقاها إلى مريم أوصلها إليها وحصلها فيها ثلاثة
خبر مبتدإ محذوف فإن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم
الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بأقنوم الأب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح
القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة وإلا فتقديره الآلهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم
بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي إلهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون
في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم ويدل عليه قوله إنما المسيح عيسى ابن مريم فأثبت أنه
ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتهم وأن اتصاله بالله عز وعلا من حيث أنه رسوله وأنه موجود بأمره
وابتداعه جسدا حيا من غير أب فنفى أن يتصل به اتصال الأبناء بالآباء وقوله سبحانه أن يكون له

ولا تحكاية الله اولنت من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقراءة الحسن إن يكون بكسر الهمزة ورفع النون اى سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون لن يستنكف المسيح لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم **فان قلت** من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه **قلت** من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع عيسى عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كأنه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره لا شبهة انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرأ امير المؤمنين علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله عليه السلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت اى لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به **فان قلت** علام عطف قوله ولا الملائكة المقربون **قلت** لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه **فان قلت** قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون

ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قرئ فسنحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون **فان قلت** التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد **قلت** هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسوله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين روي انه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال اى ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا يسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان

الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث مسوّى بينها وبين اخيها وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتهما وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اى ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت **فان قلت** الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد **قلت** بيّن حكم انتفاء الولد ووكّل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بيّن احدهما بالكتاب والاخر بالسنة ويجوز ان يدل حكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر **فان قلت** الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله سبحانه فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة **قلت** اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر فكذلك ثنّي وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مومن ومومنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم و والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم والبهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اى احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال من محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اى جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره وآمو المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اى لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ

وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون
والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك
انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله فاقتلوهم
حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم
انهم في سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرا عبد الله ولا آمي البيت الحرام
على الاضافة وقرا حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا اباحة للاصطياد
بعد حظره عليهم كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل
من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه
الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا
على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم
بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة
متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم
لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان
يصدوكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و
المؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر
والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان
يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار حرمت عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم
فسق كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في
المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت به لغير الله وهو
قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة
التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والتي تردت من جبل او في بئر فماتت والتي نطحتها اخرى
فماتت وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح و
تشخب اوداجه وقرا عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو والسبع بسكون الباء وقرا ابن عباس

واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها ويعظمونها
بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه لعاقبة
والله ربك فاعبدا وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام
وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم
الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج
الآمر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما
قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق اشارة
الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا **فان قلت**
لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا **قلت** لانه دخول في علم الغيب
الذي استاثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه
طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره ونهاه والكهنة و
المنجمون بهذه المثابة وان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان
الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب
فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله الآن لما ابيض مسربتي
وعضضت من نابي على جذم وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في
حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا من دينكم ان يبطلوه وان ترجعوا محللين لهذه الخبائث
بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله سبحانه وفى بعهده من اظهاره على الدين كله فلا
تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين
واخشون واخلصوا لي الخشية اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما يقول الملوك اليوم
كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما
تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول
الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم و
ان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه

قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام
دينا بمعنى اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا وان
هذه امتكم امة واحدة فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم
فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض
اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة
والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة
في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك
يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن
مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله
سريع الحساب في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل
لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسئلونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو
قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل
لهم من المطاعم كانه حين تلى عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما احل منها فقيل احل لكم الطيبات
اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف
على الطيبات وصيد اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا
والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي و
الشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق
التاديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التاديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته
في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه الصلوة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال
من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون
من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية او استيناف وفيه فائدة
جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه و
حقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء
النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه

من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا يأكل منه
وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا والامساك على صاحبه ان لا يأكل منه لقوله عليه
السلم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه وعن علي بن ابي طالب اذا اكل البازي فلا
تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير
ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص
وابي هريرة رضي الله عنهم اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فان قلت الام رجع الضمير
في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته
او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي
اخدان وطعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى
وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر
وبه اخذ الشافعي وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين
وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف
يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب
واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن
ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح فلا باس وقال ابو ثور وان امره
بذلك في الصحة فلا باس وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين
لما ساغ لهم اطعامهم المحصنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من
المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة
هن كالمسلمات وخالفه الشافعي رضي الله عنه وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات
وانما رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء ولا متخذي اخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى ومن
يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ومن يكفر بالايمان بشرائع الاسلام
وما احل الله وحرم يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم

الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم
مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اذا قمتم الى الصلوة كقوله فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهوّن عليه في ان المراد ارادة الفعل **فان قلت** لم جاز
ان يعبّر عن ارادة الفعل بالفعل **قلت** لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهي
قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبّر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى
لا يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله سبحانه وتعالى كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا
كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبّر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبّب
عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام
السبب قولهم كما تدين تدان عبّر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبّب
عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى الشيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبّر عن
القصد له بالقيام اليه **فان قلت** ظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث و
غير محدث **قلت** يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب
وعن رسول الله عليه السلم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة وعن النبي عليه السلم من توضأ
على طهر كتب الله عشر حسنات وعنه عليه السلم انه كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى
الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز
فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهولاء على وجه الايجاب (ولهولاء على وجه الندب) **قلت**
لا لان تناول الكلمة الواحدة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلوة
واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل
فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول
العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى
الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان
الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى
به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة
العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي عليه

السلم انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح
كلاهما ملصق للمسح براسه وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ
الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان رسول الله عليه السلم وهو ما روي انه
مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الراس وقرأ جماعة وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة **فان
قلت** فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح **قلت** الارجل من بين الاعضاء الثلثة
المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الثالث الممسوح لا
لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان
يحسبها ممسوحة لان المسح لم يضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية من قريش
فراى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن
ابن عمر رضي الله عنه كنا مع رسول الله عليه السلم فتوضأ قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب
من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر رضي الله عنه انه راى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه
فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لان تقطعا احب الي من ان
امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله عليه السلم مسح على القدمين
وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وروي عن الشعبي
نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين
وقرئ فاطّهروا اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فاموا صعيدا ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم
التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا
نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله
عليم بذات الصدور واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي
عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق
ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا
يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير
بما تعملون

عُدّي بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على
ان تعتدوا والحذف مع ان ونحوه قوله عليه السلم من أتبع على ملئ فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ شنأن بالسكون
ونظيره في المصادر ليّان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا
مما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك
اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم اولا ان يحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا
وتشديدا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى اى العدل اقرب الى التقوى وادخل
في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم
اعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه لهم مغفرة واجر
عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اى شيء وعده وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب
الجحيم لهم مغفرة واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قيل قال قدم لهم وعدا فقيل اى شيء
وعده لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد
مجرى قال لانه ضرب من القول او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على
نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من
المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيمة فيسرون به ويستروحون اليه
ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون روي ان المشركين رأوا رسول الله عليه السلم قاموا الى صلوة الظهر يصلون معا وذلك
بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم
من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا لها فنزل جبريل بصلوة الخوف وروي
ان رسول الله عليه السلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو
بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين قالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة
وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره فخرج
وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله عليه السلم سلاحه بشجرة فجاء
اعرابي فسل سيف رسول الله عليه السلم ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي

قذف او رمى

السيف فصاح رسول الله باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده
اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم
فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم فمنعها ان تمد اليكم ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة
وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل لما استقر
بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة
وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى بان ياخذ من
كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على
بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما
عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا من ارض كنعان وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلم ان
يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف
وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها اني
معكم اني ناصركم ومعينكم عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل
والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من
واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد
وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيها العدل ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة
للقسم وفي لاكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك الشرط المؤكد
المعلق بالوعد العظيم **فان قلت** من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل **قلت**
اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة واذا زادت النعمة
زاد قبح الكفر وتمادى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن
مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل
ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او املينا لهم
ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرا عبد الله قسية اي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو
من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح

بالها أخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للإتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم فإنه
لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافرا مما ذكروا به من التورية
يعني أن تركهم وإعراضهم عن التورية إغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التورية وزلت أشياء
منها عن حفظهم وعن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما
أمروا به من الإيمان بمحمد عليه السلم وبيان نعته ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف
عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ولا تزال تطلع أي هذه عادتهم وديدنهم وكان عليها أسلافهم كانوا
يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وأن
يسموك على خائنة على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية
للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الإصبع وقرئ على خيانة منهم إلا قليلا
منهم وهم الذين آمنوا منهم فاعف عنهم بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عنهم عن مؤمنيهم
ولا تؤاخذهم بما سلف منهم ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا
به أخذنا ميثاقهم أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى أي مثل ميثاقهم بالإيمان بالله والرسل
وبأفعال الخير أو أخذنا من النصارى ميثاق أنفسهم بذلك فإن قلت فهلا قيل من النصارى قلت
لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية
ويعقوبية وملكانية أنصار الشيطان فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة وسوف
ينبئهم الله بما كانوا يصنعون فأغرينا فألصقنا وألزمنا من غري بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره
ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه فكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير يا أهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى
مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله عليه السلم ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه إذا لم تضطر
إليه مصلحة دينية ولم تكن فيه فائدة إلا افتضاحكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه إحياء شريعة
وإماتة بدعة أو عن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه
ويهديهم إلى صراط مستقيم قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك
والشك ولإبانته ما كان خافيا على الناس من الحق أو لأنه ظاهر الإعجاز من اتبع رضوانه من آمن منهم

سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن
مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض
جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير قولهم إن
الله هو المسيح معناه بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك
وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي إليه حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم فمن يملك
من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيته شيئا إن أراد أن يهلك من دعوه إلها من المسيح وأمه دلالة على
أن المسيح عبد مخلوق كسائر المخلوقات العباد وأراد بعطف من في الأرض على المسيح وأمه أنهما من جنسهم
لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء من ذكر وأنثى كما خلق آدم أو خلق ما يشاء كخلق الطير وخلق
من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على
يد عيسى معجزة له وكإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك فيجب أن ينسب إليه ولا ينسب إلى البشر
المجري على يده وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل
أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه
المصير أبناء الله أشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما
كان يقول رهط مسيلمة نحن أنبياء الله ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون
لكم الملك اليوم فلم يعذبكم بذنوبكم فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار
أياما معدودات على زعمكم ولو كنتم أبناء الله لكنتم من جنس الأب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم
أحباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل أنتم بشر من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم أهل الطاعة ويعذب من يشاء
وهم العصاة يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير يبين لكم إما أن يقدر المبين وهو
الدين والشرائع وحذفه لظهوره أو ما ورد الرسل لتبيينه أو يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره أو لا يقدر
ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال أي مبينا لكم وعلى فترة متعلق بجاءكم أي جاءكم على حين فتور من إرسال
الرسل وانقطاع من الوحي أن تقولوا كراهة أن تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان
بين عيسى ومحمد عليهما السلم خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل أربعمائة ونيف وستون وعن الكلبي كان بين
موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وبين عيسى ومحمد عليهما السلم أربعة أنبياء ثلثة من بني إسرائيل وواحد من
العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي أحوج

ما يكونون إليه ليشكروا إليه ويعدّوه أعظم نعمة الله وفتح باب الرحمة ويلزمهم الحجة فلا يعتلّوا غدًا بأنه لم يرسل
إليهم من ينبّههم عن غفلتهم ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل
فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين﴾ جعل فيكم أنبياء لأنه لم يبعث في أمة ما بعث
في بني إسرائيل من الأنبياء وجعلكم ملوكًا لأنه ملّكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولأن الملوك تكاثروا فيهم
تكاثر الأنبياء وقيل كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله فسمّى إنقاذهم ملكًا وقيل الملك من له مسكن واسع
فيه ماء جارٍ وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج إلى تكلّف الأعمال وتحمّل المشاق ما لم يؤت أحدًا
من العالمين من فلق البحر وإغراق العدو وتظليل الغمام وإنزال المنّ والسلوى وغير ذلك من الأمور العظام
وقيل أراد عالمي زمانهم ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم
فتنقلبوا خاسرين﴾ الأرض المقدسة أرض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين
ودمشق وبعض الأردن وقيل سمّاها الله لإبراهيم ميراثًا لولده حين رُفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما
أدرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الأنبياء كتب الله لكم قسمها لكم وسمّاها أو خطّ في اللوح أنها لكم ولا ترتدوا
على أدباركم ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنًا وهلعًا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة
رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسًا ينصرف بنا إلى مصر ويجوز أن
يراد لا ترتدوا على أدباركم في دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة
﴿قالوا يا موسى إن فيها قومًا جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا
منها فإنا داخلون﴾ الجبار فعّال من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس
على ما يريد ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب
فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ قال رجلان هما كالب و
يوشع من الذين يخافون من الذين يخافون الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين ويجوز أن يكون الواو
لبني إسرائيل والراجع إلى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان
منهم أنعم الله عليهما بالإيمان قالا لهم إن العمالقة أجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا إليهم فإنكم غالبوهم
يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك أنعم الله عليهما كأنه قيل من المخوفين
وقيل هو من الإخافة ومعناه من الذين يُخوَّفون من الله بالتذكرة والموعظة أو يخوّفهم وعيد الله بالعقاب
فإن قلت ما محل أنعم الله عليهما قلت إن انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم
الوصف لرجلان فمرفوع وإن جعل كلامًا معترضًا فلا محل له فإن قلت من أين علما أنهم غالبون

قلت من جهة إخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيّنا من عادة
الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر أعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم ﴿قالوا
يا موسى إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾
لن ندخلها نفيٌ لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس وأبدًا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا
فيها بيان للأبد فاذهب أنت وربك يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلّمته فذهب يجيبني تريد
معنى الإرادة والقصد للجواب كأنهم قالوا أريدا قتالهم والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة
بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله
جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى أن موسى وهرون خرّا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما
فهمّوا برجمهما ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا
اليهود والذين أشركوا ﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين﴾ لما عصوا وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به
إلا هرون عليه السلام قال رب إني لا أملك لنصرة دينك إلا نفسي وأخي وهذا من البث والحزن والشكوى إلى
الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثي و
حزني إلى الله وعن علي رضي الله عنه أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة إلى قتال البغاة فما أجابه إلا رجلان
فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال أين تقعان مما أريد وفي إعرابه وجوه أن يكون منصوبًا عطفًا على
نفسي أو على الضمير في إني بمعنى ولا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه ومرفوعًا عطفًا على محل إن واسمها كأنه
قيل أنا لا أملك إلا نفسي وهرون كذلك لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في لا أملك وجاز للفصل ومجرورًا عطفًا
على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على الضمير المجرور إلا بتكرير العامل فإن قلت أما كان معه
الرجلان المذكوران قلت كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان
واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلوّنهم فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره ويجوز أن يقول ذلك
لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز أن يكون يريد ومن يؤاخيني على ديني فافرق فافصل بيننا و
بينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فإنها محرمة عليهم
على وجه التسبيب أو فباعد بيننا وبينهم وخلّصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين ﴿قال فإنها محرمة
عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ فإنها فإن
الأرض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها فإن قلت كيف يوفّق بين هذا وبين قوله التي

كتب الله لكم **قلت** فيه وجهان أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم والثاني أن يراد فإنها محرمة عليهم أربعين سنة فإذا مضت الأربعون كان ما كتب فقد روي أن موسى سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحا وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات بعث يوشع نبيا فأخبرهم بأنه نبي الله وأن الله أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم إلى أريحا وقتل الجبارين وأخرجهم وصار الشام كله لبني إسرائيل وقيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف إما محرمة وإما يتيهون ومعنى يتيهون في الأرض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى إذا أمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله **فإن قلت** فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام ونحوه وغيره وهم معاقبون **قلت** كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه **فإن قلت** هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام **قلت** اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لأنه كان عقابا وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لإبرهيم عليه السلم وملائكة العذاب وروي أن هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر ومات النقباء في التيه بغتة إلا كالب ويوشع فلا تأس فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم فقيل إنهم أحقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين** هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل زوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني إسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة أو واتل عليهم نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين أو بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله عليه السلم ويبغون عليه أو اتل عليهم وأنت محق صادق وإذ قربا نصب بالنبأ أي قصتهم وحديثهم في ذلك ويجوز أن يكون بدلا من النبأ أي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به

إلى الله من نسيكة أو صدقة كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لأن تقرب مطاوع قرب قال الأصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب **فإن قلت** كيف كان قوله إنما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لأقتلنك **قلت** لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على أن الله لا يتقبل طاعة إلا من مؤمن متق فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال إني أسمع الله يقول إنما يتقبل الله من المتقين **لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين** ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه واستسلم خوفا من الله لأن الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره **إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين** إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أن تحتمل إثم قتلي لك لو قتلتك وإثم قتلك لي **فإن قلت** كيف يحتمل إثم قتله له ولا تزر وازرة وزر أخرى **قلت** المراد بمثل إثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه السلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على أن البادي عليه إثم سبه ومثل إثم سب صاحبه لأنه كان سببا فيه إلا أن الإثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لأنه مكافئ دافع عن عرضه ألا ترى إلى قوله ما لم يعتد المظلوم لأنه إذا خرج عن حد المكافأة واعتدى لم يسلم **فإن قلت** فحين كف هابيل عن قتل أخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فأين الإثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الإثمان **قلت** هو مقدر فهو يتحمل مثل الإثم المقدر كأنه قال إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت إليك يدي وقيل بإثمي بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك **فإن قلت** فكيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه بالنار **قلت** كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد ألا ترى إلى قوله وذلك جزاء الظالمين وإذا جاز أن يريده الله جاز أن يريده العبد لأنه لا يريد إلا ما هو حسن والمراد بالإثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب **فإن قلت** لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما أنا بباسط **قلت** ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي **فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين** فطوعت له نفسه قتل أخيه فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع إذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وأن يراد أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه

إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم يمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان
قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه
كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري
سوأة أخي فأصبح من النادمين فبعث الله غرابا روي أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بني آدم
ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع
فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة فقال يا ويلتى أعجزت وروي
أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود
جسدك وروي أن آدم مكث بعده مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر إلا منحول ملحون وقد صح
أن الأنبياء معصومون من الشعر ليريه الله أو ليريه الغراب أي ليعلمه لأنه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على
سبيل المجاز سوأة أخيه عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال يا لقومي للسوأة
السوآء أي للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها فأواري بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فأنا أواري أو على التسكين
في موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في أمره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب
واسوداد لونه وسخط أبيه ولم يندم ندم التائبين من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا
بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا النا
س جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون
من أجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل أصله من أجل شرا إذا جناه يأجله أجلا ومنه قول خوات بن جبير وأهل
خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله كأنك إذا قلت من أجلك فعلت كذا أردت من أن جنيت فعله
أو جنيته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته أي من أن جررته بمعنى جنيته وذلك إشارة إلى القتل المذكور أي من أن
جنى ذلك القتل الكتب وجره كتبنا على بني إسرائيل ومن لابتداء الغاية أي ابتداء الكتب ونشؤه من أجل ذلك ويقال
فعلت ذلك كذا لأجل كذا وقد يقال أجل كذا بحذف الجار وإيصال الفعل قال أجل أن الله قد فضلكم وقرئ من اجل
ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لإلقاء حركتها عليها وقرأ أبو جعفر من إجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فإذا خفف كسر النون
ملقيا لكسرة الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص أو فساد عطف على نفس بمعنى أو بغير فساد
في الأرض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن أحياها ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة قتل أو غرق أو
حرق أو هدم أو غير ذلك فإن قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لأن كل
إنسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فإذا قتل فقد أهين ما كرم على الله وهتكت

حرمته وعلى العكس فلا فرق إذن بين الواحد والجميع فإن قلت فما الفائدة في ذكر ذلك قلت
تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لأن
المتعرض لقتل النفس إذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي أراد إحياءها
وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن
يا ابن آدم أرأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا إنه شيء سولته لك
نفسك والشيطان فكذلك إذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون
يعني في القتل لا يبالون بعظمته إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض
فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي
في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا
أن الله غفور رحيم يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم محاربته و
يسعون في الأرض فسادا مفسدين أو لأن سعيهم في الأرض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون
في الأرض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز أن يكون مفعولا له أي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان
بينه وبين رسول الله عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فأوحى إليه
أن من جمع بين القتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أفرد القتل قتل ومن أفرد أخذ المال قطعت يده لأخذ المال و
رجله لإخافة السبيل ومن أفرد الإخافة نفي من الأرض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان أو مسلما ومعناه
أن يقتلوا من غير صلب إن أفردوا القتل أو يصلبوا مع القتل إن جمعوا بين الأخذ والقتل قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما
الله يصلب حيا ويطعن حتى يموت أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إن أخذوا المال أو ينفوا من الأرض إذا لم يزيدوا
على الإخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي أن الإمام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل
والنفي الحبس عند أبي حنيفة وعند الشافعي النفي من بلد إلى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده
وكانوا ينفونهم إلى دهلك وهو بلد في أقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة إلا الذين تابوا
استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة وأما حكم القتل والجراح وأخذ المال فإلى الأولياء إن شاؤوا عفوا وإن
شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه أن الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ
عنه العقوبة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم
تفلحون الوسيلة كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله من
فعل الطاعات وترك المعاصي وأنشد للبيد أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ألا كل ذي لب إلى الله واسل

إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم
ليفتدوا به ليجعلوه فدية لأنفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه
وعن النبي عليه السلام يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال
له قد سئلت أيسر من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر أن **فإن قلت** لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به ومن
عذاب يوم القيامة وقد ذكر شيئان **قلت** هو نحو قوله فإني وقيار بها لغريب أو أجري الضمير مجرى اسم الإشارة
كأنه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز أن يكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع إليه **فإن قلت** فبم ينصب
المفعول معه **قلت** بما يستدعيه لو من الفعل لأن التقدير لو ثبت أن لهم ما في الأرض قرأ أبو واقد أن
يخرجوا بضم الياء من أخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين منها وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال
لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها
فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس بأول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة
ابن الأزرق ابن عم رسول الله عليه السلام وهو بين أظهر أعضاده من قريش وأنضاده من بني عبد المطلب
وهو حبر الأمة وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا وبرفعه إلى عكرمة دليلين ناصعين أن
الحديث فرية ما فيها مرية **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم**
والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق
والسارقة أي حكمهما ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا أيديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط
لأن المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يتضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب
وفضلها سيبويه على قراءة العامة لأجل الأمر لأن زيدا فاضربه أحسن من زيد فاضربه أيديهما يديهما ونحوه فقد
صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله
والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند
الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة وعند مالك والشافعي ربع دينار
وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك في درهم جزاء ونكالا مفعول لهما **فمن تاب من بعد
ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم** فمن تاب من السراق من بعد ظلمه
من بعد سرقته وأصلح أمره بالتفصي عن التبعات فإن الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة وأما القطع فلا
يسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي في أحد قوليه تسقطه **ألم تعلم أن الله له ملك السموات**

والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير من يجب في الحكمة تعذيبه
والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربي إذا سرق بالتوبة ليكون أدعى له إلى الإسلام
وأبعد من التنفير عنه ولا يسقط عن المسلم لأن في إقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ولكم في القصاص
حياة **فإن قلت** لم قدم التعذيب على المغفرة **قلت** لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة
على التوبة **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا
بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم
آخرين لم يأتوك** قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر
أي في إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم
يقال أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا وكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم و
تهافتهم فيه أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا وبأفواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن
الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون أي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز أن يعطف على من الذين قالوا
ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين أو للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه
الأحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن
حمده سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا إلى مجلس رسول الله عليه السلام وتجافوا عنه
لما أفرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة أي قابلون من الأحبار ومن أولئك المفرطين في العداوة
الذين لا يقدرون أن ينظروا إليك وقيل سماعون إلى رسول الله عليه السلام لأجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما
سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لأجل قوم آخرين من اليهود
وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر **يحرفون الكلم
عن مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا** يحرفون الكلم
يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع إن أوتيتم هذا
المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا أنه الحق واعملوا به وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد بخلافه فاحذروا و
إياكم وإياه فهو الباطل والضلال وروي أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم
في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله عليه السلام عن ذلك
وقالوا إن أمركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم
بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور

وهو يسكن فدك يقال له ابن صوريا فقالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكما فقال له رسول الله عليه السلم أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله عليه السلم عن أشياء يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله عليه السلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم سماعون للكذب أكالون للسحت السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال الله تعالى يمحق الله الربوا والربا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشى على الأحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي أن عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم إليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال أعرابي من القوم نحن كما قال الله سماعون للكذب أكالون للسحت وعن النبي عليه السلم كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين قيل كان رسول الله عليه السلم مخيرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام المسلمين فإن شاءوا حكموا وإن شاءوا أعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعند أبي حنيفة إن احتكموا إلينا حملوا على حكم الإسلام وإن زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيئا أقيم عليه الحد وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون إقامة الحدود عليهم يذهبون إلى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود ويقولون إن النبي عليه السلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لأنهم كانوا خلقاء بأن يعادوه ويضاروه فآمن الله سربه بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به ثم يتولون

من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما أولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التهكم بهم **فإن قلت** فيها حكم الله ما موضعه من الإعراب **قلت** إما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم وإما أن يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله وإما أن لا يكون له محل ويكون جملة مبينة لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره **فإن قلت** لم أنثت التوراة **قلت** لأنها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب **فإن قلت** علام عطف ثم يتولون **قلت** على يحكمونك إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الأحكام الذين أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد بإجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل منها وقوله الذين أسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون والأحبار والزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة أي بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعل رسول الله عليه السلم من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم وإبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والأحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإذعانهم فيها وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من الأقرباء والأصدقاء ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن حكموا بغيرها وعن ابن عباس أن الكافرين والظالمين والفاسقين أهل الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان

من حُكم مثلكم وما كان من ثَمّ فهو لأهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مُقرّ فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه
في أهل الإسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عامّ في اليهود وغيرهم وعن
حذيفة أنتم أشبه الأمم سَمتًا ببني إسرائيل لتركبنّ طريقهم حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة غير أني لا أدري أتعبدون
العجل أم لا. وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف
والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون. في مصحف أُبيّ وأنزل الله على بني إسرائيل فيها وفيه
وأن الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا
عليهم فيها النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكَتْب
كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ إن النفس بالكسر
لكان صحيحا أو للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها أن النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق وكذلك العين
مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص
ذات قصاص وهو المقاصّة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون
الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من أصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة
للمتصدق يكفّر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يُهدم عنه من ذنوبه بقدر
ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أُبيّ فهو كفارته له
يعني فالمتصدق كفارته له أي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فأجره على الله وترغيب
في العفو. وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه
الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين
وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون
قفّيته مثل عقّبته إذا أتبعته ثم يقال قفّيته بفلان وعقّبته به فتعدّيه إلى الثاني بزيادة الباء. فإن قلت
فأين المفعول الأول في الآية. قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالسادّ مسدّه لأنه إذا
قفّى به على أثره فقد قفّى به إياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا وقرأ الحسن الأنجيل
بفتح الهمزة فإن صح عنه فلأنه أعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجُرّ ومصدقا عطف على محل فيه
هدى ومحله النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن ينتصبا مفعولا لهما
كقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وللحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام. فإن قلت

فإن نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم. قلت أصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما
مفعولا لهما فأقدّر وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إياه وقرئ وليحكم على لفظ الأمر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة
أُبيّ وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن
يحكم أهل الإنجيل وقيل إن عيسى كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة
وظاهر قوله وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه يردّ ذلك وكذلك قوله لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وإن ساغ لقائل أن
يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة. وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا
لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم
عما جاءك من الحق. فإن قلت أي فرق بين التعريفين في قوله وأنزلنا إليك الكتاب وقوله لما بين يديه
من الكتاب. قلت الأول تعريف العهد لأنه عُني به القرآن والثاني تعريف الجنس لأنه عُني به جنس
الكتب المنزلة ويجوز أن يقال هو للعهد لأنه لم يُرَد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم
منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ
ومهيمَنا بفتح الميم أي هُومن عليه بأن حُفظ من التغيير والتبديل كما قال الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل أو الحفاظ في كل بلد لو حُرّف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبّه عليه كل أحد و
لاشمأزّوا رادّين ومنكرين ذلك ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عُدّي بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا
أهواءهم. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة وقرأ يحيى بن وثّاب
بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا.
ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوي
أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن أراد ليبلوكم في ما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين
معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته
الحكمة أم تتبعون الشبه وتفرّطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها إلى الله مرجعكم
استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكّون معه من الجزاء الفاصل بين محقّكم ومبطلكم
وعاملكم ومفرّطكم في العمل. وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك
عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم
وإن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما

لقوم يوقنون فان قلت وان احكم بينهم معطوف على ماذا قلت على الكتاب في قوله وانزلنا
اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال ويجوز ان يكون
معطوفا على بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويستزلوك
وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد
نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا
وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله عليه
السلم فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم
يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة
العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولي واسترافهم في ارتكابه
ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها
بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو في معنى البعضية فكذلك
اذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم و
الاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم
به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي ان رسول الله عليه السلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير
نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية
التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير
حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض
ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرأ السلمي افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على
الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله وعن الصفة
في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرأ قتادة احكم الجاهلية
على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيره من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد
خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام اللام في هو قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب
وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم
ان الله لا يهدي القوم الظالمين لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم

وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر
فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم هذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة
المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله عليه السلم لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر رضي الله عنه لابي موسى في كاتبه النصراني
لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تامنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروي انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة
الا به فقال مات النصراني والسلم يعني هب انه مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ان
الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم فترى الذين
في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتي
بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين يسارعون فيهم ينكمشون
في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يامنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اي صرف من صروفه و
دولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت انه قال لرسول الله عليه السلم ان لي موالي من
يهود كثيرا عددهم واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف
الدوائر ولا ابرا من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسول الله عليه السلم على اعدائه
واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شافة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به
انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله عليه السلم ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحري ان يكون الدولة
والغلبة لهؤلاء وقيل او امر من عنده او ان يؤمر النبي عليه السلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على
نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم
من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد
ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على
ان ياتي وبالرفع على انه كلام مبتدا اي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف
مكة والمدينة والشام كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين
اقسموا فان قلت لمن يقولون هذا القول قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم و
اغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم و
معاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم
لننصرنكم حبطت اعمالهم من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي عين الناس وفيه
معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله سبحانه شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء

حالهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه من
يرتد ومن يرتدد وهو في الامام بدالين وهو من الكاينات التي اخبر عنها في القران قبل كونها وقيل كان اهل
الردة احدى عشرة فرقة ثلث في عهد رسول الله عليه السلم بنو مدلج ورييسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان
كاهنا تنبا باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله عليه السلم فكتب رسول الله عليه السلم الى معاذ بن جبل
والى سادات اليمن فاهلكه على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله عليه السلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون
وقبض رسول الله عليه السلم من الغد واتى خبره في اخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبا وكتب الى رسول
الله عليه السلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب رسول الله
عليه السلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس
في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول
الله عليه السلم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم
عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك
بن نويرة وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبية التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري
في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث
بن قيس وبنو بكر بن وايل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة
في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف ياتي
بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله عليه السلم الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم الفان من النخع
وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل
رسول الله عليه السلم عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا
لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب
سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم واما ما يعتقده
اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسواهم طريقة وان كانت طريقتهم طريقة عند امثالهم من الجهلة
والسفهاء شيا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها
الله وفي مراقصهم عطلها الله بابيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي اين عنها
صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء

راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه ان يلحقه سكرات المحبة فما لم يكن ذلك لم يكن فيه
حقيقة فان قلت اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف
معناه فسوف ياتي الله بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون
في سبيل الله ولا يخافون لومة لايم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم اذلة
جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة
فان قلت هلا قيل اذلة للمومنين اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل
معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المومنين
خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرى اذلة واعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة
لايم يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت
فاذا خرجوا في جيش المومنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المومنون
فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لايم قط وان تكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم
صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعهم قول قايل
ولا اعتراض معترض ولا لومة لايم يشق عليه جدهم في انكارهم وصلابتهم في امورهم واللومة المرة من اللوم وذكر اسادة لما
ما وصف به القوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيا قط من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف
به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يوتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا واسع كثير
الفواضل والالطاف عليم بمن هو من اهلها انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين
يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم راكعون عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من
تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت
قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياوكم قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق
الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها له اثباتها لرسول الله والمومنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياوكم الله ورسوله
والذين امنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم الله فان قلت الذين يقيمون
ما محله قلت الرفع على البدل من الذين امنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص
من الذين امنوا نفاقا او واطات قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو للحال اي يعملون ذلك
في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يوتون الزكوة بمعنى يوتونها
في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين ساله سايل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان

مرتجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته فإن قلت كيف صح أن يكون لعلي رضي الله
عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في
مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان و
تفقد الفقراء حتى إن لزهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها ومن يتول الله و
رسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون فإن حزب الله من إقامة الظاهر مقام المضمر
معناه فإنهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم ويحتمل
أن يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين روي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث
قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل
باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين بأهل الكفار وإن كان أهل الكتاب
من الكفار إطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ والكفار
بالنصب والجر ويعضد قراءة الجر قراءة أبي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها إن كنتم مؤمنين حقا لأن الإيمان حقا
يأبى موالاة أعداء الدين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا
يعقلون اتخذوها الضمير للصلاة أو للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن
محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمة بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق
واحترق هو وأهله وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لأن لعبهم وهزؤهم
من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا
بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف
والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلة وأن أكثركم فاسقون فإن قلت
علام عطف قوله وأن أكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها أن يعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا إلا
الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان كأنه قيل وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام
وأنتم خارجون منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم فاسقون ومنها أن يعطف على المجرور
أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل
محذوف كأنه قيل وما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن

بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي أنه أتى رسول الله عليه السلام نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن
بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة
منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وإن أكثركم بالكسر ويحتمل أن ينتصب وأن أكثركم بفعل محذوف
يدل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت
معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل إلا أن حب الرياسة وكسب الأموال لا يدعكم فتنصفوا قل هل
أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ذلك إشارة
إلى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله ومن لعنه الله
في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار أو في محل الجر على البدل من شر وقرئ
وقرئ مثوبة ومثبة ومثالهما مشورة ومشورة فإن قلت المثوبة مختصة بالإحسان فكيف جاءت في
الإساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب
أليم فإن قلت المعاقبون من الفريقين اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود
يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من
أهل الإسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من وقرأ ابن مسعود ومن عبدوا الطاغوت وقرئ وعابد
الطاغوت على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبادة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ
في الحذر والفطنة قال أبني لبينى إن أمكم أمة وإن أباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبد وعبد بضمتين جمع
عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد وأصله عبدة فحذفت التاء للإضافة أو هو جمع كخادم وخدم وعباد
وأعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم وعبد الطاغوت
بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك أمر إذا صار أميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه
الله فإن قلت كيف جاز أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان
أحدهما أنه خذلهم حتى عبدوها والثاني أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن إناثا وقيل الطاغوت العجل لأنه معبود من دون الله ولأن عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان
فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه أطاعوا الكهنة وكل من
أطاع أحدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة أصحاب السبت والخنازير
كفار أهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من أصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي

انّما لما نزلت كان المسلمون يعيّرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم أولئك الملعونون
الممسوخون شرّ مكاناً جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة في قولك اولئك شرّ واضلّ لدخوله
في باب الكناية التي هي اخت المجاز ويجوز ان يكون اسناداً مجازياً على طريقته واذا جاؤكم قالوا
آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون نزلت في ناس من اليهود
كانوا يدخلون على رسول الله عليه السلام يظهرون له الايمان نفاقاً فاخبره الله بشأنهم وانهم يخرجون من مجلسك
كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا منك من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين
وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريباً
للماضي من الحال وليصح ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم فكان رسول الله عليه السلام متوقعاً
لاظهار الله ما كتموا فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم وترى
كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون
لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا
يصنعون الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم
عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة
لبئس ما كانوا يصنعون كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعاً ولا كل عمل يسمى صناعة
حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكأن المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها
وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالاً من
المواقع ولعمري ان هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنه هي اشد
آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلّت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء غل اليد وبسطها
مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد
من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازاً عنه لانهما كلامان
معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال
يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلاً لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد
وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله جاد الحمى بسط
اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد جعل لبيد للشمال يداً في قوله

إذ اصبحت بيد الشمال زمامها ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان
كفّان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل امثال هذه الآية ولم يتخلّص من يد الطاعن اذا
عبثت به **فان قلت** قد صحّ ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلّت ايديهم ومن حقه ان يطابق
ما تقدمه والا تنافر الكلام وزلّ عن سننه **قلت** يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثمّ كانوا
ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر بقيت وفري وانحرفت عن العلى ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغلّ الايدي حقيقة
يغلّلون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول
سبّني سبّ الله دابره اي قطعه لان السبّ اصله القطع **فان قلت** كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح
وهو البخل والنكد **قلت** المراد به الخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلاً الى بخلهم ونكداً الى نكدهم او بما هو
مسبّب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم **فان قلت** لم ثنيت
اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة **قلت** ليكون ردّ قولهم وانكاره ابلغ وادلّ على
اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعاً فبنى المجاز
على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية
سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان
الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالاً فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه
كفّ الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا
فيه وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفراً والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيامة وليزيدن اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تمادياً في الجحود وكفراً بآيات
الله والقينا بينهم العداوة فكلمهم ابداً مختلف وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد كلما اوقدوا ناراً
للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فساداً والله لا يحب المفسدين كلما اوقدوا
ناراً كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك
المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا
فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود
ببلدة الا وجدتهم من اذلّ الناس ويسعون ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله وما جاء به
من كتبهم ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات
النعيم ولو ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله مع
وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم
مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه

باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وأن الإيمان لا ينجي ولا يسعد إلا مشفوعاً بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فأين الأطناب ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله وما أنزل إليهم من سائر كتب الله لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها فكأنها أنزلت إليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة أوجه أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤوس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون منهم أمة مقتصدة طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله عليه السلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب الأشرف وأصحابه والروم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين بلغ ما أنزل إليك جميع ما أنزل إليك وأي شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحداً ولا خائف أن ينالك مكروه وإن لم تفعل وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ إذن ما كلفت من أداء الرسالات ولم تؤد منها شيئاً قط وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لإدلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ مؤمناً به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنه إن كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله عليه السلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعاً فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فإن قلت وقوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط فما وجه صحته قلت فيه وجهان أحدهما أنه إذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولاً كان أمراً شنيعاً لا خفاء بشناعته فقيل إن لم تبلغ منها أدنى شيء وإن كان كلمة واحدة فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكأنما قتل الناس جميعاً والثاني أن يراد وإن لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه السلم فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من أعدائك فما عذرك في مراقبتهم فإن قلت أين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته

قلت المراد أنه يعصمه من القتل وفيه أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما أشد تكليف الأنبياء عليهم السلم وقيل نزلت بعد يوم أحد والناس الكفار بدليل قوله إن الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك وعن أنس كان رسول الله يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين لستم على شيء أي على دين يعتد به حتى يسمى شيئاً لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه وفي أمثالهم أقل من لا شيء فلا تأس فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك وفي المؤمنين غنى عنهم إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها كأنه قيل إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهداً له وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك فإن قلت هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل إن واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول إن زيداً وعمرو منطلقان فإن قلت لم لا يصح والنية به التأخير فكأنك قلت إن زيداً منطلق وعمرو قلت لأني إذا رفعته رفعته عطفاً على محل إن واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما ينتظمهما إن في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بإن لأعملت فيهما رافعين مختلفين فإن قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلخ ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فإن قلت ما التقديم والتأخير إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدهم غياً وما سموا صابئين إلا لأنهم صبؤوا عن الأديان كلها أي خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيهاً على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدماً فإن قلت فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلاً قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لأنه لا إزالة فيه عن موضعه وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ويجري هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فإن قلت

كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن **قلت** فيه وجهان أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه **فان قلت** فما محل من آمن **قلت** إما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدإ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر إن وإما النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه او من المعطوف عليه **فان قلت** فاين الراجع الى اسم إن **قلت** محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرا يستهزيون والصابون وهو من صبوت لأنهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة أبي والصابئين بالنصب وبها قرا ابن كثير وقراءة عبد الله يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وأرسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اى رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع **فان قلت** اين جواب الشرط فإن قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول إن أكرمت أخي أخاك أكرمت **قلت** هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم **فان قلت** لم جيء باحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا **قلت** جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها قرئ أن لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة اصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن **فان قلت** كيف دخل فعل الحسبان على أن التي هي للتحقيق **قلت** نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم **فان قلت** فاين مفعولا حسب **قلت** سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله فتنة اى بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اى رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر مبتدإ محذوف اى أولئك كثير منهم لقد كفر الذين قالوا

إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لم يفرق عيسى بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى إنه من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اى حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من انصار كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم ولم ينصر قولهم ورده وانكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم ناصر في الآخرة احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم من في قوله وما من إله إلا إله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا إله إلا الله والمعنى وما إله قط في الوجود إلا إله واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان **فان قلت** فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم **قلت** في اقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهو تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا بهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اى نوع شديد الالم من العذاب كما تقول أعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن يكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرا منهم تابوا من النصرانية أفلا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اى ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها إن أبرأ الله الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وإن خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وأمه صديقة اى وما أمه أيضا إلا كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة بشرين احدهما نبي والآخر صحابية فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله

كانا يأكلان الطعام لأنّ من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الّا جسمًا مركبًا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدلّ على انه مصنوع مؤلّف مدبّر كغيره من الاجسام كيف نبيّن لهم الآيات اى الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمّله **فان قلت** ما معنى التراخى فى قوله ثم انظر **قلت** معناه ما بين العجبين يعنى انه بيّن لهم الآيات بيانًا عجيبًا وان اعراضهم عنها اعجب منه قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرًّا ولا نفعًا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ما لا يملك هو عيسى اى شيئًا لا يستطيع ان يضرّكم بمثل ما يضرّكم به الله من البلايا والمصائب فى الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولأنّ كلّ ما يستطيعه البشر من المضارّ والمنافع فبإقدار الله وتمكينه فكأنّه لا يملك منه شيئًا وهذا دليل قاطع على انّ امره على انّ امره منافٍ للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرًّا ولا نفعًا وصفة الربّ ان يكون قادرًا على كلّ شئ لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلّق بأتعبدون اى أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذى يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذى يصحّ منه ان يسمع كلّ مسموع ويعلم كلّ معلوم ولن يكون كذلك الّا وهو حىّ قادر غير الحق صفة للمصدر اى لا تغلوا فى دينكم غلوًّا غير الحق اى غلوًّا باطلًا لأنّ الغلوّ فى الدين غلوّان حقّ وهو ان تفحص عن حقائقه وتفتّش عن اباعد معانيه وتجتهد فى تحصيل حججه كما يفعل المتكلّمون من اهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلوّ باطل وهو ان تتجاوز الحقّ وتتخطّاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمّتهم فى النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبى عليه السلام واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله عليه السلام عن سواء السبيل وحسدوه وبغوا عليه لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون نزّل الله لعنهم فى الزبور على لسان داود وفى الانجيل على لسان عيسى وقيل انّ اهل ايلة لمّا اعتدوا فى السبت قال داود عليه السلام اللّهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولمّا كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال اللّهم عذّب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابًا لم تعذّبه احدًا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبىّ ذلك بما عصوا اى لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذى كان سبب المسخ الّا لأجل المعصية والاعتداء لا لشئ آخر ثم فسّر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضًا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكّدًا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين فى

اعراضهم عن باب التناهى عن المناكير وقلّة عبئهم به كأنّه ليس من ملّة الاسلام فى شئ مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات **فان قلت** كيف وقع ترك التناهى عن المنكر تفسيرًا للمعصية والاعتداء **قلت** من قبل انّ الله سبحانه امر بالتناهى فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لأنّ فى التناهى حسمًا للفساد فكان تركه على عكسه **فان قلت** ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهى بعد الفعل **قلت** معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض فى الفسق وآلاته تسوّى وتهيّأ فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرّون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع عنه وتركه ترى كثيرا منهم يتولّون الذين كفروا لبئس ما قدّمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ترى كثيرا منهم هم منافقوا اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذمّ ومحلّه الرفع كأنّه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما انزل اليه ما اتّخذوهم اولياء ولكنّ كثيرا منهم فاسقون ولو كانوا يؤمنون ايمانًا خالصًا غير نفاق ما اتّخذوا المشركين اولياء يعنى انّ موالاة المشركين كفى بها دليلًا على نفاقهم وانّ ايمانهم ليس بايمان ولكنّ كثيرا منهم فاسقون متمرّدون فى كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدّعون ما اتّخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون لتجدنّ اشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنّ اقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهبانًا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنّا فاكتبنا مع الشاهدين وصف شدّة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين فى شدّة العداوة للمؤمنين بل نبّه على تقدّم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل فى قوله ولتجدنّهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ولعمرى انهم لكذلك واشدّ وعن النبى عليه السلام ما خلا يهوديان بمسلم الّا همّا بقتله وعلّل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودّتهم للمؤمنين بأنّ منهم قسّيسين ورهبانًا اى علماء وعبّادًا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بيّن على انّ العلم انفع شئ واهداه الى الخير وادلّه على الفوز حتى علم القسّيسين وكذلك علم الآخرة والتحدّث بالعاقبة وان كان فى راهب والبراءة من الكبر وان كانت فى نصرانى ووصفهم برقّة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشى انه قال لجعفر بن ابى طالب حين اجتمع فى مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه

عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم فقال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله عليه السلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله عليه السلم سورة يس فبكوا **فان قلت** بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا **قلت** بعداوة ومودة على أن عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين أشد العداوات وأظهرها وأن مودة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودات وأدناها وجودا وأسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالأشد والأقرب **فان قلت** ما معنى قوله تفيض من الدمع **قلت** معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الاناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا **فان قلت** أي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق **قلت** الأولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا ويحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوا كله وقرؤوا القرآن وأحاطوا بالسنة وقرئ ترى أعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع أمة محمد عليه السلم الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين وما لنا لا نؤمن بالله انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك وأرادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثلثين وذلك ليس بالايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال **فان قلت** ما العامل في الحال الأولى والثانية **قلت** العامل في الأولى ما في اللام من معنى الفعل كأنه قيل أي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل مقيدا بالحال الأولى لأنك لو أزلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز أن يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على أنهم أنكروا على أنفسهم أنهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين وأن يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين أو على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم فأثابهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان أي اعتقاده وما يذهب اليه يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون طيبات ما أحل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي أن رسول الله عليه السلم وصف القيمة لأصحابه يوما فبالغ وأشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله عليه السلم فقال لهم اني لم أومر بذلك ان لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وروي أن رسول الله عليه السلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود أن رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن أنه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره قال أفيشرب الماء البارد قال نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله سبحانه أدب عباده فأحسن أدبهم وقال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم الى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا أوليا لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله أي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون لأن الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما أمر به وعما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه وعن عائشة أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن وهو قول أبي حنيفة رحمه الله بما عقدتم الأيمان بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها

بالقصد والنية وروي أن الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعني أجب
عنك فقال ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف
فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة
فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله
لكم آياته لعلكم تشكرون فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها
من أوسط ما تطعمون من أقصده لأن منهم من يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر وهو عند أبي حنيفة رحمه
الله نصف صاع من بر أو صاع من غيره لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي مد لكل مسكين وقرأ جعفر بن
محمد أهاليكم بسكون الياء والأهالي اسم جمع لأهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي في جمع أرض وقولهم أهلون
كقولهم أرضون بسكون الراء وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معديكرب تشبيها للياء بالألف
أو كسوتهم عطف على محل من أوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة وأسوة في إسوة والكسوة ثوب يغطي العورة
وعن ابن عباس كانت العباءة تجزي يومئذ وعن ابن عمر إزار أو قميص أو رداء أو كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن
الحسن ثوبان أبيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني أو كأسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافا كان أو تقتيرا
لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم **فإن قلت** ما محل الكاف **قلت**
الرفع تقديره أو طعامهم كأسوتهم بمعنى كمثل طعامهم إن لم تطعموهم الأوسط أو تحرير رقبة شرط الشافعي الإيمان قياسا
على كفارة القتل وأما أبو حنيفة وأصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل **فإن قلت**
ما معنى أو **قلت** التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب فمن لم يجد إحداها
فصيام ثلاثة أيام متتابعات عند أبي حنيفة تمسكا بقراءة أبي وابن مسعود فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعن مجاهد كل صوم
متتابع إلا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة أيمانكم ولو قيل تلك كفارة أيمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك
الأشياء أو لتأنيث الكفارة والمعنى إذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف لا
بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال إذا لم يعص الحانث واحفظوا
أيمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا أراد الأيمان التي الحنث فيها معصية لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى
كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله
لكم آياته أعلام شريعته وأحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا أيها الذين آمنوا
إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم

تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر و
يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها
تصدير الجملة بإنما ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ومنه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلهما رجسا كما
قال فاجتنبوا الرجس من الأوثان ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت ومنها أنه
أمر بالاجتناب ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة و
منها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان إليه من الصد عن
ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وقوله فهل أنتم منتهون من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع
الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا **فإن قلت**
إلام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه **قلت** إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما
أو ما أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان **فإن قلت** لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام
أولا ثم أفردهما آخرا **قلت** لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر و
اللعب بالميسر وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أن ذلك جميعا من أعمال الجاهلية
[illegible] وأهل الشرك فوجب اجتنابه بأسره وكأنه لا مباينة بين من عبد الأصنام وأشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب
خمرا أو قامر ثم أفردهما بالذكر ليري أن المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلاة اختصاص للصلاة من
بين الذكر كأنه قيل وعن الصلاة خصوصا وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا واحذروا
وكونوا حذرين خاشين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز أن يراد
واحذروا ما عليكم في الميسر أو في ترك طاعة الله والرسول فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا
البلاغ المبين فإن توليتم فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأن الرسول ما كلف إلا البلاغ المبين
بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم
اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم
ومشتهياتها إذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا
ثم ثبتوا على التقوى والإيمان ثم اتقوا وأحسنوا ثم على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا إلى الناس وآسوهم
بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون
الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا اتقوا المحارم

ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به **فان قلت** ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد **قلت** قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف بثباتهم عند ما هو اشد منه وقرا ابراهيم تناله بالياء يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام حرم محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او هو عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ **فان قلت** محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروط في الآية **قلت** لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد والشافعي مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة **فان قلت** فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من

النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة **قلت** قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او بالصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرا عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيد وقرا السلمي على الاصل وقرا محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرا الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسال عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سال غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرا محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة وعند الشافعي رحمة الله عليهما في الحرم **فان قلت** بم يرفع كفارة من ينصب جزاء **قلت** يجعلها خبر مبتدا محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرا الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحده لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد الى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل

سوء ثقله عليه من قوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل هو الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ
عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الإحرام قبل أن تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسألوه عن
جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد
إلى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله منه ينتقم خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه
ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد
فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح أنه لا كفارة عليه
تعلقا بالظاهر وأنه لم يذكر الكفارة أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون صيد البحر مصيدات البحر
مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول
منه وهو السمك وحده عند أبي حنيفة وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد فيه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان
البحر وأن تطعموه متاعا لكم مفعول له أي أحل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب
نافلة في باب الحال لأن الحال قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختص بيعقوب يعني أحل لكم طعامه
تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر وقرئ
وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كطير الماء عند أبي حنيفة
وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم أنهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال وإن صاده
لأجله إذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعي وأحمد
لا يباح له ما صيد لأجله فإن قلت فما يصنع أبو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد أخذ أبو
حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لأن ظاهره أنه صيد المحرمين دون صيد
غيرهم لأنهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين
ويدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقرأ ابن عباس وحرم عليكم صيد البر أي الله
سبحانه وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس
والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض
وأن الله بكل شيء عليم البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك قياما للناس
انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم ونهوضا إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم و
تجارتهم وأنواع منافعهم وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام والشهر الذي

يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأن لاختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله وقيل عني به جنس
أشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لأن الثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر ذلك إشارة
إلى جعل الكعبة قياما للناس أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا أن الله يعلم كل شيء وهو عالم
بما يصلحكم وينعشكم مما أمركم به وكلفكم اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم
شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون ما على الرسول إلا البلاغ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب
عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط قل لا يستوي الخبيث والطيب
ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون البون بعيد بين الخبيث
والطيب بعيد عند الله وإن كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فإن ما تتوهمونه في
الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح
المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله وآثروا الطيب وإن قل على الخبيث وإن كثر ومن حق هذه الآية أن
تكبح بها وجوه المجبرة إذا افتخروا بالكثرة كما قيل وكاثر بسعد إن سعدا كثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا وكما قيل لا يدهمنك
من دهمائهم عدد فإن جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عن الإيقاع بهم
وإن كانوا مشركين يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم
أصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وإذا قيل لهم تعالوا إلى
ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا
اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني
قوله إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة لأشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله عليه السلام
حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم إن أفتاكم بها وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو
ما روي أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فأعرض عنه رسول الله عليه السلام
حتى أعاد مسألته ثلاث مرات فقال عليه السلام ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ما استطعتم ولو
تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم وإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه

ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسوءكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته

فان قلت كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها

قلت الضمير في سألها ليس براجع الى اشياء حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الاولين ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا

يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين

كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا عن مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم

ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين

الواو في قوله اولو كان آباؤهم

كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين

فصلت الآية بينهم وعن ابن عباس وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله عليه السلام عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم من اسماء الافعال بمعنى الزموا صلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وروي ان بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين خرج مع عدي بن زيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصى اليهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله عليه السلام فنزلت تحبسونهما توقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او بعد الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله عليه السلام صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلوة اهل الذمة وهم يعظمون صلوة العصر

إن ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى إن ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلّفوهما وقيل إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وإن أريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يحلّف الشاهد والراوي إذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا أي لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى أن هذه عادتهم في صدقهم وأمانتهم أبدا وأنهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين شهادة الله أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه أن منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وإدغام نون من فيها كقوله عادلّولى فإن قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استئناف كلام كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل إن ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فإن قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها أغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض أئمة الفقه إذا صلى أخذ بالدرس علم أنه صلوة الفجر ويجوز أن يكون اللام للجنس وأن يقصد بالتحليف على أثر الصلوة أن يكون الصلوة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فإن عثر فإن اطلع على أنهما استحقا إثما أي فعلا ما أوجب إثما واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم أي من الذين استحق عليهم الإثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما وأن شهادتهما أحق من شهادتهما والأوليان الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الأوليان كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان أو من آخران ويجوز أن يرتفعا باستحق أي من الذين استحق عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الأولين على أنه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرئ الأولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الأولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم أن الورثة ادعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشرى فيما كتما فأنكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهم الشرى فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الأوليان على البناء للفاعل وهو علي وأبي وابن عباس قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة

ويظهروا بها كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم أدنى أن يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان أن تكرر أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع إجابة وقبول

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب

يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كأنه قيل واتقوا الله يوم جمعه أو ظرف لقوله لا يهدي أي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم أو منصوب بإضمار اذكروا أو يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي إجابة أجبتم فإن قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد فإن قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما أجيبوا قلت يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء إجابتهم إظهارا للتشكي واللجاء إلى ربهم في الانتقام منهم وذلك أعظم على الكفرة وأفتّ في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم إذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائه ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له أنت أعلم بما فعل بي تفويضا للأمر إلى علم سلطانه واتكالا عليه وإظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لأنك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها إجابة الأمم لرسلهم فكأنه لا علم لنا إلى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وإنما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله إنك أنت أي إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام على الاختصاص أو على النداء أو هو صفة لاسم إن

إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون

إذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وبتعديد ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة أو جاوزوا

حتى التصديق إلى أن اتخذوه آلهة كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يدي عيسى من البينات والمعجزات هذا سحر مبين
واتخذه بعضهم وأمه إلهين أيدتك قويتك وقرئ آيدتك على أفعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين
وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس وفي المهد في موضع الحال
لأن المعنى تكلمهم طفلا وكهلا إلا أن في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبريل أيد به لتثبيت
الحجة فإن قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير أن
يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ فيه
الأنبياء والتوراة والإنجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب
الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير بإذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لأنها صفة
الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا من نفخه في شيء وكذلك
الضمير في فتكون تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وإذ كففت
بني إسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر
ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات أوحيت إلى الحواريين
أمرتهم على ألسنة الرسل مسلمون مخلصون من أسلم وجهه لله إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل
يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا
نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين
عيسى في محل النصب على إتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموما
كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله أحار بن عمرو كأني خمر لأن الترخيم لا يكون إلا في المضموم فإن
قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص
وإنما حكى ادعاءهم لهما ثم أتبعه قوله إذ قالوا فآذن أن دعواهم كانت باطلة وأنهم كانوا شاكين وقوله هل
يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره
واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها إن كنتم مؤمنين إن
كانت دعواكم للإيمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك أي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف
يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان إذا كان عليه الطعام وهي من ماده إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من
تقدم إليه ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل أو نكون من الشاهدين
لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على أن عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لإرادة ما ذكروا كدعويهم

للإيمان والإخلاص وإنما سأل عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء
على البناء للمفعول وتعلم ونكون بالتاء والضمير للقلوب قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة
من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين
قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من
العالمين اللهم أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت عنه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا أي يكون يوم
نزولها عيدا قيل هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد
ومعناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الأمر ونظيره يرثني ويرث لأولنا وآخرنا بدل من لنا
بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم ويجوز
للمتقدمين منا والأتباع وفي قراءة زيد لأولانا وأخرانا والتأنيث بمعنى الأمة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير
في لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي أن عيسى لما أراد الدعاء لبس صوفا ثم
قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين
أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف
عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها
خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث
سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما
ولكنه شيء اخترعه الله بقدرته العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون لو أريتنا
من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي أنهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه
قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكان عيدا إلى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت
وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله
قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا
أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد
إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم

سبحانك من أن يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا
أعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل ما في نفسك لقوله ما في نفسي إنك أنت
علام الغيوب تقرير للجملتين معا لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي إليه
علم أحد أن في قوله أن اعبدوا الله إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر إما فعل القول وإما فعل الأمر
وكلاهما لا وجه له أما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير أن يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم إلا أن اعبدوا
الله ولكن ما قلت لهم إلا اعبدوا الله وأما فعل الأمر فمسند إلى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لأن
الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وإن جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من أن يكون بدلا من ما أمرتني به أو من الهاء في
به وكلاهما غير مستقيم لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله بمعنى ما قلت
لهم إلا عبادته لأن العبادة لا تقال وكذلك إذا جعلته بدلا من الهاء لأنك لو أقمت أن اعبدوا الله مقام الهاء فقلت
إلا ما أمرتني بأن اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته **فإن قلت** فكيف يصنع **قلت**
يحمل فعل القول على معناه لأن معنى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ما أمرتهم إلا بما أمرتني به حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا
الله ربي وربكم ويجوز أن تكون أن موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه
أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة
وأنزلت عليهم من البينات وأرسلت إليهم من الرسل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز
العظيم لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير
إن تعذبهم فإنهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز
القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب **فإن قلت**
المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وإن تغفر لهم **قلت** ما قال إنك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على إن غفرت
إن عذبتهم عدلت لأنهم أحقاء بالعذاب وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لأن المغفرة حسنة
لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم أعظم جرما كان العفو عنه أحسن قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والإضافة
وبالنصب إما على أنه ظرف لقال وإما على هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم
ينفع ولا يجوز أن يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لأنه مضاف إلى متمكن وقرأ الأعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا
يوما لا تجزي **فإن قلت** ما معنى قوله يوم ينفع الصادقين صدقهم إن أريد صدقهم في الآخرة فليست
الآخرة بدار عمل وإن أريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لأنه في معنى الشهادة لعيسى بالصدق فيما يجيب

فيما يجيب به يوم القيمة **قلت** معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم **وعن** قتادة متكلمان
تكلما يوم القيمة أما إبليس فقال إن الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه
وأما عيسى فكان صادقا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه **لله ملك السموات والأرض وما فيهن**
وهو على كل شيء قدير **فإن قلت** في السموات والأرض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن
قلت ما يتناول الأجناس كلها تناولا عاما ألا تراك تقول إذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل أن تعرف
أعاقل هو أم غيره فكان أولى بإرادة العموم **عن** النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطي
من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني تنفس في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات
والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله تعالى
وجعل الظلمات والنور وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
إناثا والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو
تصيير شيء شيئا أو نقله من مكان إلى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لأن الظلمات
من الأجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم أزواجا أجعل الآلهة إلها واحدا **فإن قلت** لم أفرد النور **قلت** للقصد
إلى الجنس كقوله والملك على أرجائها أو لأن الظلمات كثيرة لأنه ما من جنس من أجناس الأجرام إلا وله ظل وظله هو الظلمة
بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار **فإن قلت** علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون **قلت** إما
على قوله تعالى الحمد لله على معنى أن الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون
نعمته وإما على قوله خلق السموات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر
على شيء منه **فإن قلت** فما معنى ثم **قلت** استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد
لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم **هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم**
تمترون ثم قضى أجلا أجل الموت وأجل مسمى عنده أجل القيامة **وقيل** الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت والثاني
ما بين الموت والبعث وهو البرزخ **وقيل** الأول النوم والثاني الموت **فإن قلت** المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره
فلم جاز تقديمه في قوله وأجل مسمى عنده **قلت** لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك
فإن قلت الكلام السائر أن يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم **قلت** أوجبه أن
المعنى وأي أجل مسمى عنده تعظيما للشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب **وهو الله في السموات وفي الأرض**

يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون في السموات متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيها ومنه
قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو المعروف بالالهية او المتوحد بالالهية فيها او هو الذي
يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه في
السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيها لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيها **فان قلت** كيف موقع قوله يعلم سركم
وجهركم **قلت** ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده
وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم
ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين**
من في من آية للاستغراق وفي من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر
والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم
وتدبرهم للعواقب **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون** فقد كذبوا مردود
على كلام محذوف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها وهو الحق لما جاءهم
يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء الشيء الذي كانوا به يستهزءون
وهو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك
عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته **ألم يروا كم اهلكنا من
قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار
تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين** مكن له في الارض جعل له مكانا فيها ونحوه ارض له
ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض او لم نمكن لهم واما امكنه في الارض فاثبته فيها ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة
نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب
الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب والمطر والمدرار المغزار **فان قلت** اي فائدة
في ذكر انشاء قرنا آخرين بعدهم **قلت** الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على
ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها **ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه
بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين** كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بأيديهم ولم يقتصر بهم
على الرؤية لئلا يقولوا انما سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد
ظهوره **وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون** لقضي امر هلاكهم

ثم لا ينظرون

ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله عليه السلام في صورته وهي
آية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك
اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم
اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر
وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة اشد من نفس الشدة **ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون** ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم
كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه
رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل عليه السلام على رسول الله عليه السلام في اعم الاحوال في
صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على
انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل
على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا
ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على
انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة **وقرأ** ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة **وقرأ** الزهري وللبّسنا
عليهم ما يلبّسون بالتشديد **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون**
ولقد استهزئ تسلية لرسول الله عليه السلام عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي كانوا
يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء **قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين**
فان قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا **قلت** جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا
فكأنه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله قل سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة
السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب
والمباح **قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه
الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون** لمن ما في السموات والارض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو لله
لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته في
هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على
اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وقوله الذين
خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا انفسهم وانتم الذين خسروا انفسهم **فان قلت**

كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله
لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم وله عطف على لله ما سكن في
الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل
مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات و
الارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم اولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ
الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني اعبد الله اذن لكم وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على
المدح وقرا الزهري فطر السموات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان
يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله عز وجل ما اريد
منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى
ابن المامون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرا الاشهب وهو
يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت
ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط
ويقدر ويغني ويفقر اول من اسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم سابق امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت
وانا اول المسلمين وكقول موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن وقيل لي لا تكونن
من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين
من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله تعالى الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه
تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء
للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه
وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به
اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه وتنصره هذه القراءة قراءة ابي من يصرفه عنه وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وان يمسسك الله بضر من مرض
او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير
كان قادرا على ادامته وازالته وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة
والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن

لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما
تشركون الشيء اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم
ولذلك صح ان يقال في الله تعالى شيء لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولم يصح جسم لا كالاجسام
واراد اي شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل ان يكون تمام
الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله
شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له
ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من
الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما راى محمدا صلى الله عليه وسلم ائنكم
لتشهدون تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله عليه السلام
بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون
بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن
اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون جمعوا
بين امرين متناقضين تكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء
الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه
تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان
كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله
الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك
على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيب عنهم
وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم
وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دينا آباءنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان
يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث ان قالوا لوقوع
الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا

بالنصب على النداء انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترون ناى يفترون الهيته وشفاعته فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقايق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لنسبته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضي عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عندنا انفسنا وما علمنا انا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي وافحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الاخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت والاكنة على القلوب والوقر في الاذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرا الحسن وقرا بكسر الواو وحتى اذا جاؤك يجادلونك هي حتى التي يقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون اذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الايات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون وهم ينهون الناس عن القران او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله عليه السلام وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا

عن التعرض

عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله سوءا فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى أوسد في التراب دفينا •
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة • وابشر بذاك وقر منه عيونا •
ودعوتني وزعمت انك ناصح • ولقد صدقت وكنت ثم امينا •
وعرضت دينا لا محالة انه • من خير اديان البرية دينا •
لولا الملامة او حذاري سبة • لوجدتني سمحا بذاك مبينا •

فنزلت ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت امرا شنيعا ووقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ ووقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدأوا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافيك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافيه كذب كانه قال ان رزقني مالا كافيتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لامنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون

وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا
على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال
اليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق
وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا
يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون بلقاء الله ببلوغ الاخرة
وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع اخر وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال
بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في احوال
الاخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات
فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجاة وانتصابها على الحال
بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا فيها الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر
لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شانها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت
في جنب الله يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله تعالى فبما كسبت ايديكم لان اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف
الكسب بالايدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله تعالى ساء مثلا القوم وما الحياة الدنيا
الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني
ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الاخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب
ولهو وقرا ابن عباس ولدار الاخرة وقرئ تعقلون بالياء والتاء قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله
ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشان ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر
كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى
ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود
اياته فاله عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك بجحود
ايات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني وفي
هذه الطريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون
بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل
فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما

كان

كان رسول الله عليه السلام يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول
ما نكذبك وانك لمصدق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد
اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي
باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر
للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبا المرسلين ولقد كذبت تسلية لرسول الله عليه السلام وهذا
دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني
على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبا المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة
المشركين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم
باية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه
واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم
فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم اية يؤمنون بها او سلما
في السماء فتاتيهم منها باية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه
لو استطاع ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الايات
فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه
انه لو استطاع ذلك لفعله حتى ياتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او
السلم في السماء هو الاتيان بالاية كانه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لفعلت
لعل ذلك يكون لك اية يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى بان تاتيهم باية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون
ذلك ويرومون ما هو خلافه انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون انما يستجيب
الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله
انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور
يوم القيمة ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل
معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل

الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية
ولكن اكثرهم لا يعلمون لولا نزل عليه آية نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل و
الفاعل مؤنث لان تانيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل ان الله قادر
على ان ينزل آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها وما من دابة في الارض
ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون امم امثالكم
مكتوبة ارزاقها واجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم واجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب
في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم
كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء فان قلت كيف قيل
الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان
يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم
وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما
من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم
محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه و
سعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها
مهيمن على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من
سائر الحيوان وقرأ ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا
بالتخفيف والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط
مستقيم فان قلت كيف اتبع قوله والذين كذبوا بآياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد
لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون
في ظلمات الكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشأ الله يضلله اي يخذله
ويخله وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به
لان اللطف يجدي عليه قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم
صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ارأيتكم اخبروني

والضمير

والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف محلا لكنت كانك تقول
ارأيت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله
او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا
اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه
اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون
آلهتكم ولا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره
ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قلت
ان علقت الاستخبار فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة
لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة
الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء
لعلهم يتضرعون البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان
الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون
لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا
ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي
زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلما نسوا ما ذكروا به
من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة
وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشن تارة و
يلاطف اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير
انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون فقطع
دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد قد استوصلت شافتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند
هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون ان اخذ الله سمعكم و
ابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم يأتيكم به اي

يأتيكم بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما أخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الايات بعد ظهورها
قل أرأيتكم إن أتيكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير
ان يشعر به وتظهر اما راته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اى ما يهلك هلاك
تعذيب وسخط الا الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن
وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون الا مبشرين
ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الايات بعد
وضوح امرهم بالبراهين القاطعة وأصلح ما يجب اصلاحه مما كلف جعل العذاب ماسا كأنه حى يفعل بهم ما يريد
من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله تعالى اذا رأتهم من
مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك
إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون اى لا ادعى ما يستبعد فى العقول ان يكون
لبشر من ملك خزائن الله وهى قسمة بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب وانى من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه وأفضله
واقربه منزلة منه اى لم ادع الهية ولا ملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا
دعواى وتستنكروها وانما ادعى ما كان لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوى الاعمى والبصير مثل للضال
والمهتدى ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو
الالهية او الملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا انى ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا
ان اتباع ما يوحى الى مما لا بد لى منه فان قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله
عندى خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا
إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الى والذين يخافون
ان يحشروا اما قوم داخلون فى الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون فى العمل فينذرهم بما اوحى اليه لعلهم
يتقون اى يدخلون فى زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من
المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم
الانذار دون المتمردين منهم فأمر ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع فى موضع الحال من يحشروا
بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور والمخوف انما هو الحشر
على هذه الحال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من
شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ذكر غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم

ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطع فيهم من أرادبهم خلاف ذلك
واثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم اى عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام
وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص فى عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه
يعبر به عن ذات الشئ وحقيقته روى ان رؤسا من المشركين قالوا لرسول الله عليه السلام لو طردت هؤلاء الاعبد
يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان رضى الله عنهم واضرابهم وارواح جبابهم وكانت
عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا
فأقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا فى ايمانهم وروى ان عمر رضى الله عنه قال له
لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلى رضى الله عنه ليكتب فنزلت
فرمى بالصحيفة واعتذر عمر رضى الله عنه من مقالته قال سلمان وخباب رضى الله عنهما فينا نزلت فكان
رسول الله عليه السلام يقعد معنا ويدنو منا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا
اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذى
لم يمتنى حتى امرنى ان اصبر نفسى مع قوم من امتى معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شئ كقوله تعالى
ان حسابهم الا على ربى وذلك انهم طعنوا فى دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شئ بعد شهادته
لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله فى اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر
والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضى فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك
عليك لا يتعداك اليهم كما قال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شئ
حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شئ قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد
وهو المعنى فى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كأنه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم
بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك
الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفى فتكون من الظالمين جواب النهى ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم
على وجه التسبب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا
أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض
الناس ببعض اى ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا
اى انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء
انكارا لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا اليه أؤنزل عليه الذكر من بيننا لو كان خيرا

ما سبقونا اليه ومعنى فتنا هم ليقولوا ذلك خذلنا هم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه
لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون اليس الله باعلم بالشاكرين اى الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه
للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق وَاِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاٰيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ
عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ اَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوٓءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَاَصْلَحَ فَاَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ
الْاٰيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون
امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول
لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبول التوبة منهم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستيناف كان الرحمة
استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال اى عمل وهو جاهل وفيه
معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدى الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه
والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر على انها قالت عشية زرتها • جهلت على عمد ولم تك جاهلا
والثانى انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شئ حتى يعلم حاله وكيفيته
وقيل انها نزلت في عمر رضى الله عنه حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة وقرئ
وليستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول صلى الله
عليه وسلم مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل
البين نفصل ايات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى
فيه امارة القبول وهو الذى يخاف اذا سمع ذكر القيمة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده و
ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل قُلْ اِنِّي نُهِيتُ اَنْ اَعْبُدَ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ قُلْ لَا اَتَّبِعُ اَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ اِذًا وَمَا اَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ نهيت صرفت وزجرت بما ركب في
من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام
فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اى لا اجرى في طريقتكم التى سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى
دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذى منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل
قد ضللت اذا اى ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى في شئ يعنى انكم كذلك قُلْ اِنِّي عَلٰى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي
وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ اِنِ الْحُكْمُ اِلَّا لِلّٰهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ قُلْ لَوْ اَنَّ عِنْدِي
مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْاَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب
اتباعه بقوله قل انى على بينة من ربى ومعنى قوله انى على بينة من ربى وكذبتم به انى من معرفة ربى وانه لا معبود

سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا
على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك
وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستاصل فقال ما عندى ما تستعجلون به يعنى العذاب الذى استعجلوه في قولهم
فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله في تاخير عذابكم يقضى الحق اى القضاء الحق في كل ما يقضى
من التاخير والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين اى القاضين وقرئ يقص الحق اى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به
ويقدره من قص اثره لو ان عندى اى في قدرتى وامكانى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربى وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة
من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربى على حجة من جهة ربى وهى القرآن وكذبتم به اى بالبينة وذكر الضمير على تاويل
البيان او القرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقضى اى يقضى القضاء الحق ويجوز ان يكون
مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اى يصنع الحق ويدبره وفى قراءة عبد الله يقضى بالحق فان قلت لم
اسقطت الياء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ
لَا يَعْلَمُهَا اِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ اِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْاَرْضِ وَلَا رَطْبٍ
وَلَا يَابِسٍ اِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ جعل الغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن
المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات
وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح
وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هى جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل
في حكمها كانه قيل وما يسقط من شئ من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى
الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح المحفوظ وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس
بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل
منهم ولا امرأة الا في الدار وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفّٰيكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضٰى اَجَلٌ مُسَمًّى
ثُمَّ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وهو الذى يتوفيكم بالليل الخطاب للكفرة اى انتم منسدحون الليل كله
كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه اى يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذى قطعتم
اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتنى فيقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو
الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتّٰى اِذَا جَاءَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

توفته رسلنا وهم لا يفرطون حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم
السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبيه الحفظة تكتب لفظ
اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها
قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم
يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها عليهم في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر
لهم عن القبيح وابعد من السوء توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت
الارض له مثل الطشت يتناول من يتناول وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه
ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ويفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتاخير
عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله مولهم الحق الا له
الحكم وهو اسرع الحاسبين ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم
الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب
عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه
تضرعا وخفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم
تشركون ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي
اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم
فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما لئن انجيتنا على ارادة القول من
هذه من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية بالضم والكسر قل
هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم
بأس بعض انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة
عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم
من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات ويلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء
شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم
القتال من قوله • وكتيبة لبستها بكتيبة • حتى اذا التبست نفضت لها يدي • وعن النبي صلى الله
عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان
لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل عليه السلام ان فناء امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله رضي الله

عنه لما نزل من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا
قال هاتان اهون ومعنى الاية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة وكذب به قومك وهو الحق قل لست
عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون والضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اي
لا بد من ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبأ
لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير
في به للقرآن واذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما
ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين يخوضون في اياتنا في الاستهزاء بها و
الطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره فلا باس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم
فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك
قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك
عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وما على الذين يتقون
من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم
ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض
حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقويهم ويزدادوها
وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم
فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى
ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يابى ذلك
وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها
من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب
من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا
وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى
النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم
واتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله
لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم

لعبا ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله تعالى ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم
ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اى بالقرآن ان تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها
واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال • وابسالى بنى بغير جرم • ومنه هذا عليك بسل اى حرام
محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد
بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل اى وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادى يعدل المفدى
بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه
الاخذ واما فى قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم
لعبا ولهوا وقيل نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين دعاه ابنه الى عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل
اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين
فى الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب
العالمين وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون وهو الذى خلق السموات والارض
بالحق ويوم يقول كن فيكون قل اندعوا من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على
اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام كالذى استهوته الشياطين كالذى
ذهبت به مردة الجن والغيلان فى الارض فى المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدرى كيف يصنع له اى لهذا المستهوى
اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوى وسمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا
وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبنى على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوى الانسان
والغيلان تستولى عليه كقوله تعالى كالذى يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات
الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه
ضلال وغى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف فى قوله كالذى
استهوته قلت النصب على الحال من الضمير فى نرد على اعقابنا اى انكص مشبهين من استهوته الشياطين
فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه
وحرصت عليه فان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان
كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام فى لنسلم قلت هى تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا
اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا فى شان ابى بكر الصديق رضى الله عنه فكيف قيل للرسول عليه
السلام قل اندعوا قلت للاتحاد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين خصوصا بينه وبين

ابى بكر

ابى بكر رضى الله عنه فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موقع لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم
وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اى للاسلام ولاقامة الصلاة قوله الحق وله
الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما
عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض
قائما بالحق والحكمة وحين يقول للشىء من الاشياء كن فيكون ذلك الشىء قوله الحق والحكمة اى لا يكون شيئا
من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم
ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب
اليوم بمحذوف دل عليه بالحق كانه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه
على المدح واذ قال ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة انى اريك وقومك فى ضلال مبين ازر اسم ابى ابرهيم
وفى كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن ازر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ
وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ ازر بالضم على النداء وقيل ازر اسم صنم فيجوز
ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتى كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفى شعر بعض
المحدثين • ادعى باسماء نبزا فى قبائلها • كان اسماء اضحت بعض اسمائى • او اريد عابد ازر فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ ءازرا تتخذ اصناما الهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاى ساكنة
وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما الهة تثبيتا لذلك و
تقريرا وهو داخل فى حكم الانكار لانه كالبيان له وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون
من الموقنين فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الافلين فلما جن عليه الليل
عطف على قال ابرهيم لابيه وكذلك نرى ابرهيم جملة معترض بها بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك
التعريف والتبصير نعرف ابرهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعنى الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها
ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك
ونرى حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطأ
فى دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها
لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها
ومسيرها وسائر احوالها هذا ربى قول من ينصف خصمه مع علمه بانه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه
لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا احب الافلين لا احب عبادة

الأرباب المتغيرين من حال الى حال المنتقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الأجرام
فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين بازغا مبتديا في
الطلوع لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب في الأفول فهو ضال وان الهداية
الى الحق بتوفيق الله ولطفه فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما
تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين هذا اكبر من باب
استعمال النصفة ايضا مع خصومه اني بريء مما تشركون من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والأرض اي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدئها ومبتدعها وقيل
هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى والأول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم اني بريء
مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالأفول
أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والإشارة للشمس قلت جعل
المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا
ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث وقرئ ترى ابرهيم ملكوت السموات
بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان
ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون وحاجه قومه قال
اتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان يعني الى التوحيد
ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان يشاء ربي شيئا الا وقت مشيئة ربي
شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء
ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة
من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما اي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون
في علمه انزال المخوف بي من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف
ما أشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين احق بالأمن
ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون وكيف اخاف
لتخويفكم شيئا مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم
بالله ما لم ينزل به باشراكه سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان تكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون
على الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على انفسكم الأمن في موضع الخوف ولم يقل فأينا احق بالأمن انا ام انتم

احترازا

احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فأي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استأنف
الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وأبى
تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم
عليم وتلك اشارة الى جميع ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ومعنى
آتيناها ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين ووهبنا له
اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى
وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع
ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى
صراط مستقيم ومن ذريته الضمير لنوح او لابرهيم وداود عطف على نوحا اي وهدينا داود ومن
آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء
من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من
الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك اولئك الذين آتيناهم الكتاب
والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين آتيناهم الكتاب يريد
الجنس فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة قوما هم الأنبياء المذكورون و
من تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله
وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وادعى
الأنصار انها لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل
بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده قل لا اسألكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء و
لا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وحده وتوحيده واصول الدين
دون الشرائع فانها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا والهاء
في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل

والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما عرفوه حق معرفته في
سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة و
القائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ يجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة في
انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التورية على موسى
عليه السلام وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض
فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات متفرقة
ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين
فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال
ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا
مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التورية لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة
ذكر موسى والتورية وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد عليه السلام مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التورية ولم يعلمه
اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب
لمن آمن من قريش كقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان ينكروه ثم
ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي
عليه انما انت لاعب يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون
صلة له او لذرهم وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف
على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ
لتنذر بالتاء والياء وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى
كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين فمن يلتقي في بعض القربات رحلة فام القرى
ملقى رحالي ومنتابي والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك
ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلوة لانها عماد الدين ومن
حافظ عليها كانت له لطفا في المحافظة على اخواتها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي

الي

الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملئكة
باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن
اياته تستكبرون افترى على الله كذبا فزعم ان الله تعالى بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة
الحنفي الكذاب وكذاب صنعا الاسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت فيما يرى النائم كان في يدي
سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله تعالى الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين
انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعا الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله
بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو
عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى اخر
الاية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه
ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث
والمستهزؤن ولو ترى جوابه محذوف اي لرأيت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة
فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل
الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا ايديهم يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا
ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق
من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المماطلة ولا يمهله ويقول له
اخرج الي ما لي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا
انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به
من شدة النزع وان يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة والهون الهوان
الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه عن اياته تستكبرون فلا تؤمنون
بها ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين
زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما
حرصتم عليه واثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة
التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلكم به عن الاخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم
ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم الهة وعبدوها فقد جعلوها

لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فرادا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى فان قلت كما خلقناكم في
اى محل هو قلت هو في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اى مجيئا مثل خلقنا لكم تقطع بينكم وقع التقطع بينكم
كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند
الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم واما مكم وفي قراءة عبدالله لقد تقطع ما بينكم ان الله فالق الحب والنوى
يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن
مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اى الحيوان والنامي من النطف والبيض
والحب والنوى ومخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ
اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت
موقعه موقع الجملة المبينة لقوله تعالى فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين
من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي
المميت هو الله الذي يحق له الربوبية فانى يؤفكون فكيف يصرفون عنه وعن توليه الى غيره فالق الاصباح وجاعل
الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرا الحسن
بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله • افني رباحا وبني رباح تناسخ الامساء والاصباح • بالكسر والفتح مصدرين
وجمع مسى وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي تنفلق عن الصبح كما قال تفرّى ليل عن بياض نهار قلت
فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في اخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد
فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر عن بياض النهار وانصدع
الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي واززق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب
على المدح وقرا النخعي فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استيناسا به واسترواحا
اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للدار لانه يستانس بها الا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه التعب
بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله عز وجل لتسكنوا فيه والشمس
والقمر قرئا بالحركات الثلث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اى وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان
على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى المضي
ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة
وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر
عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا

او محسوبان

او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم
بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره
الكفران والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز
الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر
والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها
لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا
الايات لقوم يفقهون من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل
والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض
ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون
مع ذكر انشاء بني ادم قلت كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق
صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له وهو الذي انزل من
السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من
طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا
اثمر وينعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي
يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الاكل واخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب
من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل
خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا
عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان
جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنة التكسير
دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد
فانها تاتي بالثمر لا ينتظر الطول وقال الحسن رحمه الله دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر
البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله عز وعلا سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من
اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب اى مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى و
حاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اى من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا

على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ ثمره وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت فما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى وقيل هم الذين زعموا ان الله تعالى خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله تعالى في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي فتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات بغير وقرأ ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وحرفوا له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ او صواب ولكن رميا بقول عن عمى من غير فكر وروية بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم بديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيهما وقيل

البديع

البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفي ابطال الولد من ثلثة اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله تعالى في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله عليه السلام لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون وليقولوا جواب محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمجهول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات

وحملتها محمدا عليه السلام وهم اهل الكتاب ودرس اى درس محمد عليه السلام ودارسات على هى دارسات
اى قديمات اوذات درس كعيشة راضية فان قلت اى فرق بين اللامين فى ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى
مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الايات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول
بتصريف الايات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير
فى قوله لنبينه قلت الى الايات لانها فى معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه
معلوما او الى التبيين الذى هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ درست درست
الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين
ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل لا اله الا هو اعتراض اكد به
ايجاب اتباع الوحى لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهى حال موكدة كقوله وهو الحق مصدقا ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم
فينبئهم بما كانوا يعملون ولا تسبوا الالهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول
قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون
يسبون الهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الالهة حق وطاعة فكيف صح النهى
عنه وانما يصح النهى عن المعاصى قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهى عنها لانها معصية
لا لانها طاعة كالنهى عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يودى الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهى عن
ذلك النهى كما يجب النهى عن المنكر فان قلت فقد روى عن الحسن وابن سيرين رضى الله عنهما انهما حضرا جنازة
فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك فى ديننا قلت ليس هذا مما نحن
بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال
او لم يحضروا بخلاف سب الالهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه الحسن رحمه الله عدوا ظلما
وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء
وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة مثل
ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اى خليناهم وشانهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء
عملهم وامهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه فى زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم فيوبخهم
عليه ويعاتبهم ويعاقبهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله
وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وهو

قادر

قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة وانما الايات عند الله لا عندى فكيف اجيبكم اليها واتيكم
بها وما يشعركم وما يدريكم انها ان الاية التى يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بها يعنى انا اعلم انها اذا جاءت
لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون فى ايمانهم اذا جاءت تلك الاية ويتمنون
مجيئها فقال تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمى به من انهم لا يؤمنون الا ترى
الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشترى لحما وقال امرؤ القيس
عوجا على الطلل المحيل لاننا ٭ نبكى الديار كما بكى ابن حذام ٭ ويقويها قراءة ابى لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون
وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها
اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة فى قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون
اى يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن
وغيره من الايات مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة
ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم وما يشعركم
بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اى نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون
ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول اياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا
نذرهم فى طغيانهم اى نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اى الله
عز وجل وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا باباءنا وحشرنا عليهم كل شىء قبلا
كما قالوا او تأتى بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ
قبلا اى عيانا الا ان يشاء الله مشية اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على
ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الايات او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان
يضطرهم فيطمعون فى ايمانهم اذا جاءت الاية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس و
الجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وكذلك
جعلنا لكل نبى عدوا وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من
العداوة لما فيه من الامتحان الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين
على البدل من عدوا او على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحى بعضهم الى بعض يوسوس

يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك
بن دينار ان شياطين الانس اشد علىّ من شياطين الجن لانى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان
الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصى
ويموهه غرورا خدعا واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك اى ما عادوك او ما اوحى
بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة
وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبى عدوا
على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير فى اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير فى فعلوه اى ولتميل
الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم
مقترفون من الاثام افغير الله ابتغى حكما وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين افغير الله ابتغى حكما على ارادة القول اى قل يا محمد
افغير الله اطلب حاكما يحكم بينى وبينكم وتفصيل المحق منا من المبطل وهو الذى انزل اليكم الكتاب المعجز
مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لى بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة
على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب
التهييج والالهاب كقوله تعالى فلا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين فى ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق
ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكونن خطابا لكل احد على معنى انه لما تعاضدت الادلة
على صحته وصدقه فما ينبغى ان يمترى فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطاب
لامته وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وتمت كلمات ربك اى تم
كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو
اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اى ما تكلم به وقيل هى القرآن وان تطع اكثر
من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من
يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وان تطع اكثر من فى الارض من الناس اضلوك لان الاكثر فى غالب الامر
يتبعون اهواءهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون
يقدرون انهم على شئ او يكذبون فى ان الله حرم كذا واحل وقرئ من يضل بضم الياء اى يضله الله فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين فكلوا مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام و
يحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا

مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه
اسم غيره من الهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى بيسم الله وما لكم الا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم
بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وما لكم الا تاكلوا واى غرض لكم فى ان لا تاكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم
ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله تعالى حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل
وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم فى حال الضرورة وان كثيرا ليضلون وقرئ
بفتح الياء وضمها اى يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة وذروا ظاهر
الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم
منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا فى الحوانيت وباطنه الصديقة فى السر
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم
وان اطعتموهم انكم لمشركون وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذى دخل عليه حرف النهى يعنى
وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على ان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه فى نفسه فسقا
فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت قد تاوله
هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم
من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلوا مما قتله الله وبهذا يرجح تاويل من تاوله بالميتة انكم لمشركون لان
من اتبع غير الله فى دينه فقد اشرك به ومن حق ذى البصيرة فى دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان
لما يرى فى الاية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رحمه الله مرخصا فى النسيان دون العمد والمالك
والشافعى رحمهما الله فيهما اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات
ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا
فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون مثل الذى هداه الله تعالى بعد الضلالة ومنحه التوفيق
لليقين الذى يميز به بين المحق والمبطل والمهتدى والضال بمن كان ميتا فاحياه الله وجعل له نورا يمشى به فى
الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقى على الضلالة بالخابط فى الظلمات
لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله تعالى كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهى قوله
فى الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو فى الظلمات ليس بخارج منها كقوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها
انهار اى صفتها هذه وهى قوله فيها انهار زين للكافرين اى زينه الشيطان او الله عز وعلا على قوله زينا لهم

اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا
فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خلّيناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر
لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله عز وجل امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم
اكبر قومهم واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام
وتقديم موعد بالنصرة عليهم وَاِذَا جَاۤءَتْهُمْ اٰيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتّٰى نُؤْتٰى مِثْلَ مَاۤ اُوتِيَ رُسُلُ اللّٰهِ اَللّٰهُ اَعْلَمُ
حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ اَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ روي
ان الوليد بن مغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي
ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله
لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى
صحفا الله اعلم كلام مستأنف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم
بالمكان الذي يضعها فيه منهم سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمهم
وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ اَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْاِسْلَامِ
وَمَنْ يُرِدْ اَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَاَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاۤءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ عَلَى
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام
يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشأنه
وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد
فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد وقرئ حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر
كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه
المقدرة وقرئ يصّعد واصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد ويصعد من
صعد ويصعد من اصعد يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق
من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وَهٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ
مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْاٰيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا
وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها
الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى

او ذخيرة

او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم او ناصرهم
على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ
قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْاِنْسِ وَقَالَ اَوْلِيَاۤؤُهُمْ مِنَ الْاِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَاۤ اَجَلَنَا الَّذِيۤ اَجَّلْتَ لَنَا
قَالَ النَّارُ مَثْوٰيكُمْ خَالِدِينَ فِيهَاۤ اِلَّا مَا شَاۤءَ اللّٰهُ اِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ويوم نحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر
يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته
والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم
اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم
من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين
حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم
وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس
اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم
البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام
لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا
الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير
ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره
ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت
وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه بافضى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت
من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا
الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد وَكَذٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ اَلَمْ يَاْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ اٰيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاۤءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا
قَالُوا شَهِدْنَا عَلٰۤى اَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلٰۤى اَنْفُسِهِمْ اَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ نولي بعض الظالمين
بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة
وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال لهم يوم القيمة على جهة
التوبيخ الم يأتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الاية ولم يفرق

بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به انس وله الف وقال اخرون الرسل من الانس خاصة
وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان بعث
محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس قالوا شهدنا على انفسنا حكاية
لتصديقهم وايجابهم قوله الم ياتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم
شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها فان قلت ما لهم مقرين في هذه
الاية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت تفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول
فيقرون في بعضها ويجحدون في بعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم فان قلت
لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم قلت الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة
لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكانت عاقبة امرهم
ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا
للسامعين من مثل حالهم ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر
مبتدأ محذوف اي الامر ذلك وان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك
مهلك القرى بظلم على ان ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشان والحديث
لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم
وعن كل قبيح ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه يخفى
عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ
مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وربك الغني
عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة
ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم اخرين من اولاد قوم اخرين لم يكونوا
على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن
وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم

واقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على
حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل اي عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى
اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له
العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المامور بانه
لا ياتي منه الا الشر فكانه مامور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتفصى عنه ويعمل بخلافه فان قلت
ما موضع من قلت الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي وعاقبة الدار
العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال
وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ
الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء
منها لالهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للالهة واذا زكى ما جعلوه
للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك لحبهم الهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرأ فيه ان الله كان اولى
بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم معا وقرئ بالضم
اي قد زعموا انه لله والله لم يامرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين
اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق
على المساكين فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء
ما يحكمون في ايثار الهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ
لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وكذلك ومثل ذلك التزيين
وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والالهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين والمعنى ان
شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالواد او بنحرهم للالهة وكان الرجل يحلف
في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو
شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين
كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم
برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان
في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد ۝ زج القلوص ابي مزاده ۝ فكيف به في الكلام المنثور

فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين إسمعيل عليه السلام حتى زلوا عنه إلى الشرك وقيل دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فإن قلت ما معنى اللام قلت إن كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وإن كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسر لما فعلوه لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو لما فعل الشياطين أو السدنة التزيين أو الإرداء أو اللبس أو جميع ذلك إن جعلت الضمير جارياً مجرى اسم الإشارة وما يفترون وما يفترونه من الإفك أو وافتراءهم وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن حرج وهو من التضييق وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء وأنعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى أنهم قسموا أنعامهم فقالوا هذه أنعام حجر وهذه أنعام محرمة الظهور وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها أجناساً بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس إلى الله افتراء عليه أي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد لأن قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور لا يأكل منه الإناث وما ولد ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم وأنث خالصة للحمل على المعنى لأن ما في معنى الأجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وأن تكون مصدراً وقع موقع الخالص كالعافية أي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على أن قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن تكون حالاً متقدمة لأن المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصة على الإضافة وفي مصحف عبد الله خالص وإن يكن ميتة وإن يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وإن تكن بالتأنيث على وإن تكن الأجنة ميتة وقرأ أهل مكة وإن تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لأن الميتة لكل ميتة ذكراً أو أنثى فكأنه قيل وإن يكن ميت فهم فيه

سوى

شركاء سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين سفهاً بغير علم لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله رازق أولادهم لا هم وقرئ قتّلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين أنشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الأرض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الأرياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما أنبته الله وحشياً في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم إذا جعلت له دعائم وسمكاً تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه مختلفاً أكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ أكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفاً عليه ومختلفاً حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقرئ ثمره بضمتين فإن قلت ما فائدة قوله إذا أثمر وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما أبيح لهم الأكل من ثمره قيل إذا أثمر ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم أنه لا يباح إذا أدرك وأينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكوة إنما فرضت بالمدينة فأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجباً حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على إيتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئاً إلى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين حمولة وفرشاً عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنها دانية من الأرض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشاً اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد إذا كان وحده فهو فرد فإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجاً

وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين
ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه اخر من جنسه
تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين
وقرأ ابى ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة في الذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان و
الذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسى
الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعى ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسى الابل
والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها
كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم نبئونى بعلم اخبرونى
بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين فى ان الله حرمه ام كنتم شهداء بل اكنتم شهداء ومعنى
الهمزة الانكار يعنى ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء
اذ وصيكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين
ام كنتم شهداء بل اكنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعنى ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة
على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذى نحرمه فتهكم بهم فى قوله ام كنتم
شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه
تحريم ما لم يحرم ليضل الناس هو عمرو بن لحى بن قمعة الذى بحر البحائر وسيب السوائب فان قلت كيف فصل
بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبى من المعدود وذلك ان الله
عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج
على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات فى الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحى
الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل
لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم فيما اوحى الى تنبيه على ان التحريم انما يثبت
بوحى الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما طعاما محرما من المطاعم التى حرمتموها الا ان يكون ميتة الا ان يكون
الشئ المحرم ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا سائلا كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص فى
دم العروق بعد الذبح او فسقا عطف على المنصوب قبله سمى ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله فى باب الفسق
ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون

مفعولا له من اهل اى اهل لغير الله به فسقا فان قلت فعلام تعطف اهل والام يرجع الضمير فى به على هذا القول
قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع اليه المستكن فى يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شئ
من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك
غفور رحيم لا يواخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا
ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون ذو الظفر ما له
اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم عليهم فعم التحريم كل ذى ظفر
بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذى ظفر وشحمه وكل شئ
منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخاصة وهى الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت
ظهورهما يعنى الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط
بعظم وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما او بمنزلتها فى قولهم جالس الحسن او ابن سيرين
ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة
لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب
فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين فان كذبوك فى ذلك وزعموا ان
الله واسع الرحمة وانه لا يواخذ بالبغى ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل
طاعته ولا يرد باسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا يغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول
الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى
ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون سيقول الذين
اشركوا اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ يعنون
بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك ابائهم وتحريمهم ما احل الله بمشية الله وارادته ولولا مشيته لم يكن شئ
من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اى جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب فى
العقول وانزل فى الكتب ما دل على غناه وبرائته من مشية القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق
وجود القبائح من الكفر والمعاصى بمشية الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله
ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم
من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان قولهم محال ان تكون له حجة

مثل قولهم تحجه

ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون وقرئ كذلك
كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل فلله الحجة البالغة يعني
فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم
اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشية الله يقتضي ان تعلقوا دين من يخالفكم ايضا
بمشيته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشية تجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه
قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين
كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر و
المؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فان قلت كيف امرهم باستحضار شهدائهم
الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما ثم امره ان لا يشهد معهم قلت امره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل
ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا على شيء لتساوي اقدام الشاهدين
والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم
لانه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل
لم يكن الا مصدقا للآيات موحدا لله فان قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون ان الله حرم هذا واي فرق
بينه وبين المنزل قلت المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم
يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيف
الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم
والدليل عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا
يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فان شهدوا
فلا تشهد معهم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا
اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون تعال من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من
كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى اتل الذي حرمه
ربكم او بحرم بمعنى اتل اي شيء حرم ربكم لان التلاوة من القول وان في الا تشركوا مفسرة ولا للنهي فان قلت
هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت الا تشركوا بدلا من ما حرم قلت وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا

ولاتقتلوا

ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله تعالى وبالوالدين احسانا لان التقدير
واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل
حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وان هذا
صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى ولان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا صراطي انه مستقيم
فان قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله
كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن
جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس
الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق
ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا
قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون الا بالتي هي احسن الا
بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه
اليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء
الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ
الوسع وان ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل
فما ينبغي ان يزيد في القول او ينقص كقوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وقرئ وان هذا صراطي بتخفيف ان
واصله وانه هذا صراطي على ان الهاء ضمير الشان والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله
وهذا صراط ربكم وفي مصحف ابي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية
والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن سبيله عن صراط الله
المستقيم وهو دين الاسلام وقرئ فتفرق بادغام التاء وروى ابو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل
على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنه

هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل
النار وعن كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شئ فى التورية فان قلت علام عطف
قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصيكم به فان قلت كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية
بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن
شئ من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصيكم به يا بنى آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى
الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق
ويعقوب ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ
بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ تماما على الذى
احسن تماما للكرامة والنعمة على الذى احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ويدل عليه
قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد به موسى عليه السلام اى تتمة للكرامة على العبد الذى
احسن الطاعة فى التبليغ وفى كل ما امر به او تماما على الذى احسن موسى من العلم والشرايع من
احسن الشئ اذا اجاد معرفته اى زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذى احسن اى
على الذى هو احسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع اى على الذين الذى هو
احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اى تاما كاملا على احسن ما تكون عليه الكتب اى
على الوجه والطريق الذى هو احسن وهو معنى قول الكلبى اتم له الكتاب على احسنه
أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا
أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ
ان تقولوا كراهة ان تقولوا على طائفتين يريدون اهل التورية واهل الانجيل وان كنا هى ان المخففة من الثقيلة
واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان
عن دراستهم عن قراءتهم اى لم نعرف مثل دراستهم لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا
وغزارة حفظنا لايام العرب ووقايعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون
وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا
على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم
فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعدما عرف

صحتها

صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزى الذين يصدفون
عن آياتنا سوء العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا
إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ الملائكة ملائكة الموت
او العذاب او يأتى ربك او يأتى كل آيات ربك بدليل قوله او يأتى بعض آيات ربك يريد آيات القيمة والهلاك الكلى وبعض
الآيات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات
الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من
مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله
او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهى آيات ملجئة مضطرة
ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الآيات او مقدمة
ايمانها غير كاسبة خيرا فى ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت فى غير وقت الايمان وبين النفس التى
آمنت فى وقتها ولم تكسب خيرا لتعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغى ان تنفك احديهما
عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرئ ان يأتيهم
الملائكة بالياء والتاء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذى هو بعضه كقوله
ذهبت بعض اصابعه إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفى الحديث افترقت اليهود على احدى و
سبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية
الا واحدة وتفترق امتى على ثلث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا
ببعض وقرئ فارقوا دينهم اى تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تتشيع اماما لها لست منهم فى شئ اى من
السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هى منسوخة بآية السيف مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ عشر امثالها على اقامة صفة الجنس مقام الموصوف
تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف
وقد وعد بالواحد بسبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل
وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

حنيفا وما كان من المشركين دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديكم
صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام
وصف به وملة ابرهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابرهيم قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب
العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قل ان صلاتى ونسكى وعبادتى وتقربى كله وقيل وذبحى
وجمع بين الصلاة والذبح كما فى قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتى وحجى من مناسك الحج ومحياى ومماتى وما
اتيته فى حياتى واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص
امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم لاسلام امته قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شئ و
لا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون قل اغير الله ابغى ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم والهمزة للانكار اى منكر ان ابغى ربا غيره
وهو رب كل شئ وكل من دونه مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل اغير الله تامرونى اعبد
ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وهو الذى جعلكم خلائف
الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتيكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم
جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او جعلهم
يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله فى ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض
درجات فى الشرف والرزق ليبلوكم فيما اتيكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع
الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغنى بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم
لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو ات قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا
الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون
الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام
يوما وليلة والله اعلم
بالصواب
تم تم

حسبى الله وحده
من الكتب التى وقفها الفقير
الى الله ربه ذى المواهب
محمد ... عفى عنه